

بسم الله الرحمن الرحيم

" ملخص رسالة ماجستير في العقيدة "

مقدمه من الطالب : جميله أحمد صقر ،
موضوعها " قضايا العقيدة و منهج الدعوة الي الله في قصه نوح عليه السلام "
بإشراف : الأستاذ الدكتور / أحمد المهدي ،

الحمد لله وحده ، و الصلاة و السلام علي من لا نبي بعده ،
و بعد :

فقد اشتمل هذا البحث علي مقدمه ، و بابين ، و خاتمه ،

أما المقدمة : فلبيان أهميه الموضوع ، و دواعي اختياره ،

و أما الباب الأول : فقد خصص للحديث عن قضايا العقيدة في قصه نوح عليه السلام و قد اشتمل علي تمهيد و أربعة فصول :

خصص الأول منها للحديث بالتفصيل عن قضيه التوحيد ، و فيه تمهيد و ثلاثة مباحث

و أما الثاني : فقد اشتمل علي قضايا النبوة بالتفصيل و فيه ثمانية مباحث
و أما الثالث : فقد خصص للحديث عن الايمان باليوم الآخر ، و فيه تمهيد
ومبحثان ،

و أما الفصل الرابع : فقد اشتمل علي بقية مسائل العقيدة و فيه تمهيد
وثلاثة مباحث ،

و أما الباب الثاني : فقد خصص للحديث عن منهج الدعوة في قصة نوح عليه السلام ، و قد اشتمل علي تمهيد و أربعة فصول ،

الأول منها : للتعريف بنوح عليه السلام و قومه ، و فيه مبحثان ،
و أما الثاني : فلبيان الأساليب التي دعا بها قومه و جهاده معهم ، و فيه
تمهيد و ثلاثة مباحث ،

و أما الثالث : فللحديث عن موقف قومه من دعوته ، و فيه سبعة مباحث ،
و أما الفصل الرابع : فقد خصص للحديث عن نهاية قومه ، و فيه ثمانية
مباحث ،

و أما الخاتمه : فقد اشتملت علي أهم نتائج البحث و هي كثيرة ، و منها
يتضح أن نوحا عليه السلام أول رسل الله الي أهل الأرض ، و أول أولي
العزم منهم ، و أن رسالته قد اشتملت علي أصول العقيدة التي أرسل بها جميع
المرسلين من بعده ، وهي الايمان بالله ، و ملائكته و كتبه و رسله ،
واليوم الآخر ، والقدر ، كما اشتملت علي مناهج الدعوة التي اقتدي بها
جميع الرسل - عليهم السلام - من بعده ،

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

الطالبة

المشرف

عميد كلية الدعوة و أصول الدين

جميله أحمد صقر

أ.د أحمد المهدي

د. علي بن نفيح الغلياني

قال تعالى :

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ سورة يوسف

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ سورة الأحزاب

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ ذَبُورًا ﴿١٦٣﴾ سورة النساء

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ سورة الأعراف

إهداء

إلى الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يرجون رحمة ربهم ويخشون عذابه

ومساة هذا الجيل

إلى الأبطال الذين فجروا فينا روح العزة
والكرامة وأيقظوا سبات أمتنا العميق

أبطال هذا الجيل

إليك خاصة كلمة التوحيد؛ إليكم جميعاً يا من
أحبكم في الله أهدى عمل المتواضع هذا..

الباضة

جميله

عباده المحسنين المقربين اللهم آمين .

كما أنه لا يفوتنى في هذا المقام أن أقدم بالغ الاحترام
والتقدير لمن صبرا على وتحملا عنى مُرّ السنين وساعدانى لاستكمال
هذه المرحلة العلمية والديّ الحبيبين؛ فاجزهما اللهم عنى خير الجزاء،
وبارك فيهما، واجعلهما ربي من عبادك الأخيار .

ومما يبعثنى فى هذا المقام أن أذكر بطيب الشكر والثناء،
وخالص التقدير والوفاء، تلك الأيادى التى امتدت لى بالعطاء ،
أخوات التقيت بهن على رضى رب السماء ، فأسألك اللهم أن تجعلنى
وإياهن من أهل الخفاء الأتقياء .

واجز اللهم كل من يسر لى التعليم فى جامعة أم القرى
رئاسة ومروءة خير الجزاء؛ اللهم آمين ء آمين ، آمين .

الباحثه

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . حمل الرسالة ، وأدى الأمانة، ونصح الأمة .

اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمك والآثك العظيمة؛ حيث أنزلت علينا خير كتبك، وأرسلت إلينا أفضل رسلك ، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك، وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس . أما بعد

لقد عرض القرآن العظيم صوراً لدعوة الأنبياء عليهم السلام؛ وما جاءوا به لهداية البشرية؛ لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

ومن بين هذه الصور المعروضة قصة نوح عليه السلام مع قومه ، أرسله الله عز وجل إلى قومه ليدعوهم إلى توحيد الله سبحانه ، لإخراجهم مما هم فيه من عبادة الأوثان، وشتى ألوان الكفر والإلحاد ، واستمر في دعوتهم ألف سنة الا خمسين عاماً؛ لإقرار وإفراد العبودية والحاكمية لله عز وجل ، وتسليم كامل السلطان له سبحانه ، سالكا في ذلك كل السبل والطرق من أجل دعوتهم . فكانت دعوته إلى ذلك ليلاً ونهاراً ، ورسواً وجهاراً ، ومن ثم وجه أنظارهم إلى بديع خلق السموات والأرض ، والتفكر في خلق

الأنفس و واسع الآفاق ، ورغم ذلك الجهد المتواصل ما آمن معه الا قليل .
 ومن أجل بيان ما كان من شأن هذا الضمير الحي و القلب
 الكبير و التضحية الخالصة التي قامت بالعمل و الدعوة الى الله
 تعالى بعد أن كلفه الله سبحانه وتعالى بالقيام للدعوة اليه .
 وكان ذلك كله حافزا و داعيا لإختيار هذا الموضوع للبحث و الاطلاع
 على الحقيقة تحت عنوان :

" قضايا العقيدة و منهج الدعوة الى الله في قصة نوح عليه السلام "
 ولما لهذا الموضوع من أهمية بالغة دعتني للكتابة فيه أمور
 منها :-

أولا : أن دعوته عليه السلام هي أولى الرسالات السماوية التي
 جاءت بأصول الدين الى جانب ما تطرقت اليه من ذكبر
 ألباب الدعوة و فنونها ، و مرورها بمراحل السرية و الجهر ،
 و الجمع بينهما .

ثانيا : الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها نوح عليه السلام في قومه داعيا
 الى الله تعالى ، ورغم ذلك ما آمن معه إلا قليل . إلا أن هذا
 لم يثنه عن دعوته ، و استمر يدعو الى ربه .

ثالثا : ما كان من جميل صبره عليه السلام و ما تحمله من بالسخ
 الأذى خلال هذه الفترة لأجل نشر دعوته .
 ولما كانت دعوته عليه السلام بمثابة المنهاج للدعوات
 اللاحقه لها مع بيان موقف الجاهلية الدائم من قضية
 التوحيد ذلك الموقف المتكرر على مر السنين و الأزمان ؟ موقف
 الإعراض و الصد عن تحكيم شرع الله عز و جل .

رابعاً : ندرة من كتب عن نوح عليه السلام رغم ما نجده زائراً من قصص أولى العزم من الرسل خاصة ، ولأنه لم يسبق لمثل هذا العمل أو الكتابة فيه بهذه الصورة حسب الاطلاع والبحث عن

هذا .

عليه فقد دعتنى هذه الأسباب للكتابة فى هذا البحث وقد قُسم بحسب طبيعة موضوعه الى : - مقدمة وبايين وخاتمه :

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وفائدته العلمية والأسباب التى دعتنى الى البحث فيه .

أتبع ذلك بالباب الأول الذى خصمته للحديث عن قضايا العقيدة فى قصة نوح عليه السلام وقد قمت الى تمهيد و أربعة فصول .

تحدثت فى التمهيد عن أصول العقيدة فى قصة نوح عليه السلام وأنها كانت بمثابة قواعد البنيان بالنسبة للدعوات اللاحقة لها .

وأما الفصل الأول فقد خصمته للحديث عن قضية التوحيد ، وأما الفصل الثانى فقد خصمت فيه الحديث عن قضايا النبوة والرسالة ، وأعقبت ذلك الفصل الثالث وخصمته للحديث عن إيمان باليوم الآخر ، ثم تلاه الفصل الرابع الذى تحدثت فيه عن بقية مسائل العقيدة .

أما بيان منهاج الدعوة الى الله فى قصة نوح عليه السلام فهذا ما أفردت له الباب الثانى من هذه الرسالة وقد جاء متضمناً تمهيداً وأربعة فصول ، تحدثت فى التمهيد عن أهمية دعوة نوح عليه السلام وأنها أولى الرسالات السماوية لأهل الأرض .

ثم ختمت الفصل الأول للحديث عن نوح عليه السلام وقومه ، وجاء بعد ذلك الفصل الثانى الذى تناولت فيه الأساليب التى دعا بها نوح قومه ، ثم بينت فى الفصل الثالث موقف قوم نوح من دعوته ، و أما الفصل الرابع فقد ختمته للحديث عن نهاية قوم نوح وسنه الابتلاء فى ذلك .

وأخيرا فإن أحسنت فى عملي هذا فيتوفيق وفضل من الله عز وجل وإن أخطأت فمن نفسى ، وحسبى فى ذلك أننى طالبة علم أسعى للوصول الى المواب .

(١)

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . "

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثه

الباب الأول

قضايا العقيدة في قصة نوح عليه السلام

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

- الفصل الأول : قضية التوحيد .
- الفصل الثاني : قضية النبوة .
- الفصل الثالث : قضية الإيمان باليوم الآخر .
- الفصل الرابع : بقية مسائل العقيدة .

تمهيد

اهتم القرآن الكريم بعرض مواقف الأمم السابقة مع أنبيائهم الذين جاءوا يدعونهم الى أسس عقيدة واحدة ، وهى الايمان بالله وحده لا شريك له ، وأنه خالق هذا الكون ومديره وحاكمه وسيده فلا ند له ولا شريك فى ملكه والأمر كله له .

وأكثر ما ألقى الأضواء عليه فى قصة نوح عليه السلام ما كان من اثبات عقيدة التوحيد خلال الفترة الزمنية الطويلة التى عاشها نوح عليه السلام يدعو قومه الى توحيد الله تعالى ، وهى ألف سنة الا خمسين عاما . لهذا عنى القرآن الكريم بتفصيل قصته عليه السلام مع قومه مع بيان الطرق التى سلكها نوح عليه السلام فى دعوتهم الى توحيد الله تعالى ، وذلك بأن استثار عاطفتهم ووجه أنظارهم وذكرهم بالنعم التى أحاطهم الله سبحانه وتعالى بها .

ودفعهم الى التفكير فى عظمتة سبحانه كما فى قوله تعالى
على لسان نوح عليه السلام .:

" مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۚ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۚ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۚ ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۚ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۚ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۚ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۚ ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۚ ﴿٢٠﴾ " . (١)

لكن القوم عصوا واستكبروا وبقوا على عبادتهم للتماثيل التى صنعوها لأحبائهم ثم اتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله عز وجل . وهكذا .

تدخلت أهواؤهم لتعبد الله على حرف ، وفي هذا بيان أن عبادة الله تعالى لا تكون إلا وفق ما أمر به الله تعالى وأنزله على رسله عليهم السلام ، ولا مجال للابتداع في هذا الأمر لما روي عن النبي عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (١)

ولأن قوم نوح هم أول الأقوام الذين حادوا عن طريق الحق والمواب في عبادتهم لله تعالى ، فقد أخذ نوح عليه السلام يركز في دعوتهم على قضية واحدة وهي قضية الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له .
و أهم ما فيها إفراده تعالى بالعبادة ، ذلك أنهم إن رجعوا عن ضلالتهم كان من السهل بعد ذلك تكليفهم بباقي العبادات ، ولكن إذا بقوا على الشرك قلبي بعد الكفر ذنب .

لذا كان إهتمامه عليه السلام في المقام الأول ببيان إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة ، وإثبات وحدانيته تعالى ، وقد أوضحت لنا آيات القرآن الكريم ذلك بالتفصيل كما في قوله تعالى :

" أَتَدْرُسُنَا فَرَحًا إِلَى قَرْبِهِ فَقَالَ يَتَرَوْنَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ " (٢) وكما في قوله تعالى :

" أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ " (٣) وكما

في قوله تعالى : " أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا " (٤)

١ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٥ : كتاب الملح : باب إذا أصلحوا على صلح جور فهو مردود ، ص ٣٠١

٢ - سورة الأعراف : الآية ٥٩

٣ - سورة هود : الآية ٢٦

٤ - سورة نوح : الآية ٣

وغير ذلك من الآيات التي إذا نظرنا فيها نجدها قد جمعت بين الأمر بالتوحيد ؛ العبادة الخالصة لله تعالى .

ذلك أن التوحيد باللسان مع الإشراك في العبادة لا يقبل الله تعالى به، لأنه سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، كما في قوله تعالى : " إِنْ أَلَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا " (١) وفي هذا درس عظيم لدعاة اليوم من أنه يجب أولاً التركيز على غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأجيال وإرشادهم أن لا حاكمية إلا لله تعالى، ثم الانتقال بعد ذلك إلى بيان التكاليف الشرعية الأخرى، وفي ذلك بناء لأسس العقيدة السليمة، وبهذا يتم كمال التوحيد وخلوصه لله عز وجل .

وإن من أهم أمور العقيدة التي يجب التركيز عليها ما كان متمثلاً في أركان الإيمان الستة التي دعت إليها دعوات كل رسول من عند الله تعالى . ولكي نبين أمور العقيدة حرى بنا بيان معنى العقيدة :

العقيدة في اللغة : من مادة عقد ، عقدت الحبل والبيع والعهد فانعقد لقوله تعالى : " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ " (٢)

وقد قال الشاعر أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا ، وان عاهدوا أوفوا، وإن عاقدوا شدوا . (٣)

١ - سورة النساء : الآية ٤٨

٢ - سورة المائدة : جزء من الآية ٨٩

٣ - انظر : الصحاح للجوهري : ج ٢ : بلب الدال فصل العين ، ص ٥١٠ . لسان العرب : ابن منظور : ج ٣ ، باب الدال فصل العين ، ص ٢٩٧ . القاموس المحيط : الفيروز آبادي باب الدال : فصل العين : ج ١ ، ص ٣١٥

وعلى هذا فالعقيدة في اللغة :-

هى ما عقد الانسان عليه فى القلب والضمير عقداً محكماً . (١)

أما العقيدة فى اصطلاح بعض العلماء فهى الجانب النظرى الذى يطلب لإيمان به أولاً وقبل كل شئ إيماناً لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة [(٢)] وهى بهذا كل عمل وافق إيمان بالقلب واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان .

وقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة بلفظ الإيمان، وعن الشريعة

بالعمل الصالح فى كثير من الآيات الكريمة نذكر منها على سبيل التمثيل :

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ " (٣)

وكما فى قوله تعالى : " وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ " (٤)

و القرآن الكريم جاء بكثير من الآيات التى تبين أركان الإيمان مجتمعة كما فى قوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ

وَالصِّبْغِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١٣٦ " (٥)

و ما جاء فى حديث جبريل عليه السلام عندما سأل رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن الإيمان فقال : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر

وتؤمن بالقدر خيره وشره) (٦) فهذه هى أركان الإيمان وعليها

قوامه .

١ - المصباح المنير : للفيومي ج ٢ ، ص ٧١ .

٢ - الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت : ط ١٣ : بيروت : دار الشروق : ١٤٠٤ ، ص ٩

٣ - سورة الكهف : الآية ١٠٧ انظر الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت ، ص ١٠

٤ - سورة العصر كاملة .

٥ - سورة النساء : الآية ١٣٦

٦ - صحيح مسلم : بشرح النووي : بيروت : دار إحياء التراث العربى : ج ١ كتاب الإيمان

تعريف الإسلام والإيمان ، ص ١٥٧

والإيمان في اللغة : مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن ، والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي يتمنه الله عليها ، وهو التصديق مطلقاً ونقيضه الكفر ، وضده التكذيب ، يقال آمن به قوم ، وكذب به قوم . (١)

أما تعريفه في الشرع : فقد اتفق علماء السلف بأنه [إعتقاد بالقلب ونطق باللسان ، وعمل بالأركان] . (٢) وبهذا فإن الإيمان هو العقيدة .

وحين نُئِلَ ببيان الثوري عن الإيمان قال : [الإيمان قول ، وعمل ، ونية ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ولا يجوز القول إلا بالعمل ، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية ، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة] . (٣)

فأما دليل الإعتقاد بالقلب فقوله تعالى : " يَتَّبِعُهَا الرَّسُولُ لَا يَحْرُكُ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُزْمِنْ قُلُوبُهُمْ " (٤) وهذا ما يخص جانب العقيدة ويوافق .

أما ما كان من جانب النطق باللسان : فقوله تعالى : " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " (٥)

و أما ما كان من عمل بالأركان فقوله تعالى : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ " (٦)

١ - انظر لسان العرب : ابن منظور : ج ١٣ ، فصل الالف : حرف النون ، ص ٢٣٠ - ٢٤٠ .

٢ - فتح الباري : ابن حجر : بيروت : دار المعرفة : كتاب الإيمان : باب بني الإسلام على خمس : ج ١ ، ص ٤٦٠ - عمدة القاري : العيني : دار الفكر : ١٣٩٩ ، ج ١ ، كتاب الإيمان : باب الإيمان : ص ١٠٣ ، صحيح مسلم : شرح النووي : ج ١ ، كتاب الإيمان : ص ١٤٦ شرح العقيدة الطحاوية : أبي العز : ط ٦ : بيروت : المكتبة الإسلامية : ١٤٠٠ ، ص ٣٧٤

٣ - شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة : اللالكائي : الرياض : دار طيبة : ١٤٠٢ : ج ١ ، ص ١٥١

٤ - سورة المائدة : جزء من الآية ٤١ - سورة الحجرات : جزء من الآية ١٤

٥ - سورة البينة : الآية ٥

وبناءً على ما سبق فالإيمان يتضمن الإيمان بكل ركن من الأركان الستة السابق بيانها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن التفصيل سيكون بمشيئة الله تعالى ففي ثلاثة أركان منها وهي :

أولاً : الإيمان بالله تعالى ، وذلك بافراده تعالى بالعبادة ، لأنها تمثل القضية الأولى والكبرى في دعوة نوح عليه السلام وهو ما يخص جانب التوحيد ، وسأخص له الفصل الأول .

ثانياً : الإيمان بالنبوة وإثبات رسالته عليه السلام وأنها من عند الله عز وجل وسأخص له الفصل الثانى .

ثالثاً : الإيمان باليوم الآخر وقضية المعاد ، وسأخص لذلك الفصل الثالث ، أما ما كان من شأن بقية أركان الإيمان فلم يرد الحديث عنها بالتفصيل في قصته عليه السلام وسنبين ذلك بمشيئة الله تعالى .

وأما ما كان من دعائه واستغفاره عليه السلام ، وحكم التماثيل والمور فسنفرد لكل ذلك الفصل الرابع بمشيئة الله تعالى . مع بيان علاقة كل منها بقضية التوحيد من خلال قصته عليه السلام والله ولي التوفيق .

الفصل الأول

قضية التوحيد

ويشتمل على : تمهيد وثلاثة مباحث :

- أما التمهيد : فسأتحدث فيه عن فطرية الدين ، و منشأ الشرك .
- المبحث الأول : تعريف التوحيد .
- المبحث الثاني : التوحيد الذي دعت إليه الرسل .
- المبحث الثالث : ما تتضمنه كلمة التوحيد .

تمهيد

سبق أن أوضحنا أن العقيدة هي العهد المشدود والعروة الوثقى .
 وذلك لاستقرارها في القلب ورسوخها في الأعماق . وقد جاءت
 في القرآن الكريم بمسمى الإيمان .
 وبيان أن الإيمان هو مصدق القلب ونطق به اللسان وعملت به
 الجوارح .

و بيان أركانه أنها ستة أركان ، لا يستوى كمال الإيمان إلا بها جميعاً .
 فأما أول ركن من أركان الإيمان فهو :-

الإيمان بالله تعالى : وهو التصديق بوجوده وأنه متمم بصفات الكمال
 منزّه عن صفات النقص . (١)

وقد وضح الألباني هذا التعريف بقوله [هو التصديق القاطع الجازم
 بوجوده تعالى . كما أخبر سبحانه وتعالى به ، واطمئنان القلب وسكون
 النفس إلى ذلك بحيث لا يبقى في القلب أدنى مرض وظلمة ، ولا في العقل
 أقل شبهة أوربية في وجود الله جل جلاله] (٢) وعلى هذا فالإيمان
 بالله تعالى صفة للقلوب الخاشعة المتضرعة لذكره تعالى . ويتضمن
 توحيده سبحانه وتعالى التوحيد بأنواعه الثلاثة التي تتضمنها كلمة
 التوحيد بشهادة " أن لا إله إلا الله " وهذا ما أودعه الله تعالى في
 البشرية وأودعه شأن الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وذلك بتوحيد الله
 تعالى وإفراده بالعبادة ، وهو الإسلام لله تعالى وهو الدين السدى

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١ : كتاب الإيمان ، ص ١٥٧

٢ - أركان الإيمان : الألباني : ط ٣ : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٤ ، ص ١٢

انظر دستور الأخلاق في القرآن : محمود دراز : ط ٤ : بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢ ، ص ٣٠٢

إرضاه لهم جميعاً من لدن آدم عليه السلام الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . لقوله تعالى : " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " (١) ففي هذه الآية الكريمة خبر عن الله بالتوحيد لنفسه ، (٢) وبالشهادة لنفسه ، ومن ثم شهادة المخلوقات له بالوحدانية . ومن ثم بين عقب هذه الآية أن الدين المرتضى هو الإسلام . وهذا ما فطر الله تعالى عليه الناس كما في قوله تعالى : " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ " (٣)

والمقصود بالفطرة هنا : هي الإسلام ، وخلق الله ، دين الله (٤) ولا تبديل ولا تحويل لها من جهة الله تعالى . وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه يدل على ذلك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول : " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ") . (٥)

-
- ١ - سورة آل عمران : الآية ١٨ ، و جزء من الآية ١٩
 - ٢ - دقائق التفسير : ابن تيمية : تحقيق محمد الجليد : ط ٢ : بيروت : مؤسسة علوم القرآن : ١٤٠٦ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٠٦
 - ٣ - سورة الروم : الآية ٣٠
 - ٤ - انظر : فتح الباري : ابن حجر العسقلاني : بيروت : دار المعرفة : ج ٨ كتاب التفسير : باب لا تبديل لخلق الله : ص ٥١٢
 - ٥ - المرجع السابق ج ٨ ، ص ٥١٢ ، و الجزء ٣ ، ٢٤٦

فأصل ما خلق عليه الإنسان هو فطرية التدين ؛ وهو توحيد
الله سبحانه وتعالى ، ولا يقبل الله عز وجل من الأولين و الآخرين ديناً غيره .
وبهذا الدين أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الكتب . كما
في قوله تعالى : " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ " (١) فأصل ما خلق عليه الإنسان التوحيد ، وما

عرض عليه بعد ذلك ، فهو مما اكتسبه من والديه ، وقد أشهد
الله سبحانه وتعالى الخلق على هذه الفطرية كما جاء في قوله
تعالى في آية الميثاق : " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيَّ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا
عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ
أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٨﴾ " (٢) فأخذ الشهادة والميثاق عليها

من بني آدم وإقرارهم عليها ، سواء كان هذا الإقرار من أهل السعادة
فقالوا طوعاً ، أو من أهل الشقاوة فقالوا : كرها . إن هو إلا تأكيد لفطرية
وحدانية الله تعالى .

منشأ الشرك :

إن ما كان فيما بعد من إشراك بالله ، فهو من احتيال الشياطين ذلك
لحرصهم الشديد على غواية بني آدم وإضلالهم .

١ - سورة النحل : جزء من الآية ٣٦

٢ - سورة الأعراف : الآيتان ١٧٢ - ١٧٣

ولما كان الناس أمة واحدة على التوحيد الذى فطرهم الله عليه ،
إلا أنهم حادوا عن هذه الجادة ، لذا بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ،
وخلال فطرة كونهم على التوحيد ، كان هناك رجال صالحون بينهم
رفعوا فيها لواء الحق وتمسكوا بأمر الفضيلة ، ومن هذا المنطلق الخير
كان لهم أتباع فأحبوهم وتعلقوا بهم ، واتخذوهم قدوة حسنة لهم .
حتى قضت سنة الله فيهم .

وهنا ظهر كيد الشيطان لبني آدم . وظهر منه سر العداوة بين
الشيطان وبني الإنسان ، ذلك لأنه أمر أن يسجد لآدم عليه السلام فعصى
ربه ، وهنا لعنه الله تعالى بقوله :

« قَالَ فَأَخْرِجْهَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۖ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۖ » (١)

وعند هذا الحد من الطرد واللعن الواقع عليه ، ابتدأت نزاعات
الحقد والشر معاً في نفس الشيطان " قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى

يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ۖ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۖ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۖ » (٢)

وهنا لم يطلب هذا الانظار ليستغفر الله ويتوب اليه من فعلته ،
بل لينتقم من آدم عليه السلام ، وذريته ، جزاء ما لعنه الله وطرده .
فقد ربط لعنة الله له بآدم عليه السلام ولم يربطها بعميانه لله

عز وجل . وهنا قال الشيطان متوعدا : " قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي

كَرَّمْتُ عَلَىٰ لَيْنٍ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ لَا أُتَصَّحِفُ

ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۖ قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ

جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ۖ » (٣)

١ - سورة الحجر : الآيتان ٣٤ ، ٣٥

٢ - سورة الحجر :: الآيات ٣٦ - ٣٨

٣ - سورة البقرة : الآية ٦٢

وابتدأت المعركة من ذلك الحين بين الانسان والشیطان الى ان يرث الله الأرض ومن عليها . وقد حدد ابليس أعاذنا الله منه ساحة المعركة وهى الأرض وحدد عدته فى هذه الساحة ، وهى التزيين ، تزيين القبيح والاغراء به وتفتيح الحسن كما قال تعالى :- **«وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أُسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ مَا يُعَدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا»** (١)

وبهذا لا يفعل الانسان شرا ما الا وعليه مسحة من الشيطان زينها له باظهارها فى غير حقيقتها ، فليحذر الانسان منه اذا ما عرض له أمر ما ، الا ان كان هذا الامر فى طاعة الله خالما لا شريك لله فيه ، فان الشيطان يعجز أمامه ولا يستطيع القرب منه لما أخذ على نفسه العهد بقوله :-

"إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ" (٢) فليس له عليهم سلطان ، كما فى قوله: **«إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ»** (٣) ومن هنا كان سر العداوة القائم بين الشيطان وبين الانسان ولا عجب فى ذلك وقد أخذ العهد على نفسه بهذا : **"لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ"** وقال :- **"لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"** (٤) والمقصود من الصراط المستقيم هنا دين الله وهو الاسلام . (٥)

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :-
(ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الاسلام ، فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال :- أتهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وانما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول فعصاه وهاجر ، فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس .

- ١ - سورة الاسراء الآية ٦٤
- ٢ - سورة الحجر الآية ٤٠ : انظر : فى ظلال القرآن : سيد قطب : القاهرة : دار الشروق : ج ٤ ، ص ٢١٣٦ - ٢١٤٢ .
- ٣ - سورة الحجر الآية ٤٢ .
- ٤ - سورة الأعراف : جزء من الآية ١٦
- ٥ - انظر جامع البيان : الطبري : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٥هـ : ج ٨ ، ص ١٣٤

و المال فتقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويقسم المال ؟ فعماه
فجاهد ٠٠٠ الحديث^(١) هذا الحديث يدل على استمرار العداة وأنسه
ما زال قائما ، حتى تمكن من قوم زعاف النفوس لا يثقون بأنفسهم ،
ولم يدركوا تفضيل الله لهم على سائر من خلق تفضيلا ، فزيين
اليطان لهم بهم لأولئك المالحين العابدين بعد ما ماتوا ، وبين
لهم صفاتهم السامية وأوجه الإحترام لهم وكيف يكون ذلك الإحترام ،
وأنهم عبرة وعظة لهم .

ومن هنا ومن هذا التزيين الذي اتخذه عدته وعتاده بدأت
الكارثة العظمى بأن وسوس لهم أن يجعلوا لهم تماثيلاً وصوراً لتذكركم
بهم وتعينهم على عبادة الله .

وهنا ينبرى هذا الجيل المؤمن الذي زين لهم الشيطان، بمنع
هذه التماثيل للذكرى، ومن ثم نقلها إلى أبنائهم للتعظيم والتبرك
ومن الأبناء إلى الأحفاد حيث جعلوها آلهة تعبد من دون الله كما
فى قولهم : ما اتخذ آباؤنا هذه إلا كانت آلهتهم فعبدوها .

وسياق الحديث المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما يبين هذا : قال :
(كانوا أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا ، أوحى
اليطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصاباً
وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك و تنسخ العلم
عبدت) (٢)

١ - سنن النسائى : شرح الحافظ جلال الدين السيوطى ج ٦ : اعتنى به ورقمه ومنع
فهارسه عبد الفتاح أبو غده : ط ١ : بيروت ١٤٠٦ هـ ، كتاب الجهاد : باب ،
لمن أسلم و هاجر و جاهد : ص ١٩ ، ٢٠ رقم الحديث ٣١٣٤ . انظر : الطبرى فى
تفسيره : ج ٨ : ص ١٢٨

٢ - فتح البارى : ابن حجر : ج ٨ : كتاب التفسير : باب (ودا ولا سواع) ، ص ٦٦٧

وهم من أخبر عنهم القرآن الكريم كما في قوله تعالى :
 " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

وَنَسْرًا " (١) وهكذا ظلموا أنفسهم ودبت الوثنية على وجه
 الأرض ، آلهة من دون الله الواحد القهار تُعبد منذ ذلك الحين حتى
 يومنا هذا باختلاف أشكالها وتعدد صورها وأساليبها وعلى حسب
 ما زخرفها الشيطان وزينها •

ومن هنا كانت الحاجة إلى إرسال الرسل إلى البشرية ليعيدوا
 الناس إلى فطرتهم التي فطرهم الله عليها ، وهي الإسلام لله
 تعالى وتوحيده في العبادة كما في قوله تعالى :

" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ
 اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ "

ولما كان الانحراف إلى الوثنية أول ما وقع في قوم نوح عليه السلام
 كان لابد من بيان أهم مظاهر دعوته عليه السلام من حيث التركيز
 على قضية التوحيد ، ذلك أنها هي القضية الأساسية في دعوة كل نبي •
 وما جاء به القرآن الكريم يدل على ذلك دلالة واضحة لأن الخلق إذا
 ما عرفوا أن المعبود الحق هو الله وحده لا شريك له ، واستقر ذلك في
 قلوبهم ، كان من اليسير بعد ذلك التدرج معهم في أمور الشريعة الأخرى •

١ - سورة نوح الآية ٢٣ •

٢ - سورة الروم : الآية ٣٠

وبهذا كان نوح عليه السلام : أول رسل الله لأهل الأرض داعياً

إلى الله بإذنه كما في قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُدِّيَ أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ "

ومن هنا بدأت الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة

وسيتضح ذلك من خلال فصول هذا الباب إن شاء الله .

المبحث الأول : تعريف التوحيد :

جاء الرسل صلوات الله عليهم جميعاً بقاعدة أساسية واحدة

من عند الله تعالى وهي كمال التوحيد لله عز وجل ، وهي

أصل أصول الإيمان وأعلاها وأفضلها ، كما جاء في قوله تعالى :

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢﴾ "

والتوحيد في اللغة : الحكم بأن الشيء واحد ، والعلم بأنه واحد . (٣) وهو

الإيمان (٤) بالله وحده لا شريك له الواحد الأحد .

و الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الإنقسام ولا نظير له ولا مثل ، (٥) وهو

أول العدد .

١ - سورة الأعراف : الآية ٥٩ . ٢ - سورة الأنبياء : الآية ٢٥

٣ - التعريفات : للرجزاني : بيروت : دار لبنان : ١٩٧٨ ، ص ٧٣

٤ - لسان العرب : ابن منظور : بيروت : دار صادر : دت : ج ٣ : باب الدال فصل الواو ، ص ٤٥٠

٥ - الإقتصاد : في الاعتقاد : محمد أبو حامد الغزالي : الطبعة الأخيرة : مطبعة الحلبي : دت ، ص ٣٩ . انظر : الصحاح : الجوهري : تحقيق أحمد عطار : ط ٢ : بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٩ : ج ٢ : باب الدال فصل الواو ، ص ٥٤٨

والأحد : ذو الوجدانية والتوحيد ، ولا ينعت به غير الله تعالى
لخلوص هذا الاسم الشريف لله جل ثناؤه . (١) ولا يجمع هذان الوصفان
إلا لله عز وجل .

أما تعريفه في الاصطلاح : فقد عرفه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه
الله بقوله : [التوحيد عند علماء السلف هو إثبات الألوهية لله
وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ، ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ،
ولا يوالى إلا له ولا يعادى إلا فيه ، ولا يعمل إلا لأجله ، وذلك يتضمن
إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات .] (٢)

فالتوحيد على ما تقدم يتضمن إثبات الإلهية والعبادة والأسماء
والصفات لله عز وجل وحده لا شريك له .

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - حقيقة التوحيد بقوله : [أول
دعوة الرسل وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى
الله تعالى] (٣)

أما كونه أول دعوة الرسل : فقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة
وأكدتها في قصة كل رسول أرسل إلى قومه كما جاء في قوله
تعالى مخاطباً في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم :

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ " (٤)

- ١ - معرفة الله : عيد القادير الرحباوى : ط ١ : د ٥ : م ١٤٠٥ ، ص ٣٧ . انظر : المقصد الأسنى :
أبى حامد الغزالي : تحقيق محمد الخشت : القاهرة : مكتبة القرآن : ١٩٨٥ م ، ص ١٨٨
تفسير سورة الإخلاص : ابن تيمية : القاهرة : دار الطباعة المحمدية : دت ، ص ٢١٦ .
أسرار المعاني في أسماء الله الحسنى : محمود حسن : الإسكندرية : المكتب الجامعي
الحديث : ١٩٨٨ ، ص ١٩١ . ولله الأسماء الحسنى : أحمد عبد الجواد : بيروت : دار
الكتب العلمية : دت ، ص ١٦٩
- ٢ - رءى تعارض العقل والنقل : ابن تيمية : ط ١ : الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود :
١٣٩٩ هـ : ج ١ ، ص ٢٢٤
- ٣ - مدارج السالكين : ابن القيم : ط ٢ : دار الكتاب العربي : بيروت : دت : ج ٣ ، ص ٤٤٣
انظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية : على الحنفى : تحقيق عبد الرحمن عميرة :
ط ٢ : الرياض : مكتبة المعارف سنة ١٤٠٧ : ج ١ ، ص ٧٧
- ٤ - سورة الأنبياء : الآية ٢٥

فكل رسول جاء يدعو قومه إلى توحيد الألوهية ، وتوحيد العبادة
 معا . و أما كونه أول منازل الطريق : فهذا يعنى أن التوحيد هو
 الموصول إلى سواء السبيل .
 وكونه أول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل ، فهو ما يجب
 الإيمان به وذلك بأن يشهد أن لا إله إلا الله ، وهذه الشهادة متضمنة
 أمره بعبادته سبحانه وحده لا شريك له ، وهذا هو العلم بالعقائد
 الدينية . (١)

بكل هذه المعاني جاءت دعوة نوح عليه السلام مقسرة
 لحقيقة التوحيد كما في قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِي أُعْبِدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ (٢)

ففي هذه الآية الكريمة بين الله سبحانه وتعالى أن في دعوة نوح
 عليه السلام ميزات ثلاث هي :-

أولاً : أن نوحاً عليه السلام أمر قومه بعبادة الله وحده لا شريك
 له ، وفي هذا تركيز على تعيين الناس لله عز وجل ، وهذه
 العبودية تعنى نزع السلطان كله لله تعالى وحده . فعبودية الناس
 جميعاً متمثلة في معنى أن لا يكون لهم إله إلا الله وحده لا شريك له ،
 والسلطان لله متمثل في الاعتقاد بكمال ربوبيته تعالى لهذا الوجود
 كله . وهذا يدل على أن المتفرد في الخلق متفرد في عبوديته ،
 وفي هذه الدلالة أمر ايجاب فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وقد

١ - التحقيق التام في علم الكلام : محمد الظواهري : ط ١ : مكتبة النهضة المصرية : ١٣٥٧
 ص ٢

٢ - سورة الأعراف : الآية ٥٩

دل على هذا الأمر قوله تعالى : " اعبدوا الله " أي [الذي له العبادة
وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالإستعانة] (١)

ثانياً : أنه عليه السلام قرر لقومه إثبات وحدانية الله عز وجل
بأنه لا إله غير الله ، وهو متمثل في قوله تعالى :
" ما لكم من إله غيره "

أي [دعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، فإنه ليس لكم معبود
يستوجب عليكم العبادة غيره] (٢)
ويتضح من هذا المعنى أمر جلي ألا وهو أن افراد الله تعالى
بالوحدانية يستلزم إفراده بالعبادة .

ثالثاً : قوله " إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " . لقد ذهب المفرون
في تفسير هذا العذاب إلى عدة سبل :

- منهم من قال أن المقصود به هو عذاب يوم القيامة ، وعلى هذا
التقدير فقد جاء نوح عليه السلام مقررّاً بذلك عقيدة اليوم الآخر .
- ومنهم من قال : هو الإنذار من عذاب الطوفان ، وعلى هذا
فقد قرر عليه السلام النبوة . (٣) وكل منهما محتمل .

وعلى أي من التقديرين فالآية الكريمة جاءت موضحة لأصول العقيدة
الثلاثة وهي :-

الأول : إفراد العبودية لله تعالى وفي ذلك إثبات الوحدانية لله سبحانه
وتعالى .

١ - جامع البيان : الطبري : ج ٨ ، ص ٢١٣

٢ - المرجع السابق : ص ٢١٣

٣ - النظر : التفسير الكبير : الرازي : ط ١ : بيروت : دار الفكر : ١٤٠١ : ج ١٤ ، ص ١٤٩

الثانى : إثبات النبوة •

الثالث : إثبات يوم القيامة ، وفي ذلك إثبات للمعاد •

وعلى ما تقدم فحقيقة التوحيد الذى دعا إليه أول رسل الله عز وجل إلى أهل الأرض ، جاء مبيناً لأصول العقائد جميعاً من لدن آدم عليه السلام ، إلى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى حقيقة واحدة متمثلة فى قولهم : " اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ " (١)

...

المبحث الثاني

التوحيد الذي دعت إليه الرسل

بعد التعريف العام للتوحيد سواء كان لغة أو اصطلاحاً ، يتضح لنا أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل نوعان : [توحيد في الإثبات والمعرفة وتوحيد في الطلب والقصد . (١)]

المطلب الأول :

توحيد المعرفة والإثبات : وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شيء في ذلك كله ، كما أخبر به عن نفسه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . (٢)

وقد بين القرآن الكريم ذلك كما في قوله تعالى :

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ " (٣)

وهذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، والمقصود بقوله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السموات والأرض تملح العبادة له إلا أنا فاخلصوا لي العبادة وأفردوا لي الألوهية . وقد روي عن قتادة رضي الله عنه أنه قال في تفسيره لهذه الآية الكريمة : [أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد ، لا يقبل

١ - شرح الطحاوية : أبو العز الحنفى : ج ١ ، ص ١٧٢ .

انظر : مدارج السالكين : ابن القيم : ج ٣ ، ص ٤٤٣ .

٢ - سورة الشورى : الآية ١١ .

٣ - سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

منهم عمل حتى يقولوه ويقرؤا به ^(١)]

فالمقصود بالتوحيد هو : افراده سبحانه وتعالى بالالهية .
 وأما كلمة الإخلاص : فهي كلمة التوحيد ، ^(٢) وهو إفراده سبحانه
 وتعالى بالعبادة لما في ذلك من إخلاص كمال العبودية لله عز
 وجل . وهذا هو المقصد الثاني من التوحيد الذي دعت إليه
 الرسل وهو توحيد الطلب والقصد ، المتضمن الإيمان بالشرع والقدر معاً .
 وبهذا فإن الدين الذي أرسل به الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة
 والسلام هو الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره لا من الأولين
 ولا من الآخرين ، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام المتضمن العقيدة
 والشريعة معاً .

قال تعالى : " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِنَّا لَمُتَّبِعُونَ
 وَالْأَسْبَاطُ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٣٠﴾ "

فهنا بين نوح عليه السلام لقومه ما أوجبه الله تعالى عليهم من
 إقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وترك إشراك الآلهة
 في عبادته . ولأنهم لم يخلصوا لله في العبادة فقد ضيعوا
 وفرطوا في حق الله تعالى ، ووقعوا في الإشراك .

-
- ١ - جامع البيان : الطبري : ج ١٧ ، ص ١٥
 - ٢ - لسان العرب : ابن منظور : ج ٧ باب الصاد : فصل الخاء ، ص ٢١
 انظر : ثلاث رسائل : للحافظ ابن رجب الحنبلي : ط ١ : الكويت : الدار السلفية :
 ١٤٠٧ ، ص ١٠٠ : انظر : شرح الطحاوية : علي أبي العز الحنفي : ج ١ ، ص ١٠٢
 - ٣ - سورة البقرة : الآيات ٣٦

وبهذا ، فأول دين و أول اعتقاد و إيمان كان إسلاماً كاملاً لباري السموات والأرض ، من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لقوله تعالى : " **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** " (١) . فالإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين لأن جميع الأنبياء على الإسلام .

تعريف الإسلام :

لما كان الدين عند الله الإسلام ، وهو الدين الذي لا يقبل الله عز وجل غيره . كان لابد من بيان معنى الإسلام وأقسامه وأركانه . والإسلام في اللغة : من أسلم أي انقاد ، ومنه تبرأ وتسلم أي صار مسلماً . ومنه كان الإنقياد والاستسلام لله عز وجل . (٢) وتسلم : أي سمي مسلماً . (٣)

وفي الشرع : [الإنقياد لله بقبول رسوله عليه السلام بالتلفظ بكلماتي الشهادة والإتيان بالواجبات والإنتهاء عن المنكرات .] (٤)

يتضح من هذا التعريف أن الإسلام يضم العقيدة والشريعة معاً . فجانبا العقيدة من هذا التعريف : هو الإقرار بالشهادة بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

١ - سورة آل عمران : جزء من الآية ١٩

٢ - انظر : مجموع الفتاوى الكبرى : ابن تيمية : القاهرة : مكتبة ابن تيمية : ج ٣ ، ص ١٩ ، ج ١ ، ص ١٨٩

٣ - انظر : الصحاح : الجوهري : ج ٥ : باب الميم فصل السين ، ص ١٩٥٢ - لسان العرب : ابن منظور : ج ١٢ ، باب الميم فصل السين ، ص ٢٩٥

٤ - عمدة القاري : للعيني : ج ١ : كتاب الإيمان : باب ماهية الإسلام : ص ١٠٩

وجانب الشريعة : هو الإتيان بالواجبات والإنتهاء عن المنكـرات
وبهذين التعريفين يخلص معنى الإسلام إلى الإستسلام الكامل لله
بالتوحيد ، والإنقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك . وقد دل
على ذلك حديث أبو هريرة رضى الله عنه ، عندما سُئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قبل جبريل عليه السلام عن الإسلام
فقال : (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي
الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان) (١)

وفى رواية ابن عمر رضى الله عنهما : (الإسلام : أن تشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة
وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) (٢) فالإسلام قائم
على العقيدة من حيث النطق بالشهادة ، وعلى الشريعة من حيث القيام
بباقى أركان الإسلام من إقامة صلاة ، وإيتاء زكاة ، وصوم رمضان ، وحج
البيت الحرام .

٢ - أقسام الإسلام :

بعدما اتضح لنا تعريف الإسلام ، يتضح لنا فيما يلى أن الإسلام ينقسم
إلى إسلام خاص ، وإسلام عام .

١ - فتح البارى : ابن حجر : ج ١ ، كتاب الإيمان : باب سؤال جبريل للنبي صلى الله
عليه وسلم عن الإيمان ، والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، ص ١١٤

٢ - أخرجه مسلم : انظر : صحيح مسلم : بشرح النووى : كتاب الإيمان : تعريف
الإسلام والإيمان : ج ١ ، ص ١٥٧

الإسلام الخاص :

هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن، (١) وليس عليه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا من فضل الله تعالى أن اختار محمد صلى الله عليه وسلم بمنته وفضله لأن يكون رسول الإسلام ، وهو الدين الذي ارتضاه تعالى لنفسه ولم يرض من أحد غيره ، وهو الدين الذي مات عليه جميع الأنبياء عليهم السلام ، لقوله تعالى :-

" إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا سَلَمٌ " (٢) وقوله :

" وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٣﴾ " وهذا الدين هو سمة من سمات أمة محمد صلى الله عليه وسلم

خصهم الله تعالى به بأن سماهم المسلمين . قال تعالى :

" وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ " (٤)

وهذا فضل من الله تعالى امتن به على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفضلها به على العالمين ، ولا يكون لها هذا الفضل إلا إذا حققت

١ - انظر : مجموع الفتاوى الكبرى : ابن تيمية : ج ٣ ، ص ٩٤

٢ - سورة آل عمران : جزء من الآية ١٩

٣ - سورة آل عمران : الآية ٨٥

٤ - سورة الحج : جزء من الآية ٧٨

الهدف الذي خلقت من أجله وحبها الله به : " كنتم خير أمة أخرجت للناس ... " (١) وأدت من شرط هذه الخيرية الذي أورده ابن كثير في تفسيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : [من سرّه أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها] . (٢) و شرط الله تعالى فيها : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد كان مقابل هذا المدح ذم لأهل الكتاب وذلك لأنهم " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه " . وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة تثبت فضل من كان من هذه الأمة ، وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة .

وقد أورد صاحب جامع البيان حديثاً : أن عمر بن الخطاب رأى من الناس رعة سيئة في حجة حجها فقرأ هذه الآية " كنتم خير أمة أخرجت للناس " ثم قال : يا أيها الناس من سرّه أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها . (٤)

وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة ، بما حبها الله عز وجل به لتكون طليعة هذه البشرية ومن بيدها زمام قيادتها . لما جعله الله تعالى لها من مكانة سامية لوجود خير خلق الله منها ، وبما دعا إليه ، لا يرجو حيال ذلك إلا رحمة الله تعالى ، ولا يدخل في هذه إلا من أدى شرط الله تعالى فيها وقام بكامل تكاليفها ، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

-
- ١ - سورة آل عمران : جزء من الآيه ١١٠
 - ٢ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : بيروت : دار احياء التراث العربي : ١٣٨٨ : ج ١ ، ص ٣١٧
 - ٣ = الرعة بوزن العده ، الاحتشام والكف من سوء الأدب سىء الرعة قليل الورع .
 - ٤ - انظر جامع البيان : الطبري : ج ٤ ، ص ٤٣ .

وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال في تفسيره لهذه الآية الكريمة : [ان المعنى تأمروهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقرؤا بما أنزل الله تعالى وتقاتلونهم " عليهم " ولا إله إلا الله هي أعظم المعروف وتنتهون عن المنكر . والمنكر هو الكذب وهو أنكسر المنكر . (١)]

وفى هذا أمر تام بالإيمان بالله تعالى ورسوله والعمل بشرائعه . وأعلى مراتب الإيمان بالله تعالى هي قول لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : (الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان) (٢)

بهذا ما كانت هذه الخيرية لهذه الأمة إلا لما وقع على كاهلها من قيام بالأمر بالإيمان بالله تعالى . والنهى عن كل ما نهى عنه وزجر بقدر المستطاع من عامة الناس ، كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (٣)

وليعلم المؤمن أن وراء هذه التكاليف متاعب شاقة تعترضه أثناء تأديته لهذا الدور لما في ذلك من مواجهة لأهل الباطل لأنهم لا يريدون أن يشهدوا أن لا إله إلا الله بكل مقتضياتها لما في ذلك من منازعة للحاكمية لله عز وجل .

-
- ١ - روح المعاني : الألوسي : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٣ : ج ٤ ، ص ٢٨
 - ٢ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ٢ : كتاب الإيمان : الحياء شعبة من الإيمان ، ص ٦ انظر جامع البيان : الطبري : ج ٤ ، ص ٤٥
 - ٣ - صحيح مسلم : النووي : ج ١ : كتاب الإيمان : وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ص ٢٢
انظر : في ظلال القرآن : سيد قطب : ج ١ ، ص ٤٤٦

لذا كان من واجب الأمة الإسلامية أن تعود إلى مناهل الجيل
القرآنى الأول وتتقى مما كان يستقى منه، لتحقيق بذلك مفهوم الأمة
الإسلامى ، ولتربى أفراد هذا الجيل وفق ما كان عليه سلف هذه الأمة
الصالح ليتم لها بذلك تحقيق الخلافة لهذه الأرض وجعل كلمة الله
تعالى هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

الإسلام العام :

سبق بيان القسم الأول من أقسام الإسلام وهو إسلام الخاص :
وهو ما كان خاصاً بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لهذا
كانت تسميتهم بالمسلمين ، أما القسم الثانى من أقسام الإسلام فهو
ما كان عاماً لجميع الرسل عليهم السلام وهو : ما تضمنته كل
شريعة بعث الله عز وجل بها نبياً من الأنبياء عليهم السلام . (١)
وقد دل على هذا قوله تعالى :

” شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ” (٢)

هذه الآية الكريمة تبين أن دين الأنبياء عليهم السلام دين واحد .
فالذى شُرع من الدين هو ما وصى به الله تعالى نوحاً عليه السلام
و النبيين من بعده ، وما أوصى به محمداً صلى الله عليه وسلم من

١ - انظر : دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ٢ : ص ٤٢٢ ، مجموع الفتاوى الكبرى : ابن تيمية
ج ٣ ، ص ٩٤

٢ - سورة الشورى : الآية ١٣

إقامة أمور هذا الدين وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإفراده
بالألوهية . وهذا يعنى أن جميع الأنبياء عليهم السلام على دين
واحد ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم
في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم
واحد .) (١)

فدلالة الحديث واضحة على أن أصل دينهم واحد ، وهو التوحيد ،
وإن اختلفت شرائعهم وأزمنتهم ، ولهذا كان الدين عند الله الإسلام
الذى شرعه لهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام .
وفي آية الشروع هذه لفظة عظيمة ودلالة واضحة لإثبات رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم ، حيث ذكر الوحي عند ذكره عليه الصلاة
والسلام ، على الرغم مما ذكر قبله صلى الله عليه وسلم من
أمور التوحيد وما جاء بعد نوح عليه السلام وفي هذا تمريح
برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لما في ذلك من " عطف " ما وصى
به نوحاً عليه السلام على الذى أوصى إلى محمد صلى الله عليه
وسلم وفي هذا جمع بين طرفي الأديان .

الإحتجاج بهذه الآية :-

احتج قوم بهذه الآية على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
مبعوثاً بشريعة نوح عليه السلام .

١ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٦ : كتاب أحاديث الأنبياء : باب " وأذكر في الكتب
مريم إذ انتبذت من أهلها " ، ص ٤٧٨

الجواب :

و الجواب على هذا أنهم عليهم السلام جميعاً أمروا بإقامة أصول الدين وهي [توحيد الله والإيمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه] (١) وهذه الأصول أمر بها نوح عليه السلام قومه • فدينه هو الأساس للديانات اللاحقة كما في قوله تعالى :

" إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَعَزَّيْنَا دَاوُدَ وَزُبُرًا ﴿٢﴾ "

وفي هذا إشاره إلى أن دين الإسلام هو الدين المشروع من لدن نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام • ويرجع سبب الإقتمار على ذكر أولي العزم من الرسل بهذا التشريع ما ينجلي :-

أن دعوة نوح عليه السلام هي أساس الديانات اللاحقة • ودعوة إبراهيم عليه السلام هي أصل الحنيفية وانتشرت بين العرب بدعوة إسماعيل ، فدعوة إبراهيم عليه السلام أشهر الدعوات بين العرب • وفي ذكر موسى عليه السلام ، لأن دعوته أوسع الدعوات في تشريع الأحكام •

١ - فتح القدير : الشوكاني : لبنان : دار المعرفة : م ٤ ، ص ٥٣٠

٢ - سورة النساء : الآية ١٦٣

وأما دعوة عيسى عليه السلام فلأنها السابقة لدعوة محمد صلى الله وسلم والمصممة بالإسلام ، ولم يكن بينهما دين ، وفي ذلك حكمة عظيمة من ورود ذكر موسى وعيسى عليهما السلام ، ذلك ليهيئاً كلاً من اليهود والنصارى لدعوة الإسلام .

وبهذا الإسلام العام جاء كل رسول يقول لقومه المعرضين :
 " فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ " (١) أي إنني أمرت أن أكون من المدعنين له بالطاعة والمنقادين لأمره ونهييه المتذللين له ، فواء قبلتم أم لم تقبلوا به فأنا مأمور بذلك وكل نبي منهم تحمل في ذلك أشد العذاب ، وقد تحمل كل ما حمل له من أجل تبليغ هذه الدعوة ، وفي هذا درس للدعاة إلى الله تعالى وإن طريق الدعوة شاق ومحفوف بشتى أصناف البلاء . (٢)

٣ - ما يبنى عليه الإسلام :

إن ما يميز أهل الإيمان عن أهل الكفر هو الإيمان بالوحدانية والرسالة معا .
 لهذا كان أعظم ما يبنى عليه الإسلام هو الإيمان بكل ما أمر به المرء .
 وقد أخرج الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عندما سأل جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فقال : (أن تشهد أن

١ - سورة يونس : الآية ٧٢

٢ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١١ ، ص ١٤٤ ، التفسير الكبير : الرازي : ج ١٧ ص ١٤٦ . مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٧ ، ص ٦٢٣

لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتموم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً (١)

وهذا الحديث جمع بين كون الإسلام عقيدة وشريعة :
فأما كونه عقيدة فيتمثل في الشهادتين والإقرار بهما قولاً وعملاً .
وشريعة : ذلك من خلال تطبيق شعائر الإسلام المأمور بها . وقد
جاء تعريف الإيمان بما فر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الإسلام حيث قال : (آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله
ثم فرها لهم ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ،
 وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم) (٢)
وبهذا الحديث نجد تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم
للإيمان مماثل لتفسيره للإسلام كما جاء في حديث جبريل عليه
السلام ، وأن هناك أمر جامع بينهما ألا وهو إقرار وحدانية الله
تعالى .

٤ - الربط بين الإسلام والإيمان :

عند تدقيق النظر في كل من معنى الإيمان والإسلام نجد
التوافق بينهما فالإسلام كما جاء في حديث ابن عمر ما جاء من
خبر جبريل عليه السلام أن تعبد الله ولا تشرك به . مع الأخذ
بباقى الأمور التشريعية من صيام وزكاة وحج .

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١ ، كتاب الإيمان : باب تعريف الإسلام والإيمان ، ص ١٥٧

٢ - المرجع السابق : ص ١٨٣

وفى تعريف الإيمان فى نفس الحديث : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .) (١)
 شهادة أن لا إله إلا الله كما هي في تعريف الإسلام تدخل تحت الإيمان بالله كما هو في تعريف الإيمان .
 وشهادة أن محمد رسول الله تدخل تحت الإيمان بالرسول . وإقامة شرائع الإسلام ، تضم ما جاء في تعريف الإيمان وذلك لما يستوجبه من أداء شعائر تعبدية ظاهرة ؛
 وبهذا يمكن القول إذا افرد الإيمان فإنه يتضمن الإسلام ، وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمناً . (٢)

وهناك آية فى كتاب الله تجمع بين التعريفين ، قال تعالى :

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُرُوءَاتِ بَعْدَ هَمِّهِنَّ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرَاقِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : [إن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام ، وأخذ بمجامع الخير كله وهو — الإيمان بالله .] (٤)

- ١ - شرح العقيدة الطحاوية : على بن العز الحنفى : ٣٩١ .
- ٢ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١ ، كتاب الإيمان : باب تعريف الإسلام والإيمان ، ص ١٥٢ انظر : حد الإسلام و حقيقة الإيمان : عبد المجيد الشاذلي : الطبعة الأولى : مكة المكرمة : جامعة أم القرى ص ١٨٦ .
- ٣ - سورة البقرة : الآية ١٧٧
- ٤ - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ج ١ ، ص ٢٠٧

وبهذا يتضح أن الإيمان هو العقيدة ، والإسلام ما كان من أمور الشرع
التعبدية الظاهرة .

وعلى هذا فإن [الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان ، وأن كل مؤمن
مسلم وليس كل مسلم مؤمناً .]^(١) وهذا يعنى انهما اذا اجتمعا افترقا واذا
افترقا اجتمعا .

وبناء على هذا فقد جاءت دعوة الرسل عليهم السلام للإيمان
بالله تعالى عموماً ، وقد بدأت الدعوة إلى الله بعدما فسدت
عقائد البشرية كما أسلفنا سابقاً . وذلك بإيقاظ العقل البشري أولاً
بالطريقة الثابتة التى لا تتغير مهما كرر ليل وضياء نهار . تلك
الطريقة هي سلوك سبيل العلم بشتى الوسائل ومختلف المناهج التى
تؤدى إلى إفراد الله تعالى بالعبادة .

ولقد كان هذا جلياً واضحاً في أول دعوة جاءت تدعو إلى توحيد
الله تعالى ، وهي دعوة نوح عليه السلام . فقد دعا قومه إلى
أصليين عظيمين من أصول العقيدة .

أولاً : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وثانياً : الأمر بطاعة رسول الله كما في قوله تعالى :

" إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾
قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا (٢)

فهذه الآيات الكريمة توضح الغرض الذي من أجله بعث الله سبحانه
وتعالى رسله بأن يعبدوا الله وحده لا شريك له .

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١ ، ص ١٤٨ : انظر تفسير القرآن العظيم : ابن
كثير : ج ٤ ، ص ٢٥٣

٢ - سورة نوح : الآيات : ١ - ٣

المطلب الثاني : توحيد الطلب والقصد ، وهو توحيد العبادة :

وهو القسم الثاني من أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل :
توحيد العبادة .

سبق بيان القسم الأول من أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل وهو
توحيد المعرفة والإثبات لحقيقة الله تعالى بأنه إله واحد فرد صمد
لا شريك له وهذا ما جاء به كل رسول من عند الله تعالى بقوله :
" يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ الْإِنْسَانَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ " (١)

فمناط قول كل نبي من الأنبياء عليهم السلام يدعو إلى قمي
التوحيد المأمور به من توحيده بالألوهية ، وافراده سبحانه وتعالى
بالعبادة ، وهذا هو القسم الثاني من أقسام التوحيد الذي دعت
إليه الرسل عليهم السلام .

ولبيان تمام الفائدة في هذا الموضوع إن شاء الله كان لابد من بيان
معنى العبادة لأهميتها .

العبادة في اللغة : من العبد : الإنسان حرّاً كان أو رقيقاً (٢) ويذهب
بذلك إلى أنه مربوب لباريه عز وجل .

والتعبد : التفرد للعبادة والتنسك . (٣)

والعبادة هي : الطاعة مع الخضوع ، ومنه طريق معبد ، إذا كان مذلاً بكثرة الوطء .

١ - سورة هود : جزء من الآية ٦١

٢ - انظر : لسان العرب : ابن منظور : باب الدال : فصل العين ، ص ٢٧٠ - ٢٧٣

٣ - انظر : المنجد في اللغة والأعلام : ص ٤٨٣

والعبادة في الإصطلاح : هي مقام الشريعة ، ونهاية التعظيم ، وهي عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير . (١)

وهذا هو المقام الأول المطلوب من الإنسان من حيث القيام به والمحافظة عليه لتكامل بذلك أوامر الله عز وجل ، لأن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ، ومحبته والخوف منه والإخلاص له ، لأن يذكره تطمئن القلوب ، وبرؤيته في الآخرة تقر العيون ، لذا وجب بالضرورة كون الله تعالى هو المعبود ، ولا يكون ذلك إلا بأمرين :

أولاً : وجوب أن يكون الله تعالى هو المقصود المدعو والمطلوب والمعين على كل شيء وما سواه هو المكروه .

وعلى هذا تكون عبادة الله تعالى هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . (٢)

وهذا هو مقتضى العبودية لله تعالى .

ثانياً : أن لا يؤله ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له . لأن فقر العبد شيء معترف به فلا بد أن يعبد الله سبحانه ولا يشرك به شيئاً .

[لأن حقيقة العبد قلبه وروحه ، وهي لا صلاح لها ، إلا بالله]

الله الذي لا إله إلا هو ، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ولا بد لها من لقاءه ، ولا صلاح لها إلا بلقائه . (٣)

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ١ ، ص ١٩١ - ٢٤٦ - ٢٥٤ . انظر قاعدة في المحبة ابن تيمية : تحقيق : محمد رشاد سالم : القاهرة : مكتبة دار التراث الإسلامي : ١٩٨٧ ص ٨٧

٢ - انظر : العبودية : ابن تيمية : ط ٦ : بيروت : المكتب الإسلامي : ١٤٠٣ ، ص ٢٨

٣ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ١ ، ص ٢٤

فإننا نلاحظ هنا أن الإقرار بتوحيد العبادة يؤدي إلى الإقرار بالمعاد . لما في ذلك من بذل خالص الجهد في توجيه العبادة لله تعالى ، الذي يوفي كل نفس بما كسبت ، وهي تطمع بالنظر إلى رؤية وجهه الكريم في دار الجنان .

ولما كانت دعوة الرسل عليهم السلام تركز على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة ، كانت دعوة نوح عليه السلام أولى الدعوات الداعية إلى هذا بعدما فسدت العقائد ، وجادل قومه في ذلك جدالاً مريراً كما في قوله تعالى :

" قَالُوا يَنْتَهِ قَدْ جَدَلْتَنَا فَاكْثَرْتَ جِدَالَنَا إِنَّا بِمَا تَعْبُدُ إِنَّا كُنَّا

مِنَ الْعَادِلِينَ ﴿١﴾ " (١) وهذه المجادله [لم تكن في تفاصيل

الأحكام الشرعية بطبيعة الحال ، إنما كانت في تأسيس دعائم العقيدة والدعوة إلى توحيد الله تعالى ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .] (٢)

وعلى الرغم من جحود قوم نوح لم ييأس عليه السلام من دعوتهم إلى الله تعالى . وقد تكرر النداء إلى قوم نوح لتوجيه العبادة لله وحده لا شريك له في مواضع عدة في القرآن الكريم ، وتناول مع ذلك النداء جوانب متعددة من وصفه ليوم الجزاء بصيغ شتى .

الجانب الأول :

بصفة الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وتوحيده بالعبادة كما جاء في

١ - سورة هود : الآية ٢٢

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٢ ، ص ٩٧

قوله تعالى :

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ " (١) وكما جاء في قوله تعالى :
" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢﴾ " (٢) وكما في قوله تعالى :
" أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا رُسُلَهُ ﴿٣﴾ " (٣)

هذه الآيات الكريمة تشير إلى :-

- ١ - الأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى ، وإخلاص الوجدانية له سبحانه .
- ٢ - أن نوحاً عليه السلام ما أمر قومه إلى عبادة الله ، إلا بعدما عرفهم (٤)
أنه لا إله إلا الله ، وأنه ما لهم من إله غيره ، كما في قوله تعالى :
" يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ " (٥) لذا شفع القرآن الكريم على
المشركين من إقرارهم بتوحيد الربوبية وإنكارهم للألوهية كما جاء

ذلك في قوله تعالى : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ

أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ

اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦﴾ " (٦)

-
- | | |
|--|--------------------------------|
| ١ - سورة الأعراف : الآية : ٥٩ | ٢ - سورة المؤمنون : الآية : ٢٣ |
| ٣ - سورة نوح : الآية : ٣ | |
| ٤ - انظر : التفسير الكبير : الفخر الرازي : ج ٢٣ ، ص ٩٢ | |
| ٥ - سورة هود : جزء من الآية ٦١ | ٦ - سورة الزمر : الآية ٣٨ |

فهذه الآية الكريمة تدل على أمرين عظيمين :-

الأول : ان المشركين مقرون بوجود اله متفرد بالقدرة على الخلق وهذا يؤدي إلى الإقرار بوجود إله ، قادر ، حكيم ، عليم ، رحيم ، متفقد عليه بين العالمين في زمن نوح عليه السلام .

الثاني : ان هذه الأصنام التي يعبدونها لا قدرة لها على دفع ، ضر أو جلب نفع ولعجزها عن ذلك كان لابد من الاعتراف بوجود الله تعالى على أنه القادر على كل شيء ، وافراد عبادته وحده لاشريك له .

وفي قول الرازي أنه لا يجوز أن يدعوهم إلى ذلك إلا وقد دعاهم إلى معرفته أولاً وهو من أمور التفكير في الأنفس والآفاق . (١)

وبناءً على ما اتضح من قوله تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض " عدة أمور :-

أولاً : ان الإقرار بربوبية الله تعالى أمر فطري فطر الله سبحانه عليه

الخلق لقوله تعالى : " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ " (٢)

والمقصود بالدين القيم هنا الإسلام لله عز وجل من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم وذلك بالإستسلام التام لله عز وجل .

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٧ ، ص ١٥٦

٢ - سورة الروم : الآية ٣٠

ثانياً : ما كان من مشركي العرب في صدر الدعوة الاسلامية ، بأنهم مقرون بتوحيد الربوبية لقوله تعالى :

" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ "

فهذا إقرار منهم بمطلق ربوبيته تعالى ، أما ما كان من شأن الإشراك بعبادته فقد أجابوا على هذا فقالوا :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (٢)

وهذا ما كان من شأن مشركي قوم نوح عليه السلام ، كانوا مقرون بتوحيد الربوبية ، ويبقى في حقهم الإقرار بتوحيد الألوهية الذي هو مناط الأمر وقصده .

ولعلمه عليه السلام العلم التام بإيمانهم بتوحيد الربوبية ، طلب منهم توجيه مطلق العبادة لله عز وجل ، وحده لا شريك له ، إلا أنهم أصروا على كفرهم ، كما جاء جلياً في قوله تعالى :

" وَمَكْرُؤُكُمْ كَبِيرٌ ﴿١﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُ، الْهَتَكُمُ وَلَا نَذَرُ وَدَاوِلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢﴾ " (٣)

الجانب الثاني : بصيغة النهي عن عبادة غير الله تعالى ، وقد تمثيل ذلك

في قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ﴿٢﴾ " (٤)

١ - سورة العنكبوت : الآية ٦٣ ٢ - سورة الزمر : جزء من الآية ٣

٣ - سورة نوح : الآيتان ٢٢ - ٢٣ ٤ - سورة هود : الآيتان ٢٥ - ٢٦

وفي هذا بيان أن ذلك الإنذار ما كان إلا للنهي عن عبادة غير الله تعالى فقله " أن لا تعبدوا إلا الله "، بدل من قوله " إني لكم نذير " ومن بعد ذلك أكدته ^(١) بقوله تعالى : " إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " .

ورغم ذلك الإنذار ، فقد أمروا على كفرهم .

وعلى هذا المنهج سار نوح عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، مقرناً بذلك الإنذار من عذاب يوم عظيم . وموجهاً قومه إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ليحصل لهم إقرارهم بالمانع على أنه وحده المستحق للعبادة لا شريك له .

...

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ١٧ ، ص ٢١٩

المبحث الثالث

ما تتضمنه كلمة التوحيد

ان لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد ، وكلمة التقوى ، وكلمة الإخلاص ، ومعناها : ان الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ، وهذا يعنى أنها تتضمن توحيد الألوهية ، المتضمن لتوحيد الربوبية المتمثل في عبادة الله وحده لا شريك له ^(١) ويتجلى مصداق ذلك كما في قوله تعالى :

"وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝" (٢)

فهذه الآية الكريمة تبين مضمون كلمة التوحيد وأنها تدعو إلى ثلاثة أقسام :

- الأول : توحيد الألوهية .
- الثاني : توحيد الربوبية .
- الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

المطلب الأول : توحيد الألوهية :

١ - معنى توحيد الألوهية : مشتق من إله بمعنى المألوه المستحق لأن يؤله أى يعبد ، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده ^(٣) فهو

١ - انظر : العقيدة الطحاوية : ابى العز ، ص ٧٩

٢ - سورة البقرة : الآية : ١٦٣

٣ - انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ١ ، ص ٢٢ : ج ١٣ ، ص ٢٠٢ ، الصحاح :

الجوهري : ج ٦ ، باب الهاء ، فصل الهمزة ، ص ٢٢٢٤

على هذا [أن يعبد الله وحده لا يشرك بعبادته أحداً من خلقه] (١) ولا تكتمل هذه العبودية و التلبيح المحض لله تعالى إلا بكمال و خلوص الحب لله تعالى ، وذلك لأن أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله عليه السلام ، وحب الله أصل التوحيد العملي ؛ وفي هذا أصل التأليه ، المتمثل في عبادته وحده لا شريك له ، لهذا كانت العبادة أصلاً أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع وهذا هو الإسلام .

ولما كان أصل الشرك الذي وقع فيه قوم نوح عليه السلام أن جعلوا لله تعالى أنداداً يحبونهم كحب الله ، أو أشد حباً ، كان هذا عاملاً أساسياً لوقوع الناس في الشرك لما في ذلك من عدم إخلاص المحبة لله تعالى .

لذا كانت دعوة كل رسول إلى قومه متمثلة بإفراده تعالى بما اقتضته إلهيته (٢) من المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والأمر والنهي ، وبما اقتضته ربوبيته من إخلاص التوكيل والتفويض ، و التلبيح الكامل لله تعالى ، ذلك أن الله عز وجل هو المستحق للعبادة لذاته ، لأنه المألوه والمعبود ، الذي تأله القلوب وترغب إليه ، وتفزع إليه عند الشدائد ، أما ما وقع من قوم نوح عليه السلام من الإشراك فكان سببه هو صرف كامل المحبة عن الله تعالى إلى غيره كما في قوله تعالى : " وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ١٥ " (٣)

١ - انظر : دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ٢ ، ص ٦٩

٢ - انظر : قاعدة في المحبة : ابن تيمية ، ص ٦٨

٣ - سورة الزخرف : الآية ١٥

وهذا هو الشرك الذي قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجله مشركي العرب فقالوا : " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى " (١) لذلك كان توحيد الألوهية هو مناط الإيمان بالله تعالى ، وقد عنى القرآن الكريم بتقريره والبرهنة عليه بالأدلة العقلية ، والبراهين الصحيحة .

وعلى هذا كانت دعوة نوح عليه السلام إلى قومه ، فقد جاءت متضمنة لهذه الحقيقة ، فقال لهم : " أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتَقِرُوا وَأَطِيعُوا ^٢ " (٢) فدعوته عليه السلام إلى قومه في هذه الآية الكريمة متمثلة في الدعوة إلى أمليين من أصول الإيمان : وهما :

أولاً : شهادة أن لا إله إلا الله .

ثانياً : شهادة أنه رسول الله .

لهذا كان من الواجب معرفة معنى لا إله إلا الله تفصيلاً لأنها مدار التوحيد ومقصده الأسنى .

٢ - معنى لا إله إلا الله : - مما سبق يتضح أن معنى لا إله إلا الله إخلاص محض للألوهية والربوبية لله تعالى ، مع إثبات أنه ليس كمثله شيء ، وهذا يعنى أنه لا معبود بحق إلا الله ، وفي هذا إخبار بأنه المتفرد (٣) بالالهية لجميع الخلاق ، لأن الإبتداء بالنفى بقول لا إله إلا الله يبعد الغشاوة التي تغشى المشركين ، وتضلهم

١ - سورة الزمر : جزء من الآيه ٣

٢ - سورة نوح الآيه ٣

٣ - انظر : الأساس في التفسير : سعيد جوى : ط ١ : القاهرة : دار الرشيد ، ١٤٠٥ ، ص ٥٩٥

عن سواء السبيل ، ومن ثم يأتي بعد النفي إقرار إثبات الوجدانيه لله تعالى وهذا الإقرار ينبع من صميم القلب المؤمن ، ويقطع عنه جميع الظنون الفاسدة ، التي يقع فيها من لا إيمان له ، ولما كان الإقرار بهذه الحقيقة محله القلب ، قبل جريانه على اللسان ، كان الإيمان بها أشد وأعق (١) ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال : (يا معاذ بن جبل ، قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً ، قال : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار ، قال يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ ، قال : إذا يتكلموا ، وأخبر بها معاذ عندموته تأثماً) (٢)

ولا يكون المؤمن صادقاً بها إلا إذا اتخذ من هذه الكلمة حملاً منيعاً وقاه الله بها سوء الرذائل ، وحفظه من الشيطان ، وصرف عنه مكائده (٣) لأنها عماد الدين ومطلبه ، فلا حاكمية ولا سيادة إلا لله تعالى .

٣ - دلائل لا إله إلا الله كما هي في القرآن الكريم :

إن كلمة التوحيد تحمل بين طياتها مدلول عظيم على إثبات الألوهية لله تعالى ، وهي القاعدة الأساسية التي يبنى عليها الدين ، لذا فقد

- ١ - الإيمان في القرآن : مصطفى عبد الواحد : ط ١ : القاهرة : دار المصحوة : ١٤٠٧ ، ص ٥٩
انظر رسائل الجزايري : أبو بكر الجزايري : ط ٢ : جدة : دار الشروق : ١٩٨١ ، ص ١١
- ٢ - رواه البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري : صحيح البخاري : محمد البخاري : دار الفكر : ١٤٠١ : ج ١ ، ص ٤١ - في صحيح مسلم : النووي : كتاب الإيمان : ج ١ ، ص ٢٤٠
- ٣ - انظر : أسرار المعاني في أسماء الله الحسنى : محمود حسن ، ص ٢٣
انظر الإسلام : سعيد حوى : الطبعة الأولى : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٣٨٩ : ج ١ ، ص ٥٤

احتلت في القرآن الكريم مكانة كبيرة ، فقد وصلت في القرآن الكريم
عشرين (١) موعظا دالاً على معنى لا إله إلا الله .

١ - انظر : المرجع السابق ، ص ٢٣

الصيغ التي وردت بها لا إله إلا الله في القرآن الكريم إجمالاً .

- | | |
|------------------|--|
| المصيغة الأولى : | كلمة التوحيد . |
| " الثانية : | كلمة الإخلاص . لهذا سميت سورة قل هو الله أحد سورة الإخلاص
وما فيها إله التوحيد الخالص لله تعالى . |
| " الثالثة : | كلمة الإحسان : كما في قوله تعالى : "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان"
سورة الرحمن الآية ٦٠ |
| " الرابعة : | دعوة الحق : كما في قوله تعالى : " له دعوة الحق " سورة الرعد
جزء من الآية ١٤ |
| " الخامسة : | الطيب من القول كما في قوله تعالى " وهودا إلى الطيب من القول
وهودا إلى صراط الحميد " سورة الحج : الآية ٢٤ |
| " السادسة : | الكلمة الطيبة كما في قوله تعالى : " ألم تر كيف ضرب الله
مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء " سورة ابراهيم الآية ٢٤ |
| " السابعة : | كلمة التقوى : كما في قوله تعالى : " وألزمهم كلمة التقوى
وكانوا أحق بها " سورة الفتح : جزء من الآية ٢٦ . |
| " الثامنة : | الكلمة الباقية كما في قوله تعالى : " وجعلها كلمة باقية في
عقبه " سورة الزخرف جزء من الآية ٢٨ |
| " التاسعة : | كلمة الله العليا كما في قوله : " وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى وكلمة الله هي العليا " سورة التوبة جزء من الآية ٤٠ |
| " العاشرة : | المثل الأعلى . كما في قوله تعالى : " والله المثل الأعلى وهو
العزیز الحكيم " سورة النحل جزء من الآية ٦٠ |
| " الحادية عشر : | كلمة السواء : كما في قوله تعالى : " تعالوا إلى كلمة سواء
بيننا وبينكم " سورة آل عمران جزء من الآية ٦٤ |
| " الثانية عشر : | أنها كلمة النجاة كما في قوله تعالى : " إن الله لا يغفر أن
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " سورة النساء الآية ٤٨ |
| " الثالثة عشر : | العهد : كما في قوله تعالى : " لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ
عند الرحمن عهداً " سورة مريم الآية ٨٧ |
| " الرابعة عشر : | كلمة الانتقام كما في قوله تعالى : " إن الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا
وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون " سورة فصلت الآية ٣٠ |
| " الخامسة عشر : | مقاليد السموات والأرض ، كما في قوله تعالى : " له مقاليد
السموات والأرض " سورة الشورى جزء من الآية ١٢ |
| " السادسة عشر : | الدين الخالص كما في قوله تعالى : " ألا لله الدين الخالص " سورة الزمر الآية ٣ |

ولما فى ذلك من بالغ الأهمية كان من الواجب بيان الميغ التي وردت بها لا إله إلا الله فى قصة نوح عليه السلام .

الميغ الأولى : كلمة التوحيد ^(١) . وإلى هذه الكلمة كانت دعوة

كل رسول أرسل إلى قومه يدعوهم إلى لا إله إلا الله بقوله :

« يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » ^(٢) وكما فى قوله تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْذَرِ الْإِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ » ^(٣)

الصيغ السابعة عشر : الصراط المستقيم كما فى قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » سورة الفاتحة الآية ٥

« الثامنة عشر : كلمة الحق كما فى قوله تعالى : « ولا يهلك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد الحق بالحق وهم يعلمون » سورة الزخرف الآية : ٨٦

« التاسعة عشر : العروة الوثقى كما فى قوله تعالى : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » سورة البقرة : جزء من الآية ٢٥٦

« الميغ العشرون : كلمة البر كما فى قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله » سورة البقرة : جزء من الآية ١٧٧

١ - إحياء علوم الدين : الغزالي : بيروت : دار المعرفة : ج ١ ، ص ٢٩٨

٢ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٥٩

٣ - سورة الأنبياء : جزء من الآية ٢٥

والكلمة التوحيد ثمرتان :-

الثمرّة الأولى : إن الإنسان خلق في أصله مشرفاً ، كما جاء في قوله تعالى :
 " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا " (١) وكرامة
 التفضيل هذه تجعل الإنسان طاهراً • ونظير ذلك المشرك وهو نجس

بشركه كما جاء ذلك في قوله تعالى :
 " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
 بَعْدَ عَابِهِمْ هَكَذَا " (٢)

فبكلمة التوحيد تُزال نجاسة الإشراك ، فيمير الإنسان طيباً طاهراً
 وهو بهذه الخاصية يباح من أمقياء الله وأحباؤه وهو ممن
 خصه تعالى برحمة منه •

ودعوة نوح عليه السلام جاءت مبيّنة هذه الكلمة كما في
 قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام :
 " قَالَ يَتُومِرُ أَرَادِيْتُمْ أَنْ تَبْنِيَ عَلَيَّ بَيْتًا مِّن رَّبِّيْ وَٱلَّذِي رَحِمَهُ مِّنْ عِندِ رَبِّيْ فَعُودِيْتُمْ عَلَيَّ
 أَن لَّمْ يَكُفِّرْ كُفْرَهُمْ وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ " (٣)

فالبيّنة التي عرفها نوح عليه السلام هي : أنه لا إله إلا الله ومثوبة
 ذلك الرحمة من عند الله تعالى المتمثلة في الإسلام وكلمته لا إله

١ - سورة الإسراء الآية ٧٠

٢ - سورة التوبة : جزء من الآية ٢٨

٣ - سورة هود : الآية ٢٨

إلا الله و الهدى و الإيمان و الحكم و النبوه . (١)

الثمرة الثانية : أن الشرك سبب لدمار العالم و لخرابه كما قال تعالى :

" تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطَرْنَ مِنْهُ وَ تَشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا " (٢)

و إذا كان هذا الشرك سبب لدمار السموات و الأرض ، كان الأولى أن يكون التوحيد سبب لعمارة العالم . و الأولى من هذا أن يكون سبب لعمارة القلب الذى هو محل لمعرفة التوحيد ، وكذا صار النطق بها عادة اللسان الذى هو محل لذكر التوحيد . (٣)

لهذا كان مقصود دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام اثبات كلمة

التوحيد و جعلها الهدف من إرسالهم جميعا عليهم السلام بقولهم :

" اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ " (٤)

الصيغة الثانية : كلمة التقوى : ان لأمر التقوى شأن عظيم لذا فقد تردد

كثيراً في قصة نوح عليه السلام ، منها ما جاء في قوله تعالى

على لسان نوح عليه السلام : " أَوْعِظُكُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (٥)

و التقوى هنا هي [توحيدة و إخلاص الإيمان و العمل بطاعته] (٦) سبحانه

ليكون لهم الفوز برحمته عز و جل ، و كذلك ما جاء في قوله تعالى :

١ - انظر : جامع البيان : الطبرى : ج ١٢ ، ص ٢٩

٢ - سورة مريم : الآية ٩٠

٣ - أصرار المعاني في أسماء الله : محمود حسن ، ص ٢٣

٤ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٥٩ ٥ - سورة الأعراف : الآية ٦٣

٦ - جامع البيان الطبرى : ج ٨ ، ص ٢١٤ . انظر : التحرير و التنوير : ابن عاشور :
الدار التونسية ١٩٨٤ : ج ١ ، ص ٢٢٦ ، تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٢٢

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا كُنتُمْ بِهِ عَذْرَاءَ أَفَلَا

تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ " (١) فالآية تدل على إفراد الله سبحانه وتعالى

بالعبادة ، وان فعلوا غير هذا [حذرهم بقوله : " أفلا تتقون " لأن ذلك زجر ووعيد بإتقاء العقوبة لينصرفوا عما هم عليه .] (٢) ومقصود إفراد الله بالعبادة بأن يشهد أن لا إله إلا الله وهذا هو توحيد العبادة .

وهذا المعنى يشمل قوله تعالى : " إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا " (٣)

وإنما قدمت تقوى الله عز وجل على الأمر بالطاعة هنا ؛ ذلك لأن تقوى الله سبحانه وتعالى علة لطاعته ؛ لهذا قدمت العلة على المعلول . وجاءت أيضاً في قوله تعالى :

" أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا " (٤) في هذه الآية الكريمة نجد أن نوحاً عليه السلام حض [قومه على التقوى التي طريقها التوحيد والعبادة] (٥)

ولأهمية التقوى ، كان لابد من بيان معناها لحمل الفائدة ان شاء الله .

١ - سورة المؤمنون : الآية ٢٣

٢ - التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٣ ، ص ٩٢

٣ - سورة الشعراء : الآيات ١٠٩ ، ١١٠ ، ٤ - سورة نوح : الآية ٣

٥ - الأساس في التفسير : سعيد حوى : ج ٤ ، ص ١٩٣٥ . انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٤ ، ص ١٥٤

التقوى لغة : توقى واتقى ، وقد توقيت واتقيت الشيء أى حذرتة . (١)
وهي في الأصل : جعل النفس في وقاية ، ولا يكون ذلك إلا لمن
يخاف منه . وأصلها الخوف من الله عز وجل وهذا الخوف
يستدعى العلم بالمخوف ، ومن هنا كان الذي يعرف الله حق المعرفة
يخشاه ، ومن خشي الله فهو يتق الله .

ذكر التقوى في القرآن :

ولما كانت حقيقة التقوى هي الخوف والخشية إلا أنها وردت في
القرآن الكريم بعدة معانى والغرض الأصلي منها إيمان كما في
قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿٢﴾ " (٢)
وقوله تعالى : " وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النِّفَاقِ وَكَانُوا الْحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا وَكَانَ
اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣﴾ " (٣) أى كلمة التوحيد .
وقد سبق بيانها أنها جاءت في قصة نوح عليه السلام بقوله :
" أَوْعِظُكُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ
تَرْحَمُونَ ﴿٤﴾ " (٤)

٢ - وقد ورد ذكر التقوى في القرآن الكريم بمعنى التوبة (٥) كما

١ - انظر : لسان العرب : ابن منظور : ج ١٥ ، باب الباء ، فعل الواو ، ص ٤٠٢

٢ - سورة آل عمران : الآية ١٠٢ ٣ - سورة الفتح : جزء من الآية ٢٦

٤ - سورة الأعراف : الآية ٦٣

٥ - انظر التفسير الكبير : الرازي : ج ٢ ، ص ٢٣

فى قوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " (١)

وقد جاءت الدعوة الى التوبة وبيان ثبوتها فى قصة نوح عليه
السلام كما فى قوله تعالى :

" أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ " (٢) وذلك لأن
الله تعالى أرسل الرسل ليعبد الله وحده ، وأن تتقى محارمه ، وأن
يطاع أمره ، وما وعدهم به من مغفرة الذنوب وإذا غفرت الذنوب حطت
معهما النجاة من العذاب والفوز بالثواب .

لهذا رتب الله تعالى على أن من اتقى الله تعالى حصل له أربعة
أشياء كل منها خير من الدنيا وما فيها :-
الأول : الفرقان : وهو العلم والهدى الذى يفرق به صاحبه بين
الحق والباطل .

لثاني والثالث : تكفير السيئات ، ومغفرة الذنوب ، حيث أن كلا منهما
يدخل فى الآخر عند الإطلاق ، أما عند الاجتماع فتفسر تكفير
السيئات بالذنوب الصغائر ، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر .

الرابع : الأجر العظيم لمن اتقى الله وآثر رضاه على نفسه . (٣)

٣ - الطاعة وترك المعصية : كما جاء فى قوله تعالى آمراً رسوله أن
أن ينذر قومه : " أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ " (٤)

١ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٩٦ ٢ - سورة نوح الآية ٣ و جزء من الآية ٤

٣ - انظر : تيسير الكريم الرحمن : ابن السعدي : المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية
١٣٩٨ ، الجزء الأول ، ص ٧٨ : الجزء الثامن ، ص ١٧٦ . انظر : جامع البيان : الطبري
ج ٢٩ ، ص ٩١

٤ - سورة النحل : جزء من الآية ٢

وهو أيضا ما جاء في قصة نوح عليه السلام مخاطبا قومه بطاعة الله تعالى :

" كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي " (١) وقال

" قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرِي " (٢)

هذه الآيات الكريمة توضح أن نوحاً عليه السلام أمر قومه بخشية الله وترك المعاصي وطاعته في نصيحته إياهم .

٤ - المصبر : وقد تجلّى هذا المعنى في كثير من آيات القرآن الكريم مخاطباً بها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم :

" فَأَصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ " (٣) أمره بذلك تأسيّاً بنوح عليه السلام ذلك أن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى وأدى فرائضه واجتنب معاصيه فهؤلاء الفائزون في الآخرة ، (٤) وهذا ما كان من شأن نوح عليه السلام حيث أثابه الله تعالى على صبره في قومه وأنجاه المؤمنين منهم ، وأهلك الكافرين بالفرق جزاء لهم .

وعلى هذا فتعريف التقوى لا يجمع أمراً واحداً ولا يكون عليه تعريف واحد ، بل قيل فيه تعاريف كثيرة وأشملها وأجزها تعريف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حين سئل عن التقوى فقال له : (أما سلكت

١ - سورة الشعراء : الآيات ١٠٥ - ١١٠ ٢ - سورة نوح الآيات ٢ - ٣

٣ - سورة هود : جزء من الآية ٤٩

٤ - انظر جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٥٦

طريقاً إذا شوك ؟ قال : بلى قال : فما عملت ؟ قال شمرت واجتهدت ،
قال : فذلك التقوى (١)

و تعريف على بن أبي طالب رضى الله عنه أنها : الخوف من الجليل ، و العمل بالتنزيل ،
والرضى بالقليل ، وإلاستعداد ليوم الرحيل . (٢) وبها جاءت الوصية للذين آمنوا كما فى قوله

تعالى : " وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ " (٣)

فهى وصية كل رسول إلى قومه . وهى هدف عام بعث من أجله
الرسول عليهم السلام ولأجل هذا الهدف كانت التشريعات وهى متى
ما [وجدت فى قلب بشر لم يحتج بعدها ، الى رقيب أو حسيب فتقواه حاجر
له من كل شر ، دافعة له لكل خير] (٤)

لهذا كان جماع الأمر لكلمة التقوى أنها مجتمعة فى كلمة لا إله إلا الله
المنجية من عذاب أليم ، ذلك أن أبا طالب لما حضرته الوفاة ، جاءه رسول
الله صلى الله عليه وسلم (فقال : قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك
بها عند الله) (٥) فمضى استقر لفظ لا إله إلا الله فى القلب حساً ومعنى
ومناهجاً وسلوكاً كان ذلك أقرب للتقوى .

وعلى ما سبق يتضح أن جميع ألفاظ التقوى التى وردت فى قصة نوح عليه
السلام كانت تدعوا إلى الخوف من الله تعالى ، وأن لا يعبد إلا الله وحده

١ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٤ : ص ٤٠ : انظر : جامع البيان : الطبري :
ج ١ ، ص ١٠٠ . ارشاد العقل السليم : أبى السعود : بيروت : دار المعرفة :
دار احياء التراث العربى : ج ١ ، ص ٢٨ ، روح المعاني : الألوسي : ج ١ ، ص ١٠٨
الأساس فى التفسير : سعيد حوى : ج ١ ، ص ٨٤

٢ - موعظة المتقين : أحمد القطان : الطبعة الأولى : الكويت : مكتبة سندس : ١٤٠٧ ، ص ١٠٣
٣ - سورة النساء : جزء من الآيه ١٣١

٤ - جند الله : سعيد حوى : ط ٣ : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٣٩٩ ، ص ٢٥٧

٥ - فتح البارى : ابن حجر : ج ١١ : كتاب الإيمان والتذوق ، باب إذا قال و الله لا أتكلم
اليوم ف صلى أو قرأ أو سبح ، ص ٥٦٦

لا شريك له والأمر بطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام و للتقوى شأن عظيم لا يسعنا الكلام فيه في هذا الموضع . (١)

الصيغة الثالثة : وردت لا إله إلا الله تحت لفظ الإحسان : وهو توحيد الفعل عياناً و يقيناً ومشاهدة . (٢)

قال تعالى : " إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨﴾ " (٣) والإحسان في العبادة هو أشرف مقامات الإيمان بالله والإنقياد لطاعته . (٤) وهو ما يتضح في قوله تعالى : " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥﴾ " (٥) فجزاء من أحسن في العبادة في طاعة الله تعالى أن يجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ، وهل جزاء من أفرد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته إلا الجنة ! وهذه هي أشرف مقامات الإيمان بالله والإنقياد له ولا يتحقق هذا إلا باخلاص العبادة له وحده . (٦) لكل هذا كانت لا إله إلا الله هي أول قاعدة من قواعد الإسلام وهي مفتاح دعوة كل نبي لقوله :

" يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧﴾ " (٧)

فقوله أولاً اعبدوا الله ، وثانياً ما لكم من اله غيره ، كون الثاني علة للأول كذا [وجبت عبادة الله لأجل العلم بأنه لا إله إلا الله] (٨) ولو أمعنا النظر لوجدنا أن كل آية في كتاب الله أساسها لا إله إلا الله القائمة على توحيد الألوهية .

١ - انظر : أسمى الرسائل : عبد الحميد الخطيب : الطبعة الأولى : مصر : مطابع دار الكتاب ١٣٧٣ ، ص ٣٧٢ + جند الله : سعيد حوى : ص ٢٢١ - ٢٩١ - روح الدين الإسلامي : عفيف طباطبة : الطبعة ٢٣ : بيروت : دار العلم للملايين : ١٩٨٣ ، ص ٢١١ - ٢١٣

٢ - الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد : السكندري : الأزهر : مطبعة صبيح : ص ٢١

٣ - سورة الصافات : الآية ٨٠

٤ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٦ ، ص ١٤٤ : انظر تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ج ٤ ، ص ١٢

٥ - سورة الرحمن : الآية ٦٠

٦ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ٢٣ ، ص ٩٨ ، فتح القدير : الشوكاني : ج ٤ ، ص ٤٠٠

٧ - سورة هود : جزء من الآية ٦١

٨ - التفسير الكبير : الرازي ج ١٤ ، ص ١٥٦ : أنظر : معنى لا إله إلا الله : الزركشي : الطبعة ٣ : دار البشائر الإسلامية : ١٤٠٦ ، ص ٧٧

٤ - شهادة الله سبحانه وتعالى على وحدانيته :

لقد شهد الله سبحانه وتعالى على وحدانيته كما جاء في قوله عز وجل : " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾ " (١)

فشهادة الله تعالى وبيانه وإعلامه كما هو في

هذه الآية الكريمة يكون بأمرين :-

الأول : بقوله تعالى على ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه وأوحاه إلى عباده وقد علم بالتواتر والإضرار أن جميع الرسل عليهم السلام أخبروا عن الله تعالى أنه شهد أن لا إله إلا هو بقوله وكلامه ، وهذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه . (٢)

ومصدق ذلك جاء في قوله تعالى :

" أَوَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَهَ قُلُوبِهِمْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِمَّا وَدَّ أَنْ تَنْسُوا وَلَئِنْ لَمْ تَعْلَمُوا الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ " (٣) فالآية الكريمة صريحة في

هذا المعنى ، ذلك أن المقصود بذكر من قبلي ابتداء من دعوة نوح عليه السلام إلى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لقولهم : " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . "

الثاني : شهادته سبحانه وتعالى بفعله ، فهو على [ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالفعل وإن لم يكن هناك خبر عن الله ،

١ - سورة آل عمران : الآيتان : ١٨ و جزء من الآية ١٩

٢ - دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ٢ ، ص ٢٠٣

٣ - سورة الأنبياء : الآية ٢٤

وهذا يستعمل فيه لفظ الشهادة والدلالة والإرشاد [(١)]

والدليل على ذلك من كتاب الله تعالى :

" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَبِّحْنَا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٤﴾ " (٢)

ولسان الحال يشهد على صلاحها ، وهكذا يثبت وجود إله واحد لصلاحها .

ثم أتبعها بقوله : " لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "

فشهادة الله سبحانه وتعالى الأولى " شهد الله أنه لا إله إلا هو " فيها

وصف توحيد ، والشهادة الثانية من أولي العلم والملائكة ذكرت مجردة

ليقولها من يتلو القرآن فيكون [التالي قد شهد بها أنه لا إله

إلا هو . فالأولى خبر عن الله بالتوحيد لنفسه ، وهذه خبر عن

الله بالتوحيد [(٣)]

وبهذا فشهادة الله تعالى لنفسه بأنه لا إله إلا هو وشهادة غيره

له بالوحدانية ، إقرار الخلق أجمعين بوحدانيته تعالى ، وذلك عندما

أشهدهم على أنفسهم ، ألسن بربكم قالوا بلى ، كما جاء في

قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنْيَاءِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ

عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ " (٤)

وكما كان هذا الاستشهاد بالوحدانية في ظهر الغيب جاء عيانا من رسول

الله نوح عليه السلام إلى قومه ، ودعوتهم لذلك متمثلاً في قوله

١ - دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ٢ ، ص ٣٠٣ . انظر : شرح الطحاوية : على أبي

العز الحنفى : ج ١ ، ص ٩٣

٢ - سورة الأنبياء : جزء من الآية ٢٢

٣ - دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ٢ ، ص ٣٠٦

٤ - سورة الأعراف : الآية ١٧٢

تعالى : " يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ^(١) " وقوله تعالى :
 " أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ^(٢) " إلى غير ذلك من الآيات
 المقررة بالتوحيد وداعية له .

وهذا هو أول ما طلبه نوح عليه السلام من قومه ، وأول ما دعاهم
 إليه ووجه إليه الأنظار بدعوتهم إلى توحيد الألوهية ، إلا أنهم
 عتوا عن أمر ربهم ، وأصروا على ما في أنفسهم من شرك صرفهم
 عن تلبية هذا النداء وأصروا واستكبروا استكباراً .

وبهذا فالأنبياء عليهم السلام عرفوا الله سبحانه وتعالى
 بالوحي المعرفة التي هي معرفة حقه وعبودوه العبادة التي هي حق
 له بحسب ما منحهم الله تعالى . ^(٣)

...

١ - سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٣

٢ - سورة نوح : الآية ٣

٣ - أنظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٢ ، ص ٦٧

المطلب الثاني : توحيد الربوبية :

وهو القسم الثاني من أقسام التوحيد .

بعدما تم تعريف توحيد الألوهية والتعرف على مضمونه ، وإثبات تمام الألوهية وإفراد العبودية لله تعالى ، نبين القسم الثاني من أقسام التوحيد وهو توحيد الربوبية .

تعريف الربوبية في اللغة : الرب في اللغة السيد المالك ، وهذا من أسمائه تعالى ، ولا يقال في غير الله تعالى إلا بالضافة ، والربوبية إسم من الرب ، وله الربوبية على جميع الخلائق لا شريك له . (١)

وفي الاصطلاح : الإقرار بأنه خالق كل شيء ، وأنه ليس للعالم مانعان متكافئان في الصفات والأفعال ، وهذا هو توحيد الله بأفعاله . (٢)

لذا كان الإقرار بأنه سبحانه هو وحده خالق الخلق ، ومالكهم ومحييهم ومميتهم ، ونافعهم وضارهم ومجيب دعائهم عند الإضرار ، والقادر عليهم ومعطيهم ومانعهم ، وله الخلق وله الأمر كله ، وهذا يمثل الإيمان بجانب من جوانب التوحيد الذي دعت إليه الرسل .

والآيات الدالة على قدرته تعالى وتفرد في خلق السموات والأرض كثيرة

قال تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ^{٣٨} " (١)

١ - انظر : الصحاح : الجوهري : ج١ ، باب الباء ، فصل الراء : ص ١٣٠ ، لسان العرب : ابن منظور : ج١ : باب الباء : فصل الراء ، ص ٣٩٩ . المنجد في اللغة العربية ، باب الراء : فصل الباء ، ص ٢٤٣

٢ - شرح الطحاوية : أبي العز الحنفى : ج١ ، ص ٧٩

٣ - الإيمان : نعيم ياسين : ط ٤ : دم ، د ت ، ص ١٦

٤ - سورة ق : الآية ٣٨

وبهذا القسم من أقسام التوحيد تعترف جميع الأمم السابقة
وهذا النوع من التوحيد حق لا ريب فيه .
فمن هذا المنطلق الإيماني ناقش الأنبياء عليهم السلام أقوامهم ،
لينطلقوا من هذا المبدأ إلى توحيد الألوهية .

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الخطاب بين الرسل وأقوامهم ،

كما جاء في قوله تعالى : " الْمُرِيتُكُمْ نَبُوءَاتِ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنْتُمْ نَاِسِلُونَ مُبِينٍ ﴿٢﴾ " (١)

هاتان الآيتان الكريمتان فيهما أخبار من الله سبحانه وتعالى قص
فيهما أخبار الأمم السابقة وما كان من تكذيبهم لرسولهم [لما سمعوا كلام
الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقالوا ،إنا كفرنا بما أرسلتم
به ، فهم يقولون لا نصدقكم فيما جئتم به فإن عندنا فيه شكاً قوياً ، قالت
لهم رسلكم أفي الله شك] ؟! (٢)

١ - سورة ابراهيم : الآيتان ٩ - ١٠

٢ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ٢ ، ص ٥٢٤

فجاء بعده قوله تعالى : " يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى "

وهذا الجواب من الرسل مبني على إغتراض من أقوامهم . كما في قوله تعالى : " إنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب " وفي هذا إستفهام على سبيل الإنكار ، فلما ذكر المعنى أردفه بالالة الدالة على وجود الصانع المختار ، كما في قوله تعالى : " فاطر السموات والأرض " (١)

وقال صاحب الكشاف في ذلك : إنما [أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في شك ، إنما هو في المشكوك فيه ، ولأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتهما عليه] (٢)

فموضع شك القوم ليس في وجود الله تعالى ، إنما فيما جاء به الأنبياء والمرسلين وهو من خلوص التوحيد لله عز وجل .

وهذا الشك يحتمل أمرين :-

١ - أفي وجود الله شك ؟ فإن الفطرة شاهدة على وجوده ، ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطرة السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب ، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصول إلى وجوده سبحانه ، ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه فاطر السموات والأرض .

١ - انظر: التفسير الكبير : الرازي : ج ١٩ ، ص ٩٣

٢ - الكشاف : الزمخشري : ط ١ : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٧ ، ج ٢ ، ص ٣٦٩

٢ - أفى الله شك ! أي أفى ألوهيته وتفرد به بوجوب العبادة له شك ، وهو الخالق لجميع الموجودات ، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالمانع ، ولكنها تعبد معه غيره من الوسائط . (١) وهم بهذا مقرين بتوحيد الربوبية ، إلا أن موطن شكهم كان فى الألوهية فقط .

فالدعوة هنا أصلاً] دعوة إلى الإيمان المؤدى إلى المغفرة ، لكن
السياق يجعل الدعوة مباشرة للمغفرة ، تتجلى نعمة الله ،
وعندئذ يبسّدوا عجباً أن يدعى القوم إلى المغفرة فيكون هذا تلقيهم
للدعوة [(٢)

ولو نظرنا إلى المنن التي وهبها الله سبحانه وتعالى لهم لوجدناها عديده ، منها : تأجيلهم إلى أجل مسمى حيث لا عذاب بعد التكذيب مباشرة ، وهذا الأجل قد يكون تأخير في الدنيا إلى الآخرة ، حيث ترجعون فيه إلى أنفسكم وتدبرون آيات الله ، وهي رحمة وسماحة من الله تعالى .

وقد دل على ذلك قوله تعالى : « قَالَ يَتَقَوَّمُوا عَنِّي لَأَنْذِرَنَّهُمْ وَنُنِيرُهُمْ وَأَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِن أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۚ » (٣)

١ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٥٢٥

۲ - فی ظلال القرآن : سید قطب : ج ۴ ، ص ۲۰۹۷

٣ - سورة نوح : الآيات من ٢ - ٥ .

أما قولهم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ، فهذا إقرار منهم بوجود الله تعالى بأنه فاطر السموات والأرض .

يقول الطبري في قوله تعالى : " ولو شاء الله أن لا نعبد شيئاً سواه لأنزل ملائكة " [يقول : لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوحاً ملائكة تؤدي إليكم رسالته .

وقولهم ما سمعنا هذا الذي يدعوننا إليه نوح ، من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية ، وهي أباؤكم الأولون .] (١)

فهم مقرون بوجود رب خالق السموات والأرض ، إلا أنهم لا يقرون بتوحيد ألوهيته سبحانه وتعالى .

ومما جاء من الإقرار بوحدانية الله تعالى عن طريق التذكير بأنعم الله عز وجل ، ما خاطب به نوحاً قومه قائلاً :

" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٦﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٧﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِئْكُمْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٨﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٩﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَبْعَ سِمَاتٍ ﴿٢١﴾ طَبَاقًا ﴿٢٢﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿٢٣﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٢٤﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٢٥﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سَاطِعًا ﴿٢٦﴾ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سَبِيلًا فِجَاجًا ﴿٢٧﴾ " (٢)

١ - جامع البيان : الطبري : ج ١٨ ، ص ١٦

٢ - سورة نوح : الآيات : ١٠ - ٢٠

فسياق الآيات الكريمة يبين أن نوحاً عليه السلام أطمعهم في خيصر الدنيا والآخرة .

أطمعهم في المغفرة إن هم استغفروا ، فهو سبحانه غفار للذنوب ، وأطمعهم في الرزق الوفير وسقوط الأمطار ، وكذلك ما يرجونه من الذرية التي يحبونها ، كل هذا ربط بين الإستغفار وجلب لهذه الأرزاق .

إلى جانب ما طلبه نوح عليه السلام من قومه أن ينظروا في آفاق السموات والأرض ليتجلى لهم الإقرار بتوحيد الربوبية ، فهو هنا عليه السلام وجه قومه إلى كتاب مفتوح ، محتواه النظر في هذه الآفاق حيث أن هذا التوجيه منه عليه السلام يكفي [لاثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعهم .] (١)

وهذا الجانب من التوحيد لم يصعب على الأنبياء تعريف أقوامهم به ، كما ورد ذلك في قوله تعالى : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ " (٢)

فهم بهذا الإقرار لا سبيل لهم للإنكار والتردد ، وقد أنكر الله عليهم هذا المنيع فكيف [يصرفون عن الإقرار بتفرد عز وجل في ألوهيته مع إقرارهم بتفرد سبانه فيما ذكر من الخلق والتسخير ؟] (٣)

لهذا جاء الأنبياء عليهم السلام مخاطبين قومهم موجّهين دعوتهم إلى أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

١ - في ظلال القرآن : سيد قطب : ج ٦ ، ص ٣٧١٤

٢ - سورة العنكبوت : الآية : ٦١

٣ - روح المعاني : الألوسي : ج ٢١ ، ص ١١

أما توحيد الربوبية فهم مقربون بذلك دون شك فيه .

لذا لم يحتج الأنبياء عليهم السلام لوجود دلائل لإثبات وجود

الصانع عز وجل ، لإقرارهم المسبق بوجوده تعالى .

...

المطلب الثالث : توحيد الأسماء والصفات :

وهو القسم الثالث من أقسام التوحيد .

من تمام الإيمان بالله تعالى ، الإيمان بأن الله عز وجل ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

وهو [الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يلؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .] (١)

وقال أهل السنة : بأنه لا يجوز إطلاق اسم على الله من جهة القياس بل ماورد به الشرع في الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة . (٢)

وهذه هي طريقة الرسل عليهم السلام أجمعين .

وبما أن جميع الأنبياء دينهم واحد ، فإن أصول هذا الدين واحدة ، وكما أرسل عليه السلام لإثبات توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية أرسل أيضا عليه السلام مثيراً إلى توحيد الأسماء والصفات وقد أنعم الله عز وجل علينا حيث تم بيان هذا الموضوع بعد ذلك على لسان محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت الآيات القرآنية مبينة لبعض تلك الصفات التي خاطب بها نوح عليه السلام قومه ومنها :-

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٣ ، ص ١٣٠ . الرسالة التدمرية : ابن تيمية : القاهرة : المطبعة السلفية : ١٣٨٧ هـ ، ص ١٤

٢ - أنظر : أصول الدين : للبغدادى : ط ٢ : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤٠٠ ، ص ١١٦

صفة العين : وقد تجلى ذلك واضحاً كما في قوله تعالى :

"وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحِّينَا وَلَا تَحْطِلُبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَهُهُمْ
تُفَسِّرُونَ ﴿٣٧﴾ " (١)

وقد أورد الطبرى في تفسيره أن العين هي عين الله ووجهه . (٢)
والعين حقيقة في الجارحة - من غير تمثيل ولا تشبيه - وهي جارية مجرى
التمثيل كأن لله سبحانه أعينا تكلؤه من تعدي الكفرة ومن الزيغ في
الصنعة .

وقد جاءت بصفة الجمع للمبالغة وقيل [أن ملابسة العين كناية عن
الحفظ و ملابسة الأعين لمكان الجمع كناية عن كمال الحفظ والمبالغة
فيه .] (٣) وقيل هم الملائكة الذين جعلناهم عيوناً على مواضع
حفظك . وقال ابن كثير بأعيننا " أى بمرأى منا " (٤)

وأما ما كان المقصود في التفسير فالعين هنا المقصود بها هي
عين الله . ولكن مع كامل الإيمان منا بأنه لا تمثيل ولا تشبيه في
ذلك ، كما علمنا بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل
السلف بأنه الإيمان دون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

ثانيا : صفة الرحمة :

كما جاء في قوله تعالى :

" وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجِّنَا مِنْهُنَّ وَأَمْرُسُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ "

١ - سورة هود : الآية ٣٧

٢ - روح المعاني : الألوسي : ج ١٢ ، ص ٤٩

٣ - المرجع السابق : نفس المصحح .

٤ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٤٤

٥ - سورة هود : الآية ٤١

ففي هذه الآية اجتمعت صفتان لله تعالى ، صفة الرحمة ، و صفة المغفرة ،
و المقصود من هذه الآية الكريمة [ان ربي لساثر ذنوب من أناب اليه
غفور رحيم بهم من أن يعذبهم بعد التوبة] (١)

و الرحمة : الرقه و العطف ، و الرحمن الرحيم : اسمان مشتقان من الرحمة ،
إلا أن الرحمن إسم مختص بالله تعالى و لا يجوز أن يسمى به غيره .
و الرحيم تكون بمعنى المرحوم و الراحم ، و قال ابن عباس : هما
إسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فالرحمن الرقيق و الرحيم العاطف
على خلقه بالرزق . و رحمة الله : عطفه و إحسانه و رزقه . (٢)

و صفة الرحمة صفة كتبت في اللوح منذ الأزل ، و قد روي عن أبي هريرة
رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم
(لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : ان
رحمتي غلبت غضبي) (٣)

و ذكر ابن حجر قائلًا [تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب ،
لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة ، و أما الغضب فانه متوقف على سابق عمسل
العبد الحادث] (٤) و صفة الرحمة صفة لجميع الخلائق من الله تعالى .

أما صفة الرحيم : فهي بالمؤمنين خاصة يوم القيامة لقوله تعالى :
! وكان بالمؤمنين رحيماً "

١ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٤٥

٢ - الصحاح للجوهري : ج ٥ : باب الميم فصل الراء ، ص ١٩٢٨ ، لسان العرب : ابن
منظور م ، ١٢ ، باب الميم فصل الراء ، ص ٢٣٠ - ٢٣١

٣ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٦ ، كتاب بدء الخليقة ، باب ما جاء في قوله " وهو يبدأ
الخلق ثم يعيده " ص ٢٨٧

٤ - المرجع السابق : ص ٢٩٢

قال الطبري في ذلك] فما وصفنا في اللطف لهم في دينهم فخصهم به دون من خذله من أهل الكفر به ، وأما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيماً لهم دون الكافرين] (١)

أما في قوله وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ، فهذه المبالغة لعدة أمور :-

- ١ - إما بحسب شمول الرحمن للدارين .
 - ٢ - وإما بحسب كثرة أفراد المرحومين وقلتها .
 - ٣ - وإما بحسب جلالة النعم ودقتها كما اختاره في التسمية .
- وهو بهذا يقصد بميغة المبالغة أنها رحمة زائدة بوجه ما . (٢)
- وعلى أي تقدير فرحمة الله تعالى واسعة لكل شيء] وهو تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبأنها واقعة على أحين ما يكون] (٣)
- وفي التعليل بالمغفرة و الرحمة رمز إلى أن الله سبحانه وتعالى قد وعد بنجاتهم ، وذلك من تمام غفرانه تعالى ورحمته . (٤)

ثالثاً : مفة الحكمة لله تعالى :

كما جاء في قوله تعالى : " وَذَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ " (٥)

- ١ - جامع البيان : الطبري : ج ١ ، ص ٥٧
- ٢ - انظر : حاشيه الشريف علي بن محمد بن علي السيد الجرجاني : ج ١ ، ص ٤١
- ٣ - تفسير أبي السعود : ج ١ ، ص ١٥
- ٤ - انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ١٢ ، ص ٧٤
- ٥ - سورة هود : الآية ٤٥

هذه الآية الكريمة بينت صفة من صفات الله تعالى بأنه أحكم الحاكمين .
والحكم : مصدر قولك حكم بينهم يحكم أى قضى وحكم له وحكم عليه . (١)
وهو حكيم له الحكم سبحانه وتعالى .

ومن صفات الله الحكم والحكيم والحاكم ، ومعاني هذه الأسماء متقاربة
والله أعلم بما أراد الله بها وعليها إيمان بأنها من أسمائه .
والحكيم ذو الحكمة . والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل
العلوم . (٢) وفي الآية الكريمة السابقة نداء من نوح عليه السلام
داعياً الله تعالى أن ينجي ابنه ، قال الطبري في قوله تعالى : [وأنت
أحكم الحاكمين بالحق فاحكم لي بأن تغفر لي بما وعدتني من أن تنجي لي
أهلي وترجع لي ابني] (٣)

ففي هذا جميل التوسل إلى من عهده منعماً ومفضلاً عليه أولاً وآخرأً
هنا جاء نداء الحق : " قال يا نوح انه ليس من أهلك " أي هم الذين دعوت
إنجاءهم لأنى إنما وعدتك بنجاء من آمن من أهلك . (٤)

وهذه من رحمة الله بعبادة أن يرحم من عباده المؤمنين . وكانت رحمته
تعالى هنا متمثلة في إنجائهم من الغرق .

رابعاً : صفة المغفرة

إن الآيات التي جاءت تبين صفة المغفرة كثيرة في قصة نوح عليه السلام كما

١ - الصحاح : للجوهري : ج ٥ : باب الميم : فصل الحاء ، ص ١٩٠

٢ - لسان العرب : ابن منظور : ج ١٢ : باب الميم : فصل الحاء ، ص ١٤٠

٣ - جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٤٢ ، انظر روح المعاني : الألوسي : ج ١٢ ، ص ٦٨

٤ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٤٤٧

جاء فى قوله تعالى :

- " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ " (١)
- وقوله : " قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢﴾ " (٢) وقوله :
- " وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَاعَهُمْ فِي أَزَانِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾ " (٣) وقوله :
- " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٤﴾ " (٤) وقوله :
- " رَبِّ أَعْرِضْ لِي وَلَوْلَا دَعَايَ وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْنِي وَمُؤْمِنًاوَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٥﴾ " (٥)

وفى هذه الآيات الكريمة جاءت صفة المغفرة خاصة بالله تعالى .

والغفر : التغطية ومنه الغفران ، (٦) والغفور الغفار ، جل ثناؤه

ومعناها السائر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم .

ويقال : اللهم اغفر لنا مغفرة وغفراً وغفراناً ، وانك أنت الغفور الغفار يا أهل المنفرة . (٧)

وتغافرا : دعا كل واحد منهما صاحبه بالمغفرة .

وقول نوح عليه السلام لقومه " استغفروا ربكم انه كان غفاراً] أي سلوا ربكم غفران ذنوبكم وتوبوا إليه من كفركم ، وعبادة ما سواه من الآلهة

١ - سورة هود الآية ٤١

٢ - سورة هود الآية ٤٧

٣ - سورة نوح الآية ٧

٤ - سورة نوح الآية ١٠

٥ - سورة نوح الآية ٢٨

٦ - الصحاح : للجوهري : ج ٢ باب الرأ : فصل الغين ، ص ٧٧٠

٧ - انظر : لسان العرب : ابن منظور : باب الرأ : فصل الغين : ج ٥ ، ص ٢٤

و وحده وأخلصوا له العبادة يغفر لكم انه كان غفارا الذنوب من
أناب إليه وتاب إليه من ذنوبه . (١)

وهنا كان دور نوح عليه السلام بأن علل ذلك لهم بأن الله موصوف بالغفران
وهي صفة ثابتة تعهد الله بها لعباده المستغفرين .
فوجود حرف إن أفاد التعليل وثبوت الصفة لله .

وبذكر فعل كان وكمال غفرانه : بصيغة المبالغة بقوله (غفاراً) (٢)
أما ما ورد عن ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى " اركبوا فيها باسم
الله مجراها ومرساها " يريد بذلك أنها تجري باسم الله وقدرته ،
وترسو باسم الله وقدرته . (٣)

وهذا مجمل لبعض الأسماء و الصفات التي وردت في قصته عليه السلام .
ولما كانت دعوة نوح عليه السلام أولى الدعوات الى الله تعالى كان
جماع التوحيد الذي دعت إليه هو توحيد الألوهية المتضمن لكل
من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء و الصفات .

ولما كانت دعوة التوحيد أكثر ما تركز عليه هو الإيمان بالله تعالى
وحده لا شريك له رباً وخالقاً ومعبوداً ، وأن الواجب تجاه هذا القسم من
أقسام التوحيد هو الإيمان بما وصف به الله عز وجل . - نفسه وما علمه
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزله في كتابه من غير تشبيه ولا تحريف
ولا تعطيل .

١ - جامع البيان : الطبري : ج ٢٩ ، ص ٩٣

٢ - انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ٢١ ، ص ١٩٦

٣ - التفسير الكبير : الرازي : ج ١٧ ، ص ٢٣٧

المطلب الرابع : الربط بين توحيد الألوهية و الربوبية و الأسماء و الصفات :

بعد ما تم التعرف على الأسماء و الصفات التي وردت في قصة نوح عليه السلام ، جدير أن نبين أن هناك ربط بين أقسام التوحيد الثلاثة و أنها متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر .

فتوحيد الربوبية قائم على أن الله تعالى خالق كل شيء ، وربه وملكه فمن كانت له هذه الحقيقة فلا تنفك العبادة عنه ، بل تستلزم له .

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية كما قال تعالى :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ " (١)

وهذا هو ما دعانا إليه نوح عليه السلام قومه كما في قوله :

" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمُ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَجَعَلَ
لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٤﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
طِبَاقًا ﴿٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿٧﴾
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٨﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٠﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١١﴾ " (٢)

١ - سورة البقرة : الآيات : ٢١ - ٢٢

٢ - سورة نوح : الآيات : ١٠ - ٢٠

بين لهم نوح عليه السلام هنا مدى الربط بين توحيد الربوبية وأنه خالق كل شيء ، ومليكه ، فلا بد لهم من توحيد العبادة له سبحانه .

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، ذلك أن من عبد الله ووحده في عبادته لا بد أن يعتقد أنه لا رب ولا مالك له سواه ، فيعبد الله سبحانه وحده على اعتقاد جازم بأنه بيده الخير وأنه وحده يملك ضره ونفعه وأنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوه شيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه .

وأما توحيد الأسماء والمفاتيح : فهو متضمن لتوحيد الألوهية والربوبية معا ذلك أنه تعالى متفرد بصفات الكمال والجلال وبأسمائه الحسنی ومن مقتضياتها : أنه رب واحد لا شريك له في ربوبيته وإله واحد لا شريك له في ألوهيته ، فمن وحد الله في ألوهيته وربوبيته ثم سمي غير الله تعالى بأسمائه أو ألحد بشيء منها ، فإنه بهذا لا يكمل له ذلك التوحيد . (١)

المطلب الخامس : موقف الجاهلية الدائم من قضية التوحيد :

يتبين لكل باحث يعي حقيقة هذه الحياة ودوره فيها الغاية من خلقه في هذا الوجود .

ويتبين لأصحاب المبادئ النزيهة والفكرة السامية من خلال ما تقدم في قصة نوح عليه السلام بيان دوره في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وما كان من إثبات الحاكمية لله عز وجل .

ويتضح من خلال القصة والفترة الزمنية التي قضاها نوح عليه السلام في قومه بأنها تمف أولى تجربة بين عقيدتي الحق والباطل ، عقيدة خالدة بخلود الزمان ، وعقيدة متقلبة حسب الأهواء ، فالأولى حقيقة ربانية ، والأخرى مناعة بشرية ، وهذا اللقاء الذي تم بين نوح عليه السلام وقومه يمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية وتمف شوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل وهي نفسها تكشف صورة من صور البشرية العنيدة الضالة الذاهبة وراء القيادات المضللة المستكبرة عن الحق ، المعرضة عن دلائل الهدى وموجبات الإيمان المعروض أمامها في غيابات الأنفس وسعة الآفاق ، المسطورة في كتاب الكون المفتوح وكتاب النفس المكنون .

لهذا كانت دعوته عليه السلام منطلقة من قوله تعالى : " اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " ، لهذا عالج نوح عليه السلام هذه القضية من منطلق التركيز على قضية خلق الإنسان من ماء مهين إلى كونه

إنساناً على قيد الوجود ثم يبين لهم إلى أين يكون مصير هذا الوجود فإن كان خيراً فخييراً ، وإن كان شراً فشراً ، وربط هذه النشأة بالكون ومدى ارتباط ذلك الإنسان بها؟ وهذا الكون بخالفه .

وهذه هي قضية الوجود الإنساني التي ستظل منذ أن خلق الله الخلق، إلى أن يرث الأرض ومن عليها سبحانه .

وتتعاقب السنوات وتتجدد هذه القضية مع خير رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث عالج هذه القضية مرتبطة بقضية الألوهية والعبودية لله عز وجل ، لأجل هذا شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون قضية التوحيد هي القضية التي تتمدى لها كل دعوة منذ اليوم الأول للرسالة وابتدائها بالدعوة إلى لا إله إلا الله التي عرفت بها أنفسهم واستيقنتها قلوبهم ، إلا أنهم رفضوا أن ينطقوا بها لأن ذلك من العسير عليهم تجاه هذه القضية ، وهي لمن الحاكمية ؟ ! وماذا تعنى هذه العبارة بالنسبة لأوضاعهم ورياستهم وسلطانهم .

لهذا كان استقبالهم لها هذا الإستقبال العنيف الداعي إلى الصمد عن قبول هذه الدعوة ومحاربتها أينما كانت وبأي وسيلة هي، ذلك للمحافظة على مراكزهم ، وخوفاً على عروشهم .

وتتجدد الجاهلية ويتغير الأفراد ولكن يثبت أسلوب الطغيان . وما زالت الدعوة الحقّة ترفض وتحارب إلى وقتنا الحاضر من قبل أعداء الله بكل ما أوتوا من قوة وعتاد . إنها قضية واحدة متكررة في التاريخ . قضية الجاهلية الواحدة مع دين الله الواحد دين الإسلام الذي لا يرتضى غيره لعباده ، ولكن يريدون ليطفئوا نور الله

بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وبهذا يتضح أن موقف الجاهلية من قضية التوحيد واحد في كل زمان ومكان لا يتغير .

إنها ترفض الإعتداء بهدى الله ، وترفض الحكم بما أنزل الله
كما في قوله تعالى : " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ٥٠ " (١)

فالجاهلية اذن بنص القرآن الكريم هي مقابل معرفة الله ، والإعتداء
بهدى الله و الحكم بغير ما أنزل الله وليست مقابل ما يسمى العلم
والحضارة المادية وفرة الإنتاج . (٢)

فكل من اتبع غير هدى الله فهو في جاهلية ساحقة وسيعلم
الذين كفروا أى منقلب ينقلبون .

...

١ - سورة المائدة : الآية ٥٠

٢ - انظر : جاهلية القرن العشرين : محمد قطب : القاهرة : دار الشروق : ١٤٠٨ هـ ، ص ٧

الفصل الثاني

قضية النبوة

وفيه تمهيد وثمانية مباحث :

تمهيد

- المبحث الأول : معنى النبي والرسول .
- المبحث الثاني : الحكمة من ارسال الرسل .
- المبحث الثالث : وظيفة الرسل .
- المبحث الرابع : الأنبياء أفضل خلق الله .
- المبحث الخامس : أولي العزم من الرسل .
- المبحث السادس : أدلة الكتاب والسنة على أن نوحا عليه السلام أول رسل الله لأهل الأرض .
- المبحث السابع : بشرية الرسول والشبه الواردة على ذلك .
- المبحث الثامن : عصمة الأنبياء والشبه الواردة على ذلك .

تمهيد

الإيمان بالرسول عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو الركن الثاني من أركان الإيمان : وهو يشمل الإيمان بهم بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى ، مع وجوب الإيمان بهم جملة وتفصيلاً ، طبقاً لما جاء في قوله تعالى : " ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٨٥﴾ " (١)

وقد جاء الخطاب موجهاً للرسول صلى الله عليه وسلم بالإيمان بالمرسلين من قبله كما في قوله تعالى :

" قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ " (٢)

فعقيدة الإيمان بالله تعالى لا تنفك عن الإيمان برسوله عليهم الصلاة والسلام لأن مقتضى الإيمان بالله تعالى ، يقتضي تصديق رسله الذين أرسلهم بالخبر داعين بأمره عز وجل مبلغين لشريعته التي لا يمكن الدلالة عليها إلا بواستطهم .

والأنبياء والمرسلون هم أفضل خلق الله سبحانه وتعالى وأعلاهم منزلة عنده عز وجل ، وهم المصطفون من عباده الذين سَلَّمَ

١ - سورة البقرة : الآية ٢٨٥

٢ - سورة آل عمران : الآية ٨٤

عليهم في العالمين كما في قوله تعالى : " وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ " (١)
 وفي قوله " سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ " (٢) وقوله تعالى :
 " قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ؎ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ " (٣)
 ويكفي لهم الفضل بأن الله سبحانه وتعالى فضّلهم وخصّهم بوحىه
 وجعلهم أمناء على رسالته، وأنهم الوسطاء بينه وبين عباده .

وقد فضّلهم الله سبحانه وتعالى بعضهم على بعض تفضيلاً من عنده ،
 فأفضّلهم وأكرمهم على الله هم أولو العزم من الرسل لقوله تعالى :
 " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
 اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (٤)

وعليهم جميعاً تدور الشفاعة حتى ترد إلى خيرهم سيدنا محمد صلى الله
 عليه و سلام .

ويأتى بعدهم من أرسلهم الله سبحانه وتعالى من رسله وعددهم في كتابه ،
 وما لا يعلم بحقيقة عددهم إلا هو سبحانه ، ومن بعدهم من الأنبياء الذين
 بلغوا بوحىه سبحانه ولم يؤمروا بتبليغ ذلك . وإن الله سبحانه وتعالى
 أرسلهم جميعاً لحكمة علّما إياها . وقد خصهم الله تعالى من البشر
 لا من غيرهم لئلا يكون في ذلك حجة للناس ، والله أعلم حيث يضع رسالته ، وبيان
 حقيقة هذه الأمور يتضح بين طيات هذا الفصل ان شاء الله .

٢ - سورة الصافات : الآية ٧٩

١ - سورة الصافات : الآية ١٨١

٤ - سورة الشورى : الآية ١٣

٣ - سورة النمل : الآية ٥٩

المبحث الأول

معنى النبي والرسول

في معرض الحديث عن النبوة وحكمة إرسال الرسل، وطبيعتهم،
والشبه الواردة في ذلك؛ كان لابد من بيان معنى النبي، والرسول، والفرق
بينهما؛ لحصول الفائدة المرجوة من ذلك :

معنى النبي : النبي مشتق من النبأ، وهي الشيء المرتفع؛ وعلى هذا يكون
النبي الرفيع المنزلة عند الله تعالى . ومنه النبأ أى الخبر لقوله تعالى
" عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ؟ " (١) وهو من أنبأ عن الله تعالى وأوحى
إليه بملك؛ أو ألهم في قلبه ، أو نبّه بالرؤيا المألحة . (٢)
وهو في الشرع : أن من نبأه الله بخير الساء ولم يأمره أن يبلغ
غيره. (٣)

والرسول في اللغة هو الذى يتابع أخبار الذى بعثه ، وهو من
أرسل ، وأرسلت فلاناً في رسالة فهو مرسل ورسول، والجمع رسل . (٤)
والرسول في الشرع : إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام . (٥)
وعلى هذا فكل من النبي والرسول مرسل من الله سبحانه وتعالى وأوحى

١ - سورة النبأ : آية ١ - ٢

٢ - لسان العرب : ابن منظور : ج ١ : باب الهمزة : فصل النون ، ص ١٦٣ ، أنظر :
العقيدة الطحاوية : أبى العز : ص ١٦٧ . العقيدة الإسلامية وأسسا : الميداني : ط ٢
بيروت : دار القلم : ١٣٩٩هـ ، ص ٢٩٧ . أصول الدين : البغدادي : ط ٢ : بيروت : دار
الكتب العلمية : ١٤٠٠ ، ص ١٥٤

٣ - العقيدة الطحاوية : أبى العز : ص ١٦٧ . أنظر : طريق الهجرتين : ابن القيم ، ص ٥٧٢

٤ - لسان العرب : ابن منظور : ج ١ : باب اللام : فصل الراء ، ص ٢٨٤ . الصحاح
الجوهري : ج ٤ ، ص ١٧٠٩

٥ - التعريفات : الجرجاني : ص ٢٥٨ ، الطحاوية : أبى العز : ص ١٦٧

إليه بشرع .

وهذا يبين أن الرسول أخص من النبي . فكل رسول نبي وليس
كل نبي رسولا . وفي ذلك دلالة على أن كلاً من النبوة والرسالة
بنص إلهي ، واصطفاء رباني لا يأتي عن طريق الكسب والاجتهاد . (١)

...

١ - انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ١٨ ، ص ٧ ، التعريفات للجرجاني ص ١١٥
العقيدة الإسلامية وأسها : الميداني ، ص ٣٠٠

المبحث الثاني

الحكمة من إرسال الرسل :-

لما كان الإيمان بالرسل ركناً من أركان الإيمان بالله تعالى ، وأنهم مصطفون من قبل الله تعالى وخصهم بوحيه فانه لا يتأتى لمقدور البشر معرفة الخير المأمور به ، والشر المنهي عنه ، إلا عن طريقهم .

ففى إرسالهم مصالح عظيمة لا تحصى ، ذلك أن الإنسان لا يستطيع بعقله أن يدرك كل الأمور ، بل يدرك البعض منها ، ويقصر فهمه عن البعض الآخر .

ولكى يهتدى البشر الى ما قصر فهمهم عنه ، كان لابد من إرسال الرسل لتعليمهم ما جهلوه .

وبهذا تتوى للإنسان الأدلة العقلية والنقلية . (١) لهذا قال تعالى : " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا " (٢) وقوله تعالى :

" رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا " (٣)

١ - انظر : التحقيق التام فى علم الكلام : محمد الظواهري : ص ١٥٢

٢ - سورة الإسراء : جزء من الآية ١٥

٣ - سورة النباء : الآية ١٦٥

ولأجل هذا لم يترك الله سبحانه وتعالى الإنسان إلى عقله وحده ، لينظم سلوكه في هذه الحياة ؛ لأن معنى الخير في نظر إنسان ما ، يختلف عند غيره من الناس ، وكذا في باقي المعاني ، فإدراك عقلية الفرد في عمر معين يختلف عنها في فترة أخرى ، وكذا المجرب .
يختلف عن غيره ، والعالم عن الجاهل إلى غير ذلك من فروق .
لأجل هذا أرسل الله تعالى رسوله [رحمة بالناس لتنظيم أمور المعاش ، ولئلا يقمروا في عبادته بحجة أنه ما جاءهم من بشير ولا من نذير ولئلا ينكروا وجود الله واليوم الآخر .] (١)

وقد قال ابن القيم رحمه الله في ذلك : [ومن هاهنا تعلم اضطراب العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسل ، وما جاء به وتمديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفضيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به .] (٢) فكل خير حث عليه الأنبياء عليهم السلام ؛ وكل شر نهوا عن اتباعه .

١ - انظر : النبوات : الرازي : مكتبة الكليات الأزهرية : ط ١ : ١٤٠٦ ، ص ٧

٢ - زاد المعاد : ابن القيم : مؤسسة الرسالة : ج ١ ، ص ٦٩
انظر : العقيدة الإسلامية : الميداني : ص ٣٠٢

المبحث الثالث

وظيفة الرسل :-

لما كانت الحكمة من إرسال الرسل هي التبليغ عن الله عز وجل
فقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مهمات الرسل ووظائفهم
كما يلي :-

أولاً : البلاغ المبين :-

وهذا البلاغ جاء به أول الرسل إلى أهل الأرض ، جاء نوح عليه
السلام إلى قومه كما في قوله تعالى :

" أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ "

والمقصود بالتبليغ : هو أن يعرفهم أنواع التكليف والأوامر ، والنواهي
من قبل الله عز وجل . (٢) فهم بهذا سفراء الله تعالى إلى عباده .

وإلى هذا البلاغ أرسل جميع الرسل كما جاء في قوله تعالى :

" الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴿٣﴾ "

ثانياً : الدعوة إلى الله :-

ان مهمة الرسل لا تقف عند الإبلاغ فقط بل بإقناع الناس إلى
الاستجابة إلى دعوتهم والعمل بها وتحقيق ذلك في أنفسهم، وهم في
هذا يبلغون الجهد العظيم ولنا في نوح عليه السلام أسوة حسنة،
مكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين عاماً بشتى الأساليب ليستجيبوا إلى

١ - سورة الأعراف : الآية ٦٢

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ١٤ ، ص ١٥٧

٣ - سورة الأحزاب : جزء من الآية ٣٩

دعوته كما في قوله تعالى :

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (١)

وبهذا جاء جميع الرسل، فهي مهمتهم العظيمة التي من أجلها يصبرون

على أذى أقوامهم قال تعالى مخاطباً محمد صلى الله عليه وسلم :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (٢)

ثالثاً : التبشير والإنذار :

وهذا من أحد أساليب الرسل في دعوتهم إلى الله تعالى

مبشرين ومنذرين متخذين في ذلك طرق الترغيب والترهيب ، وهذا هو

موضوع الرسالة التي من أجلها كانت المهمة العظمى لهم ، (٣) ولقد

جاء نوح إلى قومه قائلًا كما في قوله تعالى :

« إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤) وما جاء في عامة الرسل :

« وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَمُجَدِّدِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ

لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخِذُوا إِلَهِي وَمَا أَنْذَرُوا هَؤُلَاءِ » (٥)

١ - سورة الاعراف : الآية ٥٩

٢ - سورة الأنبياء : الآية ٢٥

٣ - انظر الكواشف الجلية عن معاني الواسطية : عبد العزيز السمان : ط ٤٤ ، مؤسسة مكة للطباعة والنشر ، ص ٤٠

٤ - سورة نوح : الآيتان ١ - ٢

٥ - سورة الكهف : الآية ٥٦

الأمور التي أنذر بها نوح قومه :-

- ١ - أنذرهم يوم القيامة وعذابه .
 - ٢ - أنذرهم من عذاب الطوفان .
 - ٣ - أنذرهم من المسيح الدجال لقوله صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما : (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال : إني لأنذركموه ، وما من نبي إلا أنذره قومه ، لقد أنذر نوح قومه ، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه ، تعلمون أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور) (١)
- وهذا مما يدل على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته . فكل نبي جاء مرسلًا من عند الله تعالى أنذر قومه بما أنذر به نوح عليه السلام من فتنة المسيح الدجال .

رابعاً : إصلاح النفوس وتزكيتها :-

- ولا يكون هذا الإصلاح إلا بإخراجهم من الظلمات إلى النور وأمرهم بإيَّاهم بالتقوى ، قال تعالى عن نوح :
- " إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٦٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٦٨﴾ " (٢)
- فخطاب نوح عليه السلام لقومه بألا تتقون أي ألا تخافوا الله وتخشونه ومن خاف الله سبحانه وخشيه ، فقد اتقاه .

١ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٦ ، كتاب الأنبياء ، باب ولقد أرسلنا نوحاً ، ص ٣٤٠

٢ - سورة الشعراء : الآيات : ١٠٦ - ١٠٨

وسبب تقديم نوح عليه السلام التقوى هنا ذلك أن [القوم إنما قبلوا تلك الأديان للتقليد ، والمقلد إذا خُوف خاف ، وما لم يحصل الخوف في قلبه لا يشتغل بالاستدلال] (١) وهو هنا يقول لهم ألا تتقون مخالفتي وأنا رسول الله إليكم ، وفي المرة الأخرى لذكر التقوى : ألا تخافون مخالفتي ولست آخذ منكم أجراً . ومتى دخل هذا القول لقلب إنسان بدأ يبحث في منازل نفسه لإصلاحها وتركيتها . وهذا ما كان في شأن باقي الرسل عليهم السلام كما في قوله تعالى :

" رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (٢)

خامساً : تقويم الفكر المنحرف و العقائد الزائفة :-

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق على فطرة الإسلام فاختلغوا من بعد ذلك ودخلت الوثنية بينهم ، فكان لابد من إرسال رسول يبين لهم ما وقعوا فيه وهذه مهمة كل الرسل كما في قوله تعالى :

" كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ " (٣)

وما من رسول إلا قال لقومه " اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . "

وإنذارهم هنا ما وقع فيه أقوامهم من الشرك بالله ومن قبل أنذر

١ - التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٤ ، ص ١٥٤

٢ - سورة البقرة : الآية ١٢٩

٣ - سورة البقرة : جزء من الآية ٢١٣

نوح قومه كما في قوله تعالى :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٢﴾ " (١) فهو عليه السلام [نذير للعصاة من العقاب ، وأنه مبين بمعنى أنه بين ذلك الإنذار على الطريق الأكمل والبيان الأقوى الأظهر] (٢) ومن ثم بين سبحانه أن هذا الإنذار إنما حصل في النهي عن عبادة غير الله تعالى .

سادساً : إقامة الحجة عليهم :-

لا أحد أحب إليه العذر من الله وهذا من رحمته سبحانه وتعالى لعباده أن لا يعذبهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم كما في قوله تعالى :

" رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٣﴾ " (٣) ، وكل رسول يوم القيامة يشهد على قومه بأنه بلغ لهم ومحمد صلى الله عليه وسلم وأمته يشهدون لكل رسول أنه بلغ قومه وهذه ميزة ميز الله بها سبحانه وتعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، بحيث جعلهم شهداء على الناس فيمن هم بينهم وفيمن هم قبلهم . (٤) لقوله تعالى :

" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " (٥) وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ - سورة هود الآيتان : ٢٥ - ٢٦

٢ - التفسير الكبير : الرازي : ج ١٧ ، ص ٢١٣

٣ - سورة النساء : الآية ١٦٥

٤ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ١ ، ص ١٨٩

٥ - سورة البقرة : جزء من الآية ١٤٣

عن ابي سعيد قال : (يجيئ نوح وأمته : فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟ فيقول : نعم أي رب ، فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبي ، فيقول لنوح من يشهد لك ؟ فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، فتشهد أنه قد بلغ) (١)

سابعاً : قيادة الأمة وسياستها :

كل رسول بعث إلى قوم ، وكل قوم بحاجة إلى من يوجههم ويقودهم ويدبر أمورهم ، ولما كان الرسل عليهم السلام يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم . لهذا كانت طاعتهم واجبة ، وهى من طاعة الله سبحانه وتعالى لقوله عز وجل " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْا الْأَمْرَ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا " (٢) ومن طاعة الأمم لرسولهم يتسنى لهم آنذاك الحكم فيما بينهم لقوله : " فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ " (٣)

وقد طلب نوح عليه السلام من قومه طاعته كما في قوله تعالى : " فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا " (٤) ومن هذا المنطلق تكون الطاعة لورثة الرسل وخلفائهم في أممهم ، ولذا فقد أقرنهم الله تعالى في كتابه بالأنبياء ، لأنهم قائمون بما بعث به الأنبياء عليهم السلام علماً وعملاً ، ودعوة الخلق إلى الحق سبحانه

١ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٤ : كتاب الأنبياء : باب قوله ولقد

أرسلنا نوحاً إلى قومه ، ص ٣٧١

٢ - سورة النساء : الآية ٥٩ .

٣ - سورة المائدة : جزء من الآية ٤٨

٤ - سورة الشعراء : الآية ١٣١

كما في قوله :

" وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١١﴾ " (١)

...

المبحث الرابع

الأنبياء أفضل خلق الله :

إن من يحمل أمانة التبليغ من الله تعالى إلى البشر ومن كانت وظيفته الدعوة إلى الحق لابد أن يكون أعلى درجات الفضيلة، بحيث يكون هو أفضل الخلق المبعوث لهم ، ليكون في ذلك محط القدوة الحسنة .

والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام] أفضل الخلق باتفاق المسلمين ، وبعدهم الصديقون والشهداء والملاحون . [(١) وهم أصحاب الدرجات العلى في الآخرة . فلا يعقل أن يكون النبي من الفجار ؛ بل ولا يكون من عموم أصحاب اليمين ؛ بل من أفضل السابقين — المقربين . (٢)

فهم من صفوة الخلق الذين اصطفاهم المولى سبحانه على سائر عباده لقوله تعالى :

" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ " (٣)

١ - دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ٣ ، ص ١١٦ : انظر : طريق الهجرتين : ابن القيم : ص ٥٧٠

٢ - المرجع السابق : ج ٣ ، ص ١١٧

٣ - سورة آل عمران : الآيتان : ٣٣ - ٣٤

فالأمطفاء من الله تعالى بأن اجتبى آدم ونوحاً واختارهما
لدينهما ، و آل ابراهيم وآل عمران لدينهم الذي كانوا عليه ، لأنهم
كانوا أهل إسلام ، وجعل بعضهم من بعض في الموالاة في الدين ،
والمؤازرة في الإسلام والحق .

فدين هذه الذرية بعضها من بعض فكلمتهم واحدة، وملتهم
واحدة ، في توحيد الله وطاعته . (١)

وأفضل أولياء الله أنبياءه ، وأفضل أنبيائه المرسلون ،
وأفضل المرسلين أولو العزم ، وأفضل أولو العزم محمد صلى الله
عليه وسلم خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام
الأنبياء إذا اجتمعوا . (٢)

...

١ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ٣ ، ص ٢٣٤

٢ - الكواشف الجلية : السمان : ص ٤٠

المبحث الخامس

أولى العزم من الرسل :

أولو العزم من الرسل الذين نص عليهم القرآن الكريم

خمس كما جاء في قوله تعالى :

« ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ » (١)

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [سيد الأنبياء

خمس ، ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد الخمسة ، ونوح
وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم] (٢)

١ - سورة الشورى : الآية ١٣

٢ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم : الطبعة ٢ : بيروت : دار الفكر :
١٣٩٨ : ج ٢ ، ص ٥٤١

شريعة أولي العزم من الرسل :

سبق بيان أن دين الإسلام هو الدين الذي أتى به جميع الرسل

إلا أن في آية التشريع إشكال يجب بيانه ، قال تعالى :

" شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ " (١)

قال الشنقيطي رحمه الله ، [الدين في قوله : " شرع لكم من الدين "

الآية ، نصوص الأصول التي هي التوحيد دون الفروع العملية .] (٢)

وهذا يعنى أن أمور العقيدة واحدة لدى جميع الأنبياء من لدن آدم

عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم لما في قوله تعالى :

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٣﴾ " (٣)

وقال تعالى :

" وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ " (٤)

وقال تعالى :

" وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رُسُلُنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ " (٥)

وقال الرازى فى تفسيره [والمعنى شرع الله لكم يا أصحاب محمد من الدين

ما وصى به نوحاً و محمدًا وإبراهيم وموسى وعيسى .]

١ - سورة الشورى : الآية ١٣

٢ - أضواء البيان : الشنقيطي : ج ٢ ، ص ٦٤

٣ - سورة الأنبياء : الآية ٢٥

٤ - سورة النحل : جزء من الآية ٣٦

٥ - سورة الزخرف : الآية ٤٥

المبحث السادس

أدلة الكتاب والسنة على أن نوحاً عليه السلام أول رسل الله لأهل الأرض

عرفنا من قبل الفرق بين النبي والرسول واتفق أهل العلم على أن آدم عليه السلام كان نبياً في أولاده وكان بمثابة المربي لهم . ومن بعده كان إدريس عليه السلام جدياً لنوح عليه السلام* ، وهو أيضاً نبي على ما كان عليه آدم عليه السلام . ويبدو فيما تقدم أن الوثنية لم تظهر إلا في قوم نوح عليه السلام ولذلك أرسل إليهم . ولحديث أبي أمامة عن ابن عباس [كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام .] (١)

ومن الآيات التي تثبت رسالة نوح عليه السلام في قومه كما في قوله تعالى : " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ " (٢) وقد سبق بيان المقصود من هذه الآية . في وظيفة الرسل . وأنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض . (٣)

ومن أدلة السنة :-

ما جاء في حديث الشفاعة المروى عن أبي هريرة رضي الله عنه (فيأتون نوحاً فيقولون :

* - انظر ص ٢٣١ — في نسب نوح عليه السلام .

١ - رواه ابن حبان في صحيحه : تحقيق كمال الحوت : الطبعة التاسعة : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٧ ، كتاب التاريخ ، رواه الحاكم في المستدرک : كتاب بدء الخلق ، ص ٢٤

٢ - سورة الشورى : جزء من الآية ١٣

٣ - دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ٢ : ص ٢٥١

يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ... الحديث (١) وقد قال ابن حجر في ذلك كما في كتاب التيمم أن المقصود من هذا إثبات أولية إرساله . (٢) وهذا مجمل ما عليه أهل العلم لما في قوله تعالى :

« وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا أَفَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٨٥ » (٣)

وقد قال الرازي : إنما بدأ تعالى بذكر نوح لأنه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الأحكام والحلال والحرام . (٤) وهي تبين أنه أول من أوتى بشرع . وهو بهذا أول رسل الله إلى أهل الأرض .

وبناء على هذه الآية الكريمة ، علينا أن نؤمن بمن سمي الله تعالى في كتابه من رسله ، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً وأنبياء ، سواء هم ، لا يعلم أسماءهم وحققت عددهم إلا الله تعالى . فالإيمان بهم جملته واجب لأنه لم يأت نص متواتر في حقيقة عددهم ، وعددهم في القرآن خمسة وعشرون نبياً ، منهم ثمانية عشر نبياً ورسولاً ، (٥) كما ذكرتهم الآية . وهم : آدم ونوح وإدريس وصالح

١ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٦ : كتاب الأنبياء : باب : «إنا أرسلنا نوحاً» : ص ٣٧١

٢ - المرجع السابق : ج ١ : كتاب التيمم : ص ٤٣٦

٣ - سورة الانعام : الآيات من ٨٣ - ٨٦ .

٤ - التفسير الكبير : الرازي : ج ١١ ، ص ١١٠ . لعله يقصد أنه أول من أوتى بشرع وأمر بتبليغه .

٥ - انظر : العقيدة الطحاوية : أبي العز : ص ٣٤٩

وإبراهيم وهود ولوط ويونس وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون
واليسع وذو الكفل وداود وزكريا وسليمان وإلياس
ويحيى وعيسى ومحمد ، صلى الله عليهم أجمعين .

وإنما بدأ بنوح عليه السلام في الآيـة
لأنه أبـو البشر الثاقب وأول نبي شرع الله
تعالى على لسانه الشرائع والأحكام ، وأول نبي
عذبت أمته لردهم دعوته وقد أهلك الله
بدعائه أهل الأرض . (١)

وهذا يبين أن نوحاً عليه السلام أول رسل الله
لأهل الأرض ، وأن آدم عليه السلام كان في أولاده
بمثابة النبي . أما نوح فقد أرسل إلى
قوم دث فيهم الشرك ، ودعاهم من بعد إلى توحيد
الله تعالى ، و الله تعالى أعلم .

١ - ارشاد العقل السليم : أبو السعود : ج ٢ ، ص ٣٥٥ : انظر نفس المرجع
ج ٢ ، ص ٢٦ . انظر الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ٤ ، ص ٦٢-٦٤

تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض :

قال تعالى : " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ^ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ " (١) لقد أخبر الله تعالى بتفضيل الأنبياء بعضهم على بعض في الدرجات ، فمنهم من أرسل إلى الناس كافة ومنهم من خص بقوم ، ومنهم من كلمه الله وحياً ومن وراء حجب إلى غير ذلك ، ولكن هذا التفضيل لا يأتي في حقنا من جهة الإيمان بهم . ذلك أن المطلوب منا الإيمان بهم جميعاً دون تفضيل بينهم ، " لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ " (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : " (لا تفضلوا بين أولياء الله) (٣)

وأما ما ورد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : (أنا سيد الناس يوم القيامة) (٤) وفي رواية مسلم عن أبي هريرة (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) (٥) لم يقلها الرسول صلى الله عليه وسلم من باب الفخر وإنما علم أنه أفضل الأنبياء وقالها بهذا تواضعاً ، ليعلم الناس بها . فقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن فضلها على السابقين له وليعلم من هو بعده ليخبر بهذا ، فقد قالها عليه السلام من باب الإخبار لا من باب الفخر .

١ - سورة البقرة : جزء من الآية ٢٥٣

٢ - سورة البقرة : جزء من الآية : ٢٨٥

٣ - فتح الباري : ابن حجر : ج٦ : كتاب الأنبياء : باب إن يونس لمن المرسلين : ص ٤٥١

٤ - المرجع السابق : باب "لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه" : ج٦ ، ص ٣٧١ ، ج٨ ، ص ٣٩٥

٥ - صحيح مسلم : النووي : كتاب الفضائل : ج ١٥ ، ص ٣٧

و الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتبعون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الفضل ، فمرتبتهم بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم ، وإن تفارقوا فيها ، يليه سيدنا إبراهيم ، فسيدنا موسى ، فسيدنا عيسى فسيدنا نوح ، وهؤلاء هم أولوا العزم من الرسل ، لتحملهم بالغ الصبر والمشاق في نشر دعوتهم . (١)

...

-
- * - لما جاء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع . صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ، ص ٣٧ .
- ١ - انظر : تحفة المريد : على جوهرة التوحيد : البيجوري : ص ٨٣ .
- انظر : ص ٨١ ، ٨٣ فى تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على الأولين والآخرين .

المبحث السابع

بشرية الرسول والشبه الواردة على ذلك

الشبهة الأولى : كونه بشراً مثلهم :

إن ما عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها إن الله يمطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فالله تعالى يختص لرسالته من يشاء ، وكون الرسل من البشر فيعتريهم بهذا ما يعتري سائر أفراد البشر من الأمور البشرية العامة. وفيما لا يتعلق بتبليغ الأحكام ، قال تعالى :-

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشْكُرُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ « (١)

وهذه هي الحجة الأولى في الطعن في نبوة نوح عليه السلام لقوله تعالى : " فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْسِلُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا " (٢)

والمقصود من قولهم : نحن وأنت مشتركون في البشرية ولا نرى لك ميزة تستحق أن تكون فيها علينا نبياً .

وهذا القول عارض فيه كفار قريش محمداً صلى الله عليه وسلم بقولهم " وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ " (٣)

وفي هذا الاعتراض جهل محض من وجوه هي :-

أولاً :- لو كان النبي ملكاً كما زعموا لكانت الشبهة أقوى ولكان الطعن أشد ، ذلك أنه لو أتى بمعجزة لقالوا أتى بها من عند نفسه لكون

١ - سورة النحل : جزء من الآية ٤٣

٢ - سورة هود : جزء من الآية ٢٧

٣ - سورة الأنعام : الآية ٨

ماهيته خارجة عن حدود البشر .

ثانياً :- لو كان النبي ملكاً لما استطاعوا رؤيته لإختلاف الطبيعة الجسمية بين بني البشر و الملائكة ، ولو كان ملكاً كما يزعمون لجعله الله تعالى على صورة الرجال ليتمكنهم التعرف عليه، وليسكنوا إليه لكيلا يفزعوا منه وهو بهذا يماثل صورة بني آدم ، ولظنوا أنه رجل مثلهم ثم هم بهذا يعودون لنفس شبهتهم ، (١) كما في قوله تعالى : **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسَ عَلَيْهِ مِمَّا يَلْبَسُونَ** ﴿٢﴾

وهذه الشبهة أعترض بها جميع الأقوام على أنبيائهم، والإنكار هو طبيعة البشر ، لقد كان هذا حال الجاهلية دائماً في عدم قبول الحق وإصرارها على الباطل ، والبحث عن حجة يعترضون بها من أجل بقاء حكم الجاهلية سائداً فيهم .

لقد كان ذلك قمة الجحود والمثالة ، لقد رفضوا أن تكون الحاكمية فيهم لغيرهم ، حتى وصل بهم الأمر رفض كونها لله تعالى ، لقد علم كفار قريش وفهموا معنى لا إله إلا الله واستيقنتها أنفسهم ، فانهم لو قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لانتقلت الحاكمية بهذا من بين أيديهم ، التي سادوا بها البشر فترة من الزمن، ووصلت لغيرهم . لذا كان هذا الإصرار منهم بعدم قبولها ولا حتى مجرد التلطف بها . كما كان من شأن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ - انظر : فتح القدير : الشوكاني : ج ٢ ، ص ١٠١

٢ - سورة الأنعام : الآية ٩

حيث كان يطلب منه أن يقلبها ليشفع له بها عند الله تعالى ،
ولكنه أبى وأصر إما خوفاً من قول العرب على أنه صبا عن دين
آبائه ، أو لأنه رفض أن تكون الحاكمية لغير قومه .

فهذه الكلمة استيقنتها أنفسهم إلا أن ألسنتهم جحدتها . وهم لهذا
يدافعون عن ذلك بشتى الطرق والحجج الزائفة . وهذا ما كان عليه حال الأمم
على مر العصور الغابرة ، قالوا لقومهم يبحثون عن حجج لعلمهم يسلكونها في
إقناعهم إلا أن كلمة الله هي الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد تمثلت هذه الشبه في قوله تعالى :

”الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ تُوجُّ وَعَاكِدٌ وَتَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
لِغَفْرِ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾“ (١)

وفى إعراض قوم نوح عنه لكونه بشر مثلهم أمور هي :-

١ - التعريض به لأنه بشر مثلهم وأنهم أحق بالنبوة منه ، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم ، (١)
وهذا شأن كفار قريش لما قالوا :
" لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " (٢)

٢ - أنهم أرادوا أن يكون ملكاً لا بشراً لأنهم قالوا " بشراً مثلنا " فلا ينبغي أن تكون النبوة في بشر مثلنا ، بل خارج عن طبيعتنا والمراد أن يكون ملكاً . (٣) وفي هذا دحض لهذه الشبهة في كون المراد من طبيعة الرسول أن تكون على هيئة الملائكة وإلا لا عترفوا عليها بمثل ما أخبر عنه القرآن الكريم ، والله سبحانه وتعالى أعلم بنفوس عباده .
الشبهة الثانية التي اعترض فيها على نبوة نوح عليه السلام اتباع الأراذل من القوم كما في قولهم :-

" وَمَا نَزَّلَكَ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفَكُوا " (٤) والأراذل هم ضعفاء الناس وفقراؤهم . (٥)

وقولهم ما نراك اتبعك إلا أراذل القوم ونحن أصحاب الفكر والنظر ، وما علموا بهذا أن أصحاب العقول الضعيفة على حسب رأيهم حاسموا

١ - انظر : الكشاف : الزمخشري : ج ٢ ، ص ٢٦٥

٢ - سورة الزخرف : الآية ٣١

٣ - أنظر : روح المعاني : الألوسي : ج ١١ ، ص ٢٣

٤ - سورة هود : جزء من الآية ٣٧

٥ - انظر : الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ٩ ، ص ٢٣ - الكشاف : الزمخشري ج ٢ ، ص ٢٦٥

بعقولهم حول الحق ، لا يرجون إلا ما التفتت إليه أرواحهم ورأتهم نفوسهم بأنه الحق لأنهم لا يملكون من الدنيا ما يجعلهم يعترضون به على ذلك ، وليس لديهم من المال والجاه والكبرياء ما يجعلهم يقارنون فيمن ولمن سيكون الأمر ، إن هم اتبعوا ذلك .

أما ما عليه القوم فانهم يبتغون جاه الدنيا وما هو محسوس لديهم متمثل بين أعينهم من مادية رعاء ، أما الآخرة فلا نصيب لها من أن يمعنوا النظر والتفكر والتدبر بها ليصلوا إلى مجرد التفكير فسي أمرها وما يلزم لها من أمور الإيمان . وهذا هو حال جاهليّة كل زمان ومكان .

ثم لما وجد قوم نوح عليه السلام أن من اتبعه من المؤمنين به قد تمسكوا بما آمنوا به على الرغم مما عوقبوا به من أشد البلاء والإضطهاد ، أخذوا يحدثونهم وهم بهذا يحدثون أنفسهم : بعدة أمور :- (١)

١ - أسلوب التهكم والإعتراض :-

و أسلوب التهكم ومعارضة الحق قائم منذ القدم ، منذ أن قام أول رسول يدعو إلى الله إلى يومنا الحاضر والحق والباطل في صراع . وأهل الباطل يمارعون لتكون الغلبة لهم ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

١ - فقال الملأ من قوم نوح ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ليسودكم فلم يجد لهذا طريقاً إلا ادّعاء النبوة . (٢)

١ - انظر : محاسن التأويل : القاسمي : ج ٩ ، ص ١١٢

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٣ ، ص ٩٢

٢ - ولو شاء الله هذا لجعله ملكاً وليس من بنى البشر .

٣ - الطعن فيما أتى به نوح عليه السلام قالوا :

" مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ " (١) وفي هذا إشارة إلى أنه عليه السلام قام بدعوتهم إلى هذا الأمر من توحيد الله في العبادة وهو بهذا قد حذرهم عن عبادة ما سواه من الآلهة .

٤ - قولهم : " إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُدَّعَىٰ جِنَّةً " (٢) وهم بهذا يخاطبون

العوام وهم يعلمون بالضرورة كمال عقله ورجاحة فهمه .

٥ - قولهم " فَتَرْتَضُونَهُ لِيَوْمٍ جَدِيدٍ " (٣) أي واصبروا وانتظروا

حتى تروا أنا صادقون ، فما عليكم إلا أن تصبروا على ما يدعيه حتى حين ، أي لعله يرجع عما يدعيه ، فان هو بقي على ما هو عليه وأتبعه بآيات تنصره رجعنا عن قولنا واتبعناه ، وإلا فلا حاجة لاستعجالكم من يادي الأمر في اتباعه .

والجواب عن هذه الأمور لم يذكره تعالى في الآيات ذلك لوضوح

أمرها وركاكه ما يدعون ، وفساد أمرهم .

و ذلك :

١ - أن البشرية كما تقدم لابد وأن تكون من أمور النبوة لحصول

الألفة والمؤانسة بين البشر بعضهم لبعض ، ولكونهم يمتازون بنفس

١ - سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٤

٢ - سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٥

٣ - سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٥

الصفات الإنسانية البشرية • حتى لا تكون حجة في عدم إتباعهم الرسول ويقولون هو ملك وطبيعته غير طبيعتنا. والتكاليف التي أتى بها يستطيع أن يقوم بها لكونه خارج عن ما هيتنا ، ولكن القدير جعله من البشر حتى تتساوى سائر التكاليف ثم إن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها •

٢ - قولهم يريد أن يتفضل عليكم : إن الله سبحانه وتعالى حكيم في أفعاله، ذلك أن النبوة إصطفاء منه لا كسب من البشر فهو يصطفى من الناس رسلاً حيث يشاء والله أعلم حيث يضع رسالته ، وجميع الأنبياء المصطفين كانت صفاتهم من أعلى الصفات المتمثلة في بني البشر من صدق وأمانة وفطانة ، وسلامه من العيوب المنقورة ، وأنهم لا يفعلون سوءاً ، وهذا ما كان عليه الرسل جميعاً ، ولقد لُقّب محمد صلى الله عليه وسلم في بني قومه قبل بعثته بالأمين ، وقد كانوا يجعلون أموالهم أمانة عند محمد صلى الله عليه وسلم لمسا إتصف به من صدق وأمانة •

فهم يعلمون هذا جيداً ولكنهم لا يفقهون • لقد اختار الله سبحانه وتعالى النبي بهذه الأوصاف ، حتى يلزمهم للإنقياد لطاعته •

٣ - أما قولهم به جنة فهم كذبوا في ذلك وما هي الجنة بل في كمال رجحان العقل •

٤ - فتربصوا به حتى حين وهذا ضعيف لأنه إن ظهرت الدلالة على نبوته وهي المعجزة وجب عليهم قبول قوله في الحال ولا يجوز توقيف ذلك إلى ظهور دولة الحق لتدل على الحقيقة ، ومن لم يؤمن بمعجزة أتى له أن يؤمن بدوله • (١)

الشبهة الثالثة :- عدم وجود فضل له عليهم في مراتب الدنيا :

قالوا : " وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ " (١١)

والمعنى لا نرى لك ولا لمن تبعك فضل علينا أى زيادة تؤهلنا لاتباعكم
لا في العقل، ولا في رعاية المصالح العامة، ولا في قوة الجدل .

وهم بهذا كاذبون فقد نفوا عنه الأفضلية في قولهم أولاً ما نراك
إلا بشراً مثلنا . ثم قالوا ما اتبعك إلا الضعفاء ، وما لهم بهذه التبعية
من فضل ، فلو كان فضلاً ما تبعوك إليه وسبقونا إلى هذا ، ولعدم
تبصرهم ورؤيتهم للحق قالوا ما لك ولا لهم من فضل في الاتباع بل
نظنكم كاذبين :

وهنا رد الله عليهم هذه التهمة بأمور :-

أولاً : إن حصول المساواة في البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في
صفة النبوة والرسالة ، فإن خفيت عليكم هذه الأمور مع البينة والبرهان
على صحتها وعميت عليكم فهل أستطيع أن أؤمركم اليها سواء شتمتم أم أبيتم
فلا طاقة لي بهذا ، وهو ما جاء في قوله تعالى :

" قَالَ يَاقَوْمِ إِيَ يَوْمٍ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاثَنِي رَحْمَةً
مِّنْ عِنْدِي فَعُيِّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ هَا وَانْتَرِهَا كَذِرْهُنَّ " (٢)

١ - سورة هود : جزء من الآية ٢٧

٢ - سورة هود : جزء من الآية ٢٨

ثانياً : فى بيان حكم تعاطى الأجر فى الدعوه الى الله تعالى .

قوله تعالى :

" وَيقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِمُطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَثِرُونَ وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنِّي أَمْلَأُ جَهَنَّمَ بَشَرًا وَيَقُولُوا مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدْتُمْ فَلَا تَذْكُرُونَنِي وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا أَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ حج " (١)

ففى هذا رد على شبهتهم الثانية بأنه أتبعه أراذل القوم ، وفى الأمرين رد على شبهتهم الأولى والثانية ذلك أن الشبهة الثالثة جمعت الشبهة الأولى والثانية .

وقد أكد لهم نوح عليه السلام هنا ثلاثة أمور :-

١ - أني لا أسألكم عليه ما لا إنا أجرى إلا على الله فلا فرق في تبليغ الدعوه لفقير أو غنى .

٢ - أني لم أدع النبوة لأطلب ما لا ذلك أنهم أخذوا بظاهر الأمور ، لأنه لم يكن من الأغنياء منهم ؛ بل يبتغى الأجر من الله تعالى .

٣ - إن الله تعالى سبحانه فضله على كثير منهم ، وبموجب هذا

الفضل نجده هنا يسعى معهم ، فى طلب الاعداد للآخرة ، والاعراض
عن الدنيا . (١)

— الا أنه يحسن القول هنا عن أمر مهم وهو :—

حكم تعاطى الأجر على الدعوه الى الله ؛ فقد سلك العلماء فى ذلك
الأمر الى عدة آراء ؛ منها :—

الأول : أنه الأصل فى كل طاعه يختص بها المسلم لايجوز الاستئجار عليها
مثل الإمامه والآذان ، والحج وتعليم القرآن ، والجهاد ، وهو قول
عطاء والضحاك بن قيس ، وابى حنيفه ، ومذهب الامام أحمد .

الثانى : أجاز الامام مالك والشافعى أخذ الأجر على هذه الطاعات ، وعلى
قراءه القرآن وتعليمه ؛ وقد وافقهم المتأخرون من الفقهاء وقد
استندا الى فعل الرسول صلى الله عليه وسلم عندما زوج رجلا على
ما معه من القرآن .

وعزوا ذلك الى أن الداعيه ينقطع الى هذا العمل
فإنه يفرض له ما يكفيه ويسد حاجته وأهله . (٢)

لذا لم يأت الأنبياء عليهم السلام طلبا فى الأجر
وذلك لأنهم جميعا جاءوا داعين الى الله باذنه ؛
لا طلبا فى تعاطى الأجر والمثوبه من المدعويين .
والله أعلم .

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ١٧ ، ص ٢٢٣

٢ - انظر : الدعوه الى الله : توفيق الواعى : ص ٣١٧ ، ٣١٨

نهايه المحتاج ج ٥ / ص ٢٨٩ / المغنى لابن قدامى ج ٦ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

ونستطيع أن نقول : لأجل هذا الخطأ الناشئ من سوء الفهم ، كان إنكارهم أن يكون الرسول بشراً منهم هذا الإنكار كان يحول بين المرء وإيمانه بالرسالة والرسول . لأجل هذا ركز القرآن الكريم على قمع هذه المفاهيم الخاطئة وبين أن البشر هو الذي يصلح أن يقوم لهداية البشر ، ذلك أن المقصود من بعث الرسل ليس إنزال التعاليم فحسب ، بل من أجل تطبيقها في واقع الحياة ، ومن أجل تقديم قدوة يقتدى بها، وأن باستطاعة الغير القيام بما يقوم به الرسول .

أما لو كان ملكاً لأنكروا فعله لأن طبيعة الملك غير طبيعة البشر والملائكة لم تفطر على ما فطر عليه البشر .

ثم ركز القرآن الكريم على أن قدرة الرسول وقوته قدرة عادية كباقي البشر ، وهو لا يملك من الأمور شيئاً ، لا يعلم الغيب ولا يستطيع أن يهدي من يشاء ، بل كل ذلك بيد الله سبحانه وتعالى، وقد خاطب نوح عليه السلام قومه بهذا قائلًا لهم :

" وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَاكْثُرْتَ حِدْلًا إِنَّا بِمَا يَدْعُنَا إِنَّا كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُتَّبِعٍ لِمَنْ يُرِيدُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾ " (١)

وكما نفى عليه السلام عن نفسه علم الغيب هنا ، يتضح أيضاً
 في موقف آخر وقف به نوح عليه السلام أمام ربه يدعوهُ أن ينجي ابنه
 من الغرق ، وجاءه الرد كما في قوله تعالى :

" قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ
 أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَالَيْسَ لِي بِهِ
 تَعَفَّرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٤٧﴾ " (١)

وأيضاً نفى عن نفسه عدم علمه بما كان يفعل قومه وهل كانوا
 مؤمنين حقاً أم من المنافقين الذين يظهرُونَ إيمانهم ، قال :

" قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٤﴾ " (٢)

كل هذا يبين أن طبيعة الرسول لا بد أن تكون بشرية لما تتضمنه
 من فوائد بعثته للناس ولتحقق هدف هذه البعثة إليهم .

لأجل هذا كانت طاعة الرسول واجبة لا لكونه أحد أفراد البشر
 بل لإعتباره قد أوتى الحكم والنبوة من الله تعالى وقد أمرنا بالإيمان به .
 حقاً : عجباً لمن ينكر أن يكون النبي بشراً ، ويجعل الإله حجراً .

النبوة إصطفاء لا كسب :

لما كانت النبوة لا بد أن تكون بشرية فلا بد أن نبين أنه وفق
 هذا تكون النبوة إصطفاء من الله تعالى لا عن طريق الكسب والمجاهدة

١ - سورة هود : الآيتان ٤٦ - ٤٧

٢ - سورة الشعراء : الآيتان ١١٢ - ١١٣

كما فى قوله : " الله يمطفى من الملائكة رسلا ومن الناس "
وقوله : " ان الله اصطفى آدم ونوحا و آل ابراهيم و آل عمران على
العالمين ، ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم "

] فالذى ذهب إليه المسلمون جميعاً أن النبوة خصصة من الله
تعالى لا يبلغ العبد أن يكتسبها [(١) خلاف ما قاله الفلاسفة أنها
مكتسبة . (٢)

...

١ - تحفة المريد على جوهرة التوحيد : البيجورى : طالأخيرة : ١٣٥٨ ، ص ٧٩

٢ - جوهرة المتوحيد : اللقانى : ص ٧٨ بهامش : تحفة المريد .

المبحث الثامن

عصمة الأنبياء والشبه الواردة في ذلك

لما كان الرسول هو المثل الأعلى في أمته - وأنه كان المصطفى من بين قومه لتحمل أعباء الرسالة - الذي يجب الاقتداء به في كل أمر من أمور الاعتقاد والأفعال والأقوال والأخلاق ، ذلك أنه يمثل القدوة الحسنة في قومه ، لهذا وجب أن تكون كل هذه الأمور من أقوال وأفعال موافقة لما يحبه الله ويرضاه ، وأن لا تدخلها معصية قط . ولعظم مهمة الرسول في التبليغ إلى الناس وجب أن يكون معصوماً عن المعاصي .

ولكي نعرف ما هي العصمة ومقتضايتها ، وهل هي جائزة فهي حق الرسول أم واجبة ، كان لابد من تعريف العصمة لنصل إلى مفهومها إن شاء الله .

تعريف العصمة :-

- (١) العصمة في اللغة : العصمة في كلام العرب المنع ، وهي مطلق الحفظ ، يقال عصمه الطعام أي منعه من الجوع ، واعتصمت بالله أي إذا امتنعت بلطفه من المعصية وقوله " قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ " (٢) ٨٤

١ - تحفة المرید : علی جوہرۃ التوحید : البیجووری : ص ٨٤

٢ - سورة هود : جزء من الآیه ٤٣ : انظر : روح المعاني : الألوسي : ج ١٢ ، ص ٦٠

أى لا معصوم إلا المرحوم ، وقيل أى لا مانع . وقوله :
 " قَالَ سَأُوْى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِيْنِي مِنْ أَلَدٍ " (١) أى يمنعنى من الماء ،
 قال الزجاج : وأصل العصمة : الحبل ، وكل ما أمك شيئاً فقد عصمه ،
 تقول : اذا كفرت فقد زالت العصمة . (٢)

العصمة في الإصطلاح :- من عصمه الله بأن حماه من الوقوع في
 الهلاك أو ما يجبر إليه ، (٣) وهذا هو معنى العصمة في اصطلاح الشرع ،
 ودل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سعيد الخدري
 رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما استخلف
 خليفة إلا له بطانتان ، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة
 تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله) (٤)

وهذه من حق عامه الناس وهي جائزة في حقهم فعلى قدر
 إيمان المرء تكون عصمته من المهالك ، هذا إذا كان المقصود بها
 " البطانتين " النفس اللوامة المحرمة على الخير والنفس الأمارة بالسوء ،
 وقد يقصد بالبطانتين الأولياء والأصفياء ، وعلى كل من الأولياء
 والأصفياء ، ان كانوا على خير فإنهم لا يأمرون إلا بخير وهم بمثابة النفس
 اللوامة ، أما إن كانوا على شر فهم كالنفس الأمارة بالسوء . (٥)

-
- ١ - سورة هود : جزء من الآية ٤٣ : انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٤٥
 - ٢ - الصحاح : الجوهري : ج ٥ ، باب الميم فصل العين ، ص ١٩٨٩ ، لسان العرب : ابن
 منظور : ج ١٢ ، ص ٤٠٣
 - ٣ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١١ ، ص ٥٠١
 - ٤ - المرجع السابق : ج ١١ ، كتاب القدر ، باب المعصوم من عصم الله ، ص ٥٠١
 - ٥ - انظر المرجع السابق : ج ١٣ ، ص ١٩١ ، كتاب الاحكام .

أما عصمة الأنبياء :- فهي واجبة (١) في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهي : حفظهم من النقائص وتخميمهم بالكمالات النفسية والنمرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة . (٢) وهي في قول ابن حجر تعني عصمتهم بعد النبوة .

وقيل في العصمة :-

حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه . (٣) وهي في هذا المعنى تعني العصمة من الذنوب قبل وبعد البعثة .
والفرق بين التعريفين أنها في الأول تحيل وقوع الذنب بعد البعثة وفي الثاني تحيله مطلقاً قبل البعثة وبعدها .

وعلى كل فإن العصمة تعني في حق الأنبياء تنزيه الله تعالى لهم وحفظهم من الوقوع في الذنوب [فهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ،، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه] (٤) كما جاء في قوله تعالى :

" ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ " (٥)

- ١ - عمده القاري : العيني : ج ٢٣ ، كتاب القدر ، باب المعصوم من عصم الله ، ص ١٥٥
انظر تحفه المريد : البيجووي : ص ٨٤
- ٢ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١١ ، ص ٥١٢
- ٣ - تحفه المريد على جوهرة التوحيد : البيجووي : ص ٨٤
- ٤ - تفسير لا إله إلا أنت : ابن تيمية : تحقيق : عبد العلي حامد : ص ٧٨
- ٥ - سورة البقرة : الآية ٢٨٥

عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة :-

لما كانت العصمة تنزيه الأنبياء عليهم السلام من الوقوع في الذنوب ،
 كان من باب أولى عدم وقوعهم في الكبائر منها لهذا قال :
 العلماء : | أنه لا يجوز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه
 وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد ، وبه عارف ، ومن كل معبود
 سواه بريء [(١)] وبهذا النص يتضح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون
 من الكبائر قبل النبوة ، وذهب أهل السنة أنهم معصومون قبل النبوة
 وبعدها من الكبائر والمغائر كما جاء : فبقيين ندرى أن الله تعالى
 عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة . (٢)

استدل ابن حزم على قوله بحديث رواه بسنده عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي
 طالب رضي الله عنهم أنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهيمون به إلا مرتين من
 الدهر كلتاهما يعصمني الله منهما ، قلت لفتي معي من قريش بأعلى
 مكة في أغنام لها ترعى : أبصر لي غنمي حتى أسمع هذه الليلة
 بمكة كما يسمع الفتيان ، قال نعم ، فلما خرجت فجئت أدنى دار من
 دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمير فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان
 تزوج فلانة لرجل من قريش ، فلهوت بذلك الغناء ، وبذلك الموت حتى
 غلبتني عيني فما أيقظني إلا من الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال :
 ما فعلت ؟ فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل فخرجت

١ - روح المعاني : الألوسي : ج ٧ ، ص ١٩٩ ، انظر : جامع البيان الطبري : ج ٧ ، ص ٢٤٩

٢ - الفصل في الملل والنحل : ابن حزم الأندلسي : طبعة ١٣٩٥ : بيروت : دار المعرفة

فسمعت مثل ذلك ، فقليل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني، إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال لي : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلت شيئاً . فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته (١) .
وقد خرجه محقق الكتاب وقال [الحديث رواه البيهقي بسنده عن علي ابن أبي طالب .]

وهذا الحديث يدل على أنه عليه السلام لم يذنب قبل النبوة ولا بعدها لا بكبيرة ولا صغيرة ، وكذا لم يؤثر عن نبي الله نوح عليه السلام ذلك فقد كان أبواه مؤمنين (٢) ومن كان أبواه مؤمنين منهم استحالة عليه أن يقع منه هذا .

أما درجة صحة الحديث المروي فقد خرجه د . عويد المطرفي وقال : [هو صحيح (٣) السند و المتن ومن هنا خرج المحققون بهذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الصغائر قبل النبوة] . (٤) كما قال ابن تيمية رحمه الله : [والقول الذي عليه جمهور الناس : اثبات العممة من الإقرار على الذنوب مطلقاً] (٥)

وهذا يعنى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر و الصغائر مطلقاً قبل البعثة .

-
- ١ - الفمل في الملل والنحل : ابن حزم : تحقيق محمد ابراهيم نمير : عبد الرحمن عميرة : ط ١ : جده : مكتبة عكاظ : ١٤٠٢ : ج ٤ ، ص ٥٩
وكذلك ورد في البداية و النهاية : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٨٧
 - ٢ - انظر : التفسير الكبير : الفخر الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤٦
 - ٣ - آيات عتاب المصطفى : د . عويد المطرفي : القاهرة : دار الفكر : ص ٣٥ - ٤٠
 - ٤ - المرجع السابق : ص ٤٠
 - ٥ - تفسير لا إله إلا أنت : ابن تيمية : ص ٨٢

عممة الأنبياء عليهم السلام بعد البعثة :-

قدمنا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون قبل البعثة من الكبائر والمغائر وهذا هو الجائز في حق الأنبياء عليهم السلام ، أما في القول بالعممة بعد البعثة قالوا بوجوبها إجماعاً . خاصة ما يتعلق منها بأسلوب تبليغ الرسالة كما جاء أن الانبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به من الله سبحانه ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ^(١) ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه .

أما ما وقع من الأنبياء عليهم السلام على سبيل السهو والنسيان فقد اختلفوا في ذلك كثيراً ، هل هي من المعاصي الكبيرة أم من المعاصي الصغيرة ، وهل تجوز عليهم أو لا تجوز .

ومجمل القول في ذلك أن الذنوب كبيرها وصغيرها تختلف بحسب درجه إيمان العبد كيف ذلك وهي في حق الأنبياء ولا يسعنا القول عنها إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين . ذلك أن كل نبي صدر منه أمر من الأمور رجع فور صدور الأمر منه واستغفر وتاب إلى الله تعالى ، والله هو التواب الرحيم .

١ - تفسير : لا إله إلا أنت : ابن تيميه ، ص ٧٨ . أنظر : أصول الديين للبغدادى : ص ١٦٨ * الإرشاد : للجويني : ممر : مكتبة الخانجي : ١٣٦٩ ، ص ٣٥٦ ، عممة الأنبياء : الرازي : الطبعة الأولى : القاهرة : مكتبة الثقافة : ١٤٠٦ هـ ، ص ٤٠ ، مجموع الفتاوى : ابن تيميه : ج ٤ ، ص ٣١٩ الجامع للأحكام القرآن : القرطبي : ج ١ ، ص ٢٠٨

الشبهة الواردة في عصمة نوح عليه السلام :-

سبق القول بأن الأنبياء معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها إلا أنه وردت عدة شبهات تعرض إلى عصمة الأنبياء وأنهم وقعوا في بعض الأمور منها ما هو سهو ومنها ما هو على سبيل النسيان كما حصل مع نوح عليه السلام وكيف تجوز له ذلك :-

الشبهة الأولى :-

استمر نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً إلى توحيد الله تعالى فلم يؤمن معه إلا القليل واجتهد عليه السلام في دعوته بشتى الأساليب والطرق ، وهناك إلتجار إلى الله تعالى لما كانوا يعارضوه ويؤذونه هو ومن آمن معه وقال "رب انصرني بما كذبون" ^(١) وأنه لم يذدهم دعاؤه إلا فرارا وجاءه الرد كما في قوله تعالى : " وَأَرْجِ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ^(٢) هنالك دعا نوح عليه السلام على

قومه بعدما عرف أنه لن يؤمن أحد بعد اليوم :

" وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " ^(٣) وبين سبب لجوئه لمثل هذا الدعاء " إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجَارًا كَفَّارًا " ^(٤)

موطن الشبهة : هذه الآية تبين : ١ - أن نوحاً عليه السلام دعا على قومه بما فيهم الأطفال ولا ذنب لهم حتى يهلكوا ، مع احتمال أن يولد

منهم من يؤمن بالله .

١ - سورة المؤمنون : الآية ٢٦ .

٢ - سورة هود : الآية ٣٦ .

٣ - سورة نوح : الآية ٢٦ .

٤ - سورة نوح : الآية ٢٧ .

٢ - أنه تحكم على الله تعالى في قوله :

« وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً » فيما لا يعلمه .

والذى دعا نوح على الدعاء عليهم أن يخلص نفسه والمؤمنين معه من الأذى الذى لحق بهم من قومهم .

و مما يدل على أنه ارتكب ذنباً أمراً :-

أولاً : أنه استغفر لنفسه ولمن آمن معه بعد الدعاء على قومه بقوله :

« رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ

الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَاراً » (١)

ثانياً :- أنه عليه السلام إعتذر عن الشفاعة في يوم القيامة كما صح من حديث الشفاعة ؛ لأنه دعا على قومه كما فى حديث الشفاعة المروى عن أبي هريرة رضى الله عنه (فيأتون نوحاً فيقولون أيا نوح ، إنك أنبت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، إشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيرى .) (٢) فإن قيل : إذا كان الله قد غفر له فلماذا يمتنع الرسول عن الشفاعة ، وما امتنع عنها إلا لما بدا منه .

١ - سورة نوح : الآية ٢٨

٢ - فتح البارى : ابن حجر : ج٦ ، كتاب التفسير : باب ذرية من حملنا مع نوح ، ص ٣٩٥

الجواب عن ذلك :-

أولاً : أن نوحاً عليه السلام لم يدع على قومه إلا بعدما أوحى إليه :
 " وَأُوحِيَ إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ " (١) هذا على قول قتادة .

ثانياً : في قوله " ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً " ليس فيه تحكم على الله ولا إدعاء علم الغيب ، ذلك أن نوحاً عليه السلام عرف هذا بالنصر والاستقراء .

أما بالنسبة أولاً : لما في قوله : " إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " فقط أقنطه الله من إيمانهم . (٢)

أما الاستقراء فإنه عليه السلام استنبط ذلك من خلال المدة التي عاشها بينهم وعرف أحوالهم . (٣)

ثانياً : قيل أن الله سبحانه وتعالى أعقم أملاًب رجالهم وأرحام نساءهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن آنذاك أطفال ، ويدل عليه أنهم عندما ذهبوا إلى نوح يشكون إليه قلة المطر والرزق والبنين ، طلب

منهم عليه السلام أن يستغفروا ربهم كما في قوله :

" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ

بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴿٣﴾ " (٤) فجعل نوح عليه السلام الاستغفار علاج لما يشكون إليه من قلة الرزق والأموال والأولاد .

١ - سورة هود : جزء من الآية ٣٦ ، انظر : جامع البيان الطبري : ج ٢٩ ، ص ١٠١

روح المعاني : الألوسى : ج ٢٩ ، ص ٩٩

٢ - حاشية شيخ زاده علي تفسير القاضي البيضاوي وأنوار التنزيل وأسرار التأويل مصر : دار الكتب العربية : ١٣٠٦ : ج ٢ ، ص ٤٣

٣ - انظر المرجع السابق ج ٤ ، ص ٥٥٢

٤ - سورة نوح : الآيات : ١٠ - ١٢

الى جانب ما روى أن الرجل كان يأتي بابنه اليه ، ويقول : احذر هذا فإنه كذاب ، وإن أبي أوصاني بمثل هذه الوصية ، فيموت الكبير ويبقى الصغير على هذا . (١)

أما ما كان من دعاء نوح وطلبه المغفرة فمن باب أنه ترك الأولى، وهو أن يتم صبره عليهم . أو بسبب الانتقام منهم لأنهم تهادوا في تعذيبه لما فيه من طلب حفظ النفس . (٢)

ولما كان المقام الأعلى أجل من أن يقدره أحد حق قدره قال: اغفر لي فإنه لا يسعني وإن كنت معصوماً إلا حلمك وعفوك ورحمتك (٣) ، وهو هنا أظهر بتواضعه عظمة الله تعالى .

أما الاعتذار نوح عليه السلام عن الشفاعة فمن أمرين :-

أولهما : فكما قيل سابقاً أنه ترك الأولى بأن يترك أمر قومه ، إلى الله تعالى إن شاء أهلكهم ، وإن شاء أبقاهم . وترك الأولى ليس ذنباً ومع هذا استغفر منه نوح لسمو إيمانه، وخشيته لله تعالى ، وخوفاً من أن تكون دعوته على قومه وإجابة الله تعالى له بأن أهلكهم هي الدعوة المجابة له وهو بهذا استوفى دعوته المجابة لقوله عليه السلام ، (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبى دعوتي شفاعة لأمتي) (٤)

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٩ ، ص ١٤٦ ، الدر المنثور : السيوطي : بيروت : دار المعرفة ، ج ٤ ، ص ٣٢٧

٢ - النظر المرجع السابق

٣ - نظم الدرر : البقاعي : ج ٢٩ ، ص ٤٥٩

٤ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١١ : كتاب الدعوات : ص ٩٦

أما ثانياً : نهى الله تعالى له أن يسأل ما ليس له به علم
فخشي أن تكون شفاعته لأهل الموقف من ذلك . (١)

وهذا جواب عن الشبهة الثانية وهى طلبه من الله تعالى أن ينجي
ابنه من الفسوق فطلب منه المولى أن لا يسأل ما ليس له به علم . فنسوح
عليه السلام هنا خشي أن يسأل الله ما ليس له به علم .

ومنها ما يريد الله به إكرام محمد صلى الله عليه وسلم
بهذه الشفاعة ذلك أن عيسى عليه السلام لما طلبوا منه الشفاعة
قال إذهبوا إلى من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وتأخر
عيسى عليه السلام عن المقام المحمود الذى خص به محمد صلى
الله عليه وسلم ، وهذا من فضائل عيسى عليه السلام .

[فعلم بهذا أن تأخرهم عن الشفاعة لم يكن لنقص درجاتهم
لما كانوا عليه ، بل لما علموه من عظمة المقام المحمود الذى
يستدعى من كمال مغفرة الله للعبد ، وكمال عبودية العبد لله
ما اختص به من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .] (٢)

وعلى هذا يقاس كل ما كان فى حق الأنبياء عليهم جميعاً أفضل
المصلاة والسلام .

- ١ - انظر : المرجع السابق : ج ١١ ، كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار : ص ٤٣٤
- ٢ - منهاج السنة النبوية : ابن تيمية : تحقيق محمد رشاد سالم : الطبعة الأولى :
الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود : ١٤٠٦ ، ص ٤٢٥

الشبهة الثانية :-

أن نوحاً عليه السلام سأل ربه نجاة ابنه من الغرق قال تعالى :
 " وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿١﴾
 قَالَ يُنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَفَنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ
 تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٣﴾ " (١)

فمضمون هذه الآيات يفيد بأنه عليه السلام إرتكب ذنباً من وجهين :-
الوجه الأول : إن نوحاً عليه السلام صدر منه كذباً هنا وذلك عندما
 قال : " ان ابني من أهلي " فرد عليه تعالى " انه ليس من أهلك " فيكون
 قول نوح عليه السلام هنا كذباً ، والكذب معصية .

الجواب :-

أولاً : اختلف العلماء في ابن نوح عليه السلام هل كان ابنه حقيقة
 أم لا . على ثلاث أقوال :
الأول : أنه ابنه على الحقيقة (٢) لأن الله تعالى نص على ذلك كما في
 قوله " ونادى نوح ابنه " ونص عليه قول نوح عليه السلام " يا بُنَيَّ "
 روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هو ابنه غير أنه خالفه
 في النية والعمل . (٣)

-
- ١ - سورة هود : الآيات ٤٥ - ٤٧
 - ٢ - الكشاف : الزمخشري : ج ٢ ، ص ٢٧٢ : قصص الانبياء : النجار : ص ٢٨
 - ٣ - الدر المنثور : السيوطي : ج ٤ ، ص ٢٣٤ ، تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٤٤٨

وقد عورض هذا القول بأنه ليس إبنه في الحقيقة ولكن كان رببياً له ، وذلك لأنهم اتبعوا أن يكون للرسول ابن كافر .

والرد على هذا : أن كفر ابنه لا يمنع أن يكون ابنه على الحقيقة ذلك أن والد إبراهيم عليه السلام كان كافراً ، وكذا أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرغم من كل الجهد الذي بذله لحماية الرسول والدفاع عنه ضد كفار مكة ، ثم اختلف القائلون بهذا القول أنه عليه السلام لما قال : " رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا " فكيف نادى نوح ابنه وهو يعلم كفره .

الجواب :

١ - إن ابنه كان منافقاً يظهر إيمانه فلذا لك ناداه نوح عليه السلام ولولا هذا لما أحب نجاته .

٢ - أن نوحاً عليه السلام كان يعلم بكفر ابنه ولكن عندما ناداه يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، كأنه يرجو منه أن يؤمن في اللحظة الأخيرة ، وهذا هو المنتقى من القول لأمر :-

أ - إن المدة التي دعا نوح قومه كافية لأن تبين له المشرك من المؤمن من المنافق .

ب - لجوء ابن نوح عليه السلام إلى الجبل ، وقول أبيه له

" لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " يرجح مجاهرة ابنه بالكفر .

ج - قوله عليه السلام " لا تكن مع الكافرين " يوضح أن ابنه كان مجاهراً بكفره .

د - دعاء نوح عليه السلام " رب إن ابني من أهلي " و لم يقل من المؤمنين .

٣ - أن شفقة الأبوة هي التي حملته على ذلك النداء لما سبق في قوله
 " إلا من سبق عليه القول " فكان هذا قول مجمل ، وظن أنه ممن يجوز عليه أن
 يكون داخلاً فيه ، (١)

والثاني : أنه ليس بابنه وأنه ابن زوجته على قراءة رويت عن علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنه " ونادى نوح ابنه " وهي قراءة شاذة (٢)
 بلغة طيء ، وعلى هذا لا يمح أن يكون ابن زوجته ، بل هو ابنه على الحقيقة .

الثالث : قالوا إنه ولد على فراشه لغير رشده ، وهذا قول
 لا يجوز في حق الأنبياء فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه
 (إن نساء الأنبياء لا يزني) ، وعنه قوله (ما بغت امرأة لنبي قط) (٣)
 وقد أسندوا قولهم هذا أولاً إلى قوله تعالى : " فَاذْنَبَا غِيَابًا " من
 قوله " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
 عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا " (٤) وقد أجمع

المفسرون أن الخيانة كانت خيانة في الدين والشرك لما روي عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال : [ما زنتا ، أما خيانه امرأه نوح فكانت تقول
 للناس انه مجنون ، وأما خيانة امرأه لوط فكانت تدل على الضيف ، فتلك
 خيانتها] ، (٥) وقد ورد في شأنها أطلقت لسانها بالخريفة من
 نوح عليه السلام خاصة عندما شرع في صنع الفلك ، (٦) وفي هذا

١ - انظر : الدر المنثور : السيوطي : ج ٤ ، ص ٣٣٤ . التفسير الكبير : الرازي : ج ١٧ ، ص ٢٤٠
 الجامع لأحكام القرآن : ج ٩ ، ص ٢٨ ، روح المعاني : الألوسي : ج ١٢ ، ص ٥٨

٢ - الدر المنثور : السيوطي : ج ٤ ، ص ٣٣٥

٣ - الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ١٨ ، ص ٢٠٢

٤ - سورة التحريم : جزء من الآية ١٠

٥ - الدر المنثور : السيوطي : ج ٦ ، ص ٢٤٥ ، جامع البيان : الطبري : ج ٢٨ ، ص ١٧٠

٦ - إمرأتان في الجنة ، وإمرأتان في النار : محمد علي قطب ، ص ٤٧

رد على من زعم أن خيانه إمرأه نوح عليه السلام أنها بغت . (١)
 فدلاله قول ابن عباس رضي الله عنهما مريجة ، وإجماع المفسرين على
 أنها خيانه في الدين ، ويسند إلى هذا أيضا تحريم الزواج من نساء
 النبي صلى الله عليه وسلم بعده ، لأن ذلك يؤدي النبي صلى الله
 عليه وسلم كما في قوله تعالى " وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ
 اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا " (٢)
 وفي الآية إن سؤل زوجات الرسول من وراء حجاب يؤديه ،
 فمن باب أولى أن يؤديه تزويجهن من بعده وكان هذا عند الله
 عظيمًا ، فكيف إذا كان ذلك بدون سؤل ولا زواج . فهذا عند الله عظيم .
 وهذا يبطل ما روى أن خيانه زوج نوح عليه السلام كانت بالفراش وهو
 مستبعد ، لأن الله سبحانه وتعالى طهر الأنبياء عليهم السلام من
 ذلك ، وعما هو دونه من نقص ، فحاشاهم أن يشار إليهم بمثل هذا
 وهم صفوة خلق الله . (٣)

والدليل القاطع على فساد هذا القول قوله تعالى :
 " الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ
 لِلطَّيِّبَاتِ " (٤) وقوله تعالى " الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ
 لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ " (٥)

- ١ - انظر : دعوات الأنبياء والملاحين : محمد الدوادى : ص ٧٤
- ٢ - سورة الأحزاب : جزء من الآية ٥٣
- ٣ - انظر : أضواء البيان : الشنقيطي : بيروت : عالم الكتب : ج ٨ ، ص ٣٨١ ، انظر :
 قصص الأنبياء : النجار : ص ٤٣
- ٤ - سورة النور : جزء من الآية ٢٦
- ٥ - سورة النور : الآية ٣

وكذلك ما ورد في براءه السيدة عائشة رضي الله عنها مما رميت به زوراً وبهتاناً في حادثة الإفك " إِنَّ الَّذِي جَاءُ وَيَا لِفَاكِ عَصِيَّةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ مُرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ " (١) وقد استدل على هذا ابن

كثير في تفسيره . بقوله (لأن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشه لحرمه الأنبياء . (٢)

وقد عارض هذا الدليل الأستاذ : محمد الدوادى في كتابه دعوات الأنبياء والمالحين قائلاً [أما أنا فلا أحيّد عما أرى فيه صحة المعتقد فأقول :

إن امرأه نوح خانت في الفراش لا في الدين بدليل مريح الآية :

" إنه ليس من أهلك " ، وبدليل الإخبار بالمصدر " أنه عمل غير صالح "

وبدليل " ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأه لوط كانتا

تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما "] (٣)

وهو هنا يخطئ ابن كثير فيما ذهب إليه وغيره من المفسرين ،

ولا يجعل قولهم حجة حيث أنه لا وجه للقياس بين امرأة نوح والظاهرة

عائشه . ويمكن القول أنه لا قياس بينهما في شيء إلا أنه لا يجوز

لا امرأة نبي أن تكون بهذا الخلق لما فيه من تنفير الناس من الرسول .

والله حفظ نساء الأنبياء من الزنا حتى لا يعود ذلك بالانتقاص ،

والإخلال بمهمتهم في دعوة الناس إلى الله . (٤)

وعلى هذا فإن ابن نوح ابنه على الحقيقة وهو بهذا لم يكذب

وحاشا لنبي أن يقع في الكذب .

١ - سورة النور : جزء من الآية ١١ .

٢ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج٤ ، ص ٣٩٣ ، انظر ج٣ ، ص ٢٧٢ نفس المرجع .

٣ - دعوات الأنبياء والمالحين : محمد الدوادى : ص ٧٤

٤ - انظر : عصمة الأنبياء : الرازي : ص ٢٦٣ ، قصص الأنبياء : التجار : ص ٤٥

ثانياً : أسندوا قولهم أنه وَلِدَ على غير رشده لقوله : " انه ليس من أهلك " وإلى قوله : " انه عمل غير صالح " .

و مما تقدم يتضح أن المنادى في قوله " ونادى نوح ابنه " أنه ابنه على الحقيقة وعلى هذا فقوله تعالى " انه ليس من أهلك أن المقمود بالأهلية هنا هي أهلية الدين ، وقد انقطعت هذه الأهلية بكفر ابنه إلا أن حقيقة ينوته له باقية ، وهذه الآية تبين أن العبرة بأهلية الدين لا بقراية النسب . ولما كانت أهلية القربى ثابتة ، انتفت قراية الدين بأبلغ الألفاظ " أنه ليس من أهلك " . (١) وقيل لسعيد ابن جبير يقول نوح " ان ابني من أهلي " أكان من أهله ؟ أكان ابنه ؟ فصبح طويلاً ثم قال : لا إله إلا الله : يحدث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أنه ابنه ، ونقول انه ليس ابنه ! نعم كان ابنه ، ولكن كان مخالفاً في النية والعمل ، والدين ولهذا قال تعالى : " انه ليس من أهلك " (٢)

أما ما قيل أنه عمل غير صالح : فيها أقوال :

١: قالوا أنه وردت قراءة عن ابن عباس بفتح لام عمل أي أنه عمل عملاً غير صالح وذلك بكفره . وهذا رد على من قال أنه ليس ابنه ولم يصح شهرة سماع ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . (٣)

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ١٨ : ص ٣

٢ - الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ٩ ، ص ٤٦

٣ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٢ : ص ٥٣ ، الدر المنثور : السيوطي : ج ٤ : ص ٣٣٦
عصمه الأنبياء : الرازي : ص ٥٧

معارج الصعود إلى تفسير سورة هود : الشنقيطي : الطبعة الأولى : دار المجتمع : ١٤٠٨
: ص ١٣٦

٢- وقيل هي عملٌ بالتنوين ، بلفظ المصدر وهذا ما عليه قُرأ ،
 الأممار وهو ما أجمع عليه المفسرون وهو على معنى أنك بسؤالك
 إياي نجاة ابنك من الفرق عملٌ غير صالح منك [لأنه مألّه
 منك إلى أن لأفعل ما قد تقدم مني القول بأنى أفعله في إجابتي سألتك
 إياي فعله ، فذلك هو العمل غير الصالح .] ^(١) وهذا ما كان من ذنب
 نوح عليه السلام .

٣- وقيل عمل غير صالح أى أنه ابن زنا وقد تقدم بيان ذلك
 فى كون الخيانة كانت خيانة دينية : ذلك أن الجواب " انه عمل غير صالح "
 يحمل المقياس والمبدأ الصحيح عند الله أحكم الحاكمين ، ذلك أن
 المبدأ والمقياس الذى عليه الثواب والعقاب هو العمل وليس أى
 شيء آخر ، مهما كانت مكانة المتوسل والشاكي والداعي عند الله
 ومهما كان رسولاً نبياً وله المكانة العظمى عند الله تعالى [فالعمل
 والعمل فقط هو مناط القبول والرفض والثواب والعقاب عند الله
 سبحانه وتعالى] ^(٢)

فبنوة نوح عليه السلام كانت حقيقية وأنه لم يكن منه عليه
 السلام كذيباً ، بل حاشاه كان صادقاً فى قوله . والله أعلم .

١ - جامع البيان : الطبرى : ج ١٢ ، ص ٥٣

٢ - أضواء على التصوف : د . طلعت غنام : القاهرة : عالم الكتب : ١٩٧٩ م : ص ١٤

الوجه الثانى من الشبهة الثانية :-

وهى مخالفة نوح عليه السلام ربه بأن سألته نجاة ابنه وهو يعلم حقيقة ابنه وما هو عليه من الكفر كما فى قوله :

" قَالَ نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْنِ مَالِيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْشَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ " (١)

فى هذه الآيات ما يفيد صدور ذنب و معصية من نوح عليه السلام بأنه نهى عن سؤال ربه نجاة ابنه المتضمن فى قوله " رب ان ابنى من أهلى " وهو معصية من عدة أمور :-

أولاً : أنه نهى عن هذا فى قوله " ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرّقون " فيكون طلبه -نجاة ابنه الكافر معصية .

ثانياً : - قوله " فلا تدألن ما ليس لك به علم " ويدل على أنه سأل بغير علم و السؤال بغير العلم ذنب .

ثالثاً :- أن نوحا عليه السلام اعترف بإقدامه على الذنب وذلك بقوله " إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين " واعترافه يدل على أنه مذنب .

الجواب عن هذه الشبهة :

أولاً : ان سؤال نوح عليه السلام ربه بأن ينجى ابنه ليس بمعصية إنما هو من قبيل مخالفة الأولى أو الخطأ فى الاجتهاد .

أما ما كان من قبيل مخالفة الأولى : فذلك أن الله تعهد لنوح عليه السلام أن ينجي المؤمنين ، ولما كان ابنه من غيرهم وطلب هذا من الله تعالى ، فلما كان الجواب أنه ليس من أهله ، وأنه عمل غير صالح كان هذا الجواب أن ترك السؤال كان أولى ، وذكر أمراً كلياً يندرج فيه ، فقال : " فلا تسألن " بأي نوع من الأسئلة ما ليس لك به علم لأنك لا تعلم أمواب السؤال فيه أم خطأ . (١)

وهذا يبين ما يجب أن يكون عليه أولو القربى من التحقيق والانتظار ، في صدق الخبر وما كان من إعراف نوح عليه السلام بذنبه بقوله " إني أعوذ بك " فهو يعني بهذا أنه لن يعود لمثل هذا السؤال الذي لا علم له به مرة أخرى . وهنا إعلان توبة من نوح عليه السلام إلى الله تعالى ، وهو بهذا يؤدي حقيقة التوبة - بالعزم على التترك بقوله " إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم " . (٢)

والثاني / الندم علي ما كان بقوله وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٢) وهذا تأدب منه عليه السلام بأن يادر بالإعتراف بالخطأ وطلب المغفرة من الله تعالى .

ومما سبق يتضح أنها لا تكون ذنباً كما هو المعروف إنما هي من باب مدى رفعة منزلة الأنبياء عليهم السلام عند الله تعالى ، وأن حسنات الأبرار هي سيئات المقربين .

١ - انظر : نظم الدرر : البقاعي : ج ٩ ، ص ٢٩٧

٢ - سورة هود : آية ٤٧

وهكذا تمضى سنة الحق عز وجل بنصر أنبيائه عليهم السلام وكشف شبه الملحدين وردّها • وتنطلق كلمه الحق مدويه مجلجسه لنصر الله تعالى للمؤمنين بقوله " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ " وهكذا تكون العاقبة لمن كان من حزب الله " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢﴾ " ذلك الوعد الذى وعد به الله عز وجل من سار على هديه واتبع سنة نبيه • فما وهن من عذب في سبيل الله ولا خسر وإن ذاق وبال العذاب في الدنيا ، كان حقاً على أن ينصره الله في الآخرة ويرزقه الخلد وأعلى درجات النعيم • فإذا ما كان هذا أجر العاملين المؤمنين عامة فكيف به لمن هم أعظم أجراً عند الله تعالى وأعظم رفعةً ومنزلةً وقد قال بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر •)

فرسل الله عليهم الصلاة والسلام وجدوا من الهون ما لم يجده أحد مبين العالمين عذبوا واتهموا بالجنون والسفه والسحر وما كان هذا إلا لأنهم بدعوتهم يريدون أن ينزعوا الحاكمية والسلطان من بين أيدي الطغاة ، ويفردوا الله سبحانه وتعالى بالملك والخلق ، لأجل هذا كان الأمر شديد الوقع على الطغاة ولم يرضوا به وكان منهم ذلك الإعراض والإعتراض الشديد على أنبياء الله عز وجل ، ما يمثلون بذلك النزاع كل قوى الشر رغبة منهم في التقليل من شأن الأنبياء وإتهامهم بالسوء ولكن الله بالغ أمره ولو كره الكافرون وكان حقاً على الله نصر المؤمنين •

١ - سورة الروم : الآية ٤٧

٢ - سورة يونس : الآية ٦٢

الفصل الثالث

الإيمان باليوم الآخر

وفيه تمهيد ومبحثان :-

- التمهيد : وفيه تعريف بعقيدة الإيمان باليوم الآخر .
- المبحث الأول : الإيمان بالبعث .
- المبحث الثاني : الإيمان بالحساب .

التمهيد

الإيمان باليوم الآخر

لما كانت عقيدة التوحيد هي العقيدة التي دعا إليها جميع الأنبياء عليهم السلام ، وما من نبي جاء ، إلى قومه إلا ليقول لهم " أنه لا إله إلا أنا فاعبدون " ، وقوله " إعبدوا الله ما لكم من إله غيره " ومن ضمن القضايا التي دعوا إليها قضية الإيمان باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وجزاء ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، كما في قوله تعالى :

" **إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** " (١)

ولقد ذكر هذا جلياً وضحاً في قصة نوح عليه السلام ، ذلك أن الإيمان باليوم الآخر هو صمام الأمان في هذه الأرض ، وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق ، والحارس الأمين الذي يضمن تنفيذ شرع الله في هذه الدنيا ولا يكون ذلك إلا بصرف النفس عن المادية الزائفة ، وإعمالها على طاعة الله تعالى ، لهذا كان من المهم أن يبين كل رسول عن كنه هذا اليوم للعمل له . (٢)

وقد ورد ذكر البعث في قصة نوح عليه السلام في مواطن عديدة منها كما في قوله تعالى :

" **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** " (٣)

١ - سورة الأنبياء : الآية ٥٩

٢ - العقيدة وأثرها في بناء الجيل : عبد الله عزام : ط ٣ : عمان : مكتبة الأقصى : ١٤٠٠ : ص ٣٨

٣ - سورة نوح : الآية ١

وقال تعالى : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ " (١) وهذا الإنذار من عذاب الله أى عذاب يوم القيامة ، إذا لقوا الله تعالى وهم مشركون به " (٢) ولقد قال بهذا كثير من المفسرين ، (٣) على أن التقدير هو التخويف بيوم القيامة ، وقالوا قد يكون التخويف من يوم الطوفان :

وجاء فى قوله تعالى :
 " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾ " (٤) وقد عبر من هذا اليوم بالأليم وذلك [أنه لما حصل الألم العظيم فى ذلك اليوم ، أسند ذلك الألم إلى اليوم] (٥) الواقع يوم الآخرة .

البحث الأول : الإيمان بالبعث :

جاء الحديث عن اليوم الآخر مفصلاً بعض الشيء فى قصة نوح عليه السلام ، فقد جاء ذكر البعث : تلك القضية التى جاء بها كل رسول يدعوا

١ - سورة الأعراف : الآية ٥٩

٢ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٢٣

٣ - انظر : جامع البيان : الطبرى : ج ٨ ، ص ٢١٣ ، ارشاد العقل السليم : أبو السعود : ج ٢ ، ص ٢٣٥ ، التفسير الكبير : الرازى : ج ١٤ ، ص ١٥٥ : روح المعانى : الألوسى : ج ٨ ، ص ١٥٠ ، فتح القدير : الشوكانى : ج ٣ ، ص ٢١٦

٤ - سورة هود : الآيات ٢٥-٢٦

٥ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، التفسير الكبير : الرازى : ج ١٧ ، ص ٢١٩

قومه الى عباده الله وحده لا شريك له ، ذلك أن جزاء أعمالهم لن يكون جزاءا دنيويا ويقضى الأمر ، بل يسند ذلك الى يوم يجازى الله فيه من أحسن فله الحسنى وزيادة ومن أساء فعليها ، وقد جاء ذكر ذلك كما فى قوله تعالى " رَنَقَرَرِ لَا أَشَلُّكُمْ عَلَيَّوَمَا لَآ إِنَ أَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلِنَكْفِيَنَّ أَرْكَكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿١﴾ "

قال المفسرون : أن الملاقاة هنا : هى ما يكون من رجعة بعد الموت وأنهم ملاقوا الله من أجل الفمل والحساب ، وهو هنا عليه السلام يجادل قومه فى شأن ضعفاء قومه : قائلًا إن هؤلاء الذين تألوني طردهم صاثرون إلى الله سائلهم عما كانوا فى الدنيا يعملون ، لا عن شرفهم ولا حسبهم . (٢)

ما جاء فى تمؤير البعث وكيف يكون :-

جاء فى قوله تعالى :

" وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ " (٣)

حيث صور لهم نوح عليه السلام كيفية نشأتهم كإنبات النبات ، وأن القادر على هذا الإيجاد ، قادر على الإعادة مرة أخرى من باب أولى ، وقد أكد هذا الإخراج مرة أخرى من القبور بقوله : إخراجاً وكان هذا التأكيد [بالمفعول المطلق لرد إنكارهم البعث .] (٤)

١ - سورة هود : الآية ٢٩

٢ - جامع البيان : الطبري : ج١٢ ، ص ٢٩ : فتح الباري : ابن حجر : ج١ ، كتاب الإيمان ص ١١٨

٣ - سورة نوح : الآيات : ١٧ - ١٨

٤ - التحرير والتنوير : عاشور : ج ٢٩ ، ص ٢٠٥

وفي هذه الآية أمور :-

- ١ - تكلم فيها من بدء النشأة الأولى و شبه ذلك بالإنبات لوقوع التصوير الحسي في هذا الأمر لكونها و كونه مشاهدة حسية فلا مجال لإنكاره .
- ٢ - تكلم عن الموت و حقيقته بقوله " ثم يعيدكم فيها " .
- ٣ - تكلم عن البعث بعد ما صار الإنسان رفاة في الأرض .

وكان لتوجيه نوح عليه السلام أبصار قومه إلى حقيقة الإنشاء و تصويرها بالإنبات، و من ثم تصوير اعادتهم مرة أخرى ، ذلك ليوجه أنظار قومه إلى هذه الحقيقة [تستشعر قلوبهم يد الله وهي تنبتهم من هذه الأرض نباتاً ، وهي تعيدهم فيها مرة أخرى، ثم تتوقع النشأة الأخرى و تحسب حسابها ، وهي كائنة بهذا اليسر و بهذه البساطة ، بساطة البداهة التي لا تقبل جدلاً .] (١)

وجاء مؤكدا لهذا ذكر الرجعة بلفظها الصريح في القصة كما في قوله تعالى : " وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ

" (٢)

وفي هذه الآية بيان نهاية الوعيد : أي هو الهكم الذي خلقكم ورباكم ويملك التصرف في ذواتكم وفي ضعفائكم قبل الموت و عند الموت ، و بعد الموت مرجعكم إليه ، وهذا يفيد نهاية التحذير . (٣)
لا شك أن اراده الله المقصوده في الآية هي اراده كونية ؛ حيث أراد كفره ولم يرضه، وأراد ايمان المؤمن وأحبه ورضيه .

١ - في ظلال القرآن : سيد قطب : ج ٦ ، ص ٣٧١٥

٢ - سورة هود : الآية ٣٤

٣ - التفسير الكبير : الرازي : ج ١٧ ، ص ٢٢٨

المبحث الثاني : الإيمان بالحساب :-

إن من عدل الله عز و جل و رحمته بعث إلى عباده رسلا مبشرين و منذرين ، مبشرين بما أعدده الله سبحانه لعباده المؤمنين من نعيم و رضوان ، و منذرين لما أعدده للكافرين من جحيم و خزان ، و أن الله يجازي كل إنسان على ما كان من عمل .

لقد بين نوح عليه السلام إلى قومه أن هناك حساب حيث

يجازي كل منهم على حسب عمله قال تعالى :

" قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٣﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ

حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾ " (١) بين لهم أن قضية الحساب

خالصة لله تعالى كل بما جنت يده في هذه الدنيا وفي هذا بيان أن

اختصاص الرسول هو التبليغ فقط ، أما الحساب فهو فعل الله تعالى .

ما جاء في ذكر النار :-

لقد أُنذر نوح عليه السلام قومه كما في قوله :

" فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ " (٢)

والمقصود بالعذاب المقيم أي : عذاب دائم مستمر أبداً ، (٣) ومما

يوضح هذا قوله تعالى :

" مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ " (٤)

ففي ذلك إخبار لهم بالقيامة . (٥) وقيل هذا ما لهم في الحياة

١ - سورة الشعراء : الآيات ١١١ - ١١٣

٢ - سورة هود : الآية ٣٩

٣ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ، ص ٤٤٥ ، نظم الدرر : البقاعي : ج ١٢ ، ص ٢٨٥

٤ - سورة نوح : الآية ٢٥

٥ - الفتاوى الكبرى : ابن تيمية : ج ٤ ، ص ٢٦٦

البرزخيه ، لقوله فأدخلوا نارا وهي نار البرزخ على أن المراد بذلك عذاب القبر ، ^(١) وإثبات ذلك من وجهين :-

١ - أن الفاء في قوله " فأدخلوا " تدل على أنه حملت تلك الحالة - من الإدخال في النار - عقيب الإغراق ، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة وإلا بطلت دلالة هذه الفاء .

٢ - أنه قال فأدخلوا على سبيل الإخبار عن الماضي ، وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك . ^(٢) وقال بذلك ابن كثير بقوله [نقلوا من تيار البحار إلى مראה النار] ، ^(٣) وإن كان المقصود بأنه عذاب البرزخ .

فإن عذاب البرزخ على هذا التقدير أول عذاب الآخرة ومن كان في برزخه في النار فلا ينفي عنهم عذاب جهنم ، حيث يجوز أن يراد بها عذاب جهنم في الآخرة والله أعلم . ^(٤)

وبناء على ما سبق ، فكما جاءت دعوت نوح عليه السلام مبينة للأصول العامة في عقيدة التوحيد والنبوة ، فقد جاءت مبينة للأصول العامة لليوم الآخر وما يكون فيه من حياة برزخية وبعث ورجوع وحساب وعذاب .

وبهذا ابتدأت دعوته عليه السلام بأن دعاهم إلى عبادة الله

١ - روح المعاني : الألوسي : ج ٢٩ ، ص ٩٨

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي ج ٣٠ ، ص ١٣٥ ، في ظلال القرآن : سيد قطب ج ٦ ، ص ٣٧١

٣ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ج ٤ ، ص ٤٢٢

٤ - نظم الدرر : البقاعي : ج ٢٠ ، ص ٤٥٤

تعالى ومن ثم أنذر بالعذاب الأليم إن هم عصوه ، وفي ذلك إشارة
إلى البعث ، وبعدها أقام عليهم الأدلة الكونية في الآفاق على أن
هذا اليوم حق واقع وكل نفس حينذاك بما كسبت رهينة .

ومن هنا يمكننا القول : بأن أصول قضايا العقيدة في قـمـة
نوح عليه السلام ، هي أصول القضايا التي جاء بها محمد صلى الله
عليه وسلم ، والأنبياء جميعاً ، وكذا مناهج الدعوة ، إلا أن نوحاً عليه
السلام كانت له سابقة في الدعوة إليها وكل نبي يأتي بما يطبق
قومه وأن الله سبحانه وتعالى بعباده رؤوف رحيم .

...

الفصل الرابع

بقية مسائل العقيدة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

- التمهيد : وفيه الحديث عن بقية أركان الإيمان .
- المبحث الأول : ما كان من دعاء نوح عليه السلام .
- المبحث الثاني : ما كان من استغفار نوح عليه السلام .
- المبحث الثالث : حكم التماثيل والمصور .

...

لما كانت دعوة الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام واحده فى جوهرها العقدي وتدعو الى نصوص عقديّة واحدة ، فقد جاءت جميعها تدعو الى أركان الايمان . الا أن دعوة نوح عليه السلام لما كانت أولى الدعوات ، فقد ركز عليه السلام فى دعوته الى عدة أمور :-

- أولا : عقيدة الايمان بالله تعالى لأنها القضية الأولى والكبرى فى دعوة عليه السلام .
 ثانيا : الايمان بالنبوة واثبات رسالته عليه السلام ورد الشبه الموجه لها .
 ثالثا : الايمان باليوم الآخر وما فيه من اثبات للبعث والمعاد .
 ذلك أنهم ان آمنوا بالله تعالى وأطاعوه وابتغوا يوم يرجعون فيه الى الله حصل بذلك لهم الايمان ، ومن ثم كان الاخبار بباقي أركان الايمان .
 رابعا : الايمان بالقضاء والقدر :-

أما الموضوعات التى تناولتها قصه نوح عليه السلام فى القضاء والقدر أشارت اليها الآيات لما فى سابق علم الله تعالى وتقديره ؛ كما ورد ذكر ذلك فى قوله تعالى " فالتقى الماء على أمر قد قدر " (١) أي التقى ماء السماء وماء الأرض على حال قد قدرها الله فى الأزل وقضاها باهلاك المكذبين غرقا .

أما ما جاء فى قوله تعالى " حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول.... " (٢)

فالتقصود من قوله (، الا من سبق عليه القول) ايمان حكمنا بهلاكهم فى الأزل . وهذه أيضا تدل على سابق علم الله تعالى وقضائه سبحانه ؛ وهذا ما تحدث عنه الآيه الكريمه (وغيض الماء وقضى الأمر) (٣)

أما ما تناولته الآية الثالثة فى قوله تعالى " قال سأوي الى جيل يعصنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم.... " (٤)

١ - سورة القمر آية ١٢ .

٢ - سورة هود الآية ٤٠ .

٣ - سورة هود جزء من الآية ٤٥ .

٤ - سورة هود الآية ٤٣ .

نجد اشارة الآية للقضاء والقدر: (لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم)؛ أي لا معصوم من أمر الله ولا ناجى من عقابه الا من رحمه الله تعالى . (١)
فهذه الآية وسابقتها تشير الى أمر القضاء والقدر فى قصة نوح عليه السلام .
ذلك أنه قضى سبحانه فى الأزل باهلاك قوم نوح عليه السلام لما وقعوا فيه من كفر واعراض شديد لنبيهم .

أما ما كان من شأن البقية منها كما فى الايمان بالكتب ، فأننى لم أطلع على ما يفيد ذلك من خلال قصته عليه السلام ، ولم يحدثنا القرآن الكريم عن هذه الأمور ، ولا عن موقف قوم نوح عليه السلام من خلال قصته عليه السلام وقد يسند هذا الى أنه ليس بعد الكفر ذنب.

أما ما كان من شأن الايمان بالملائكة : فتشير الآيات القرآنية الكريمة أن قوم نوح عليه السلام كانوا يعرفون الملائكة ويؤمنون بهم ، ذلك أن قومهم جادلوه فى شأن النبوة ، وأنكروا عليه أن يكون الرسول بشرا وقالوا كما فى قوله تعالى على لسان قومهم :

١ - انظر : معانى القرآن أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء: المتوفى سنة ٢٠٧

تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبى / الهيئة المصرية العامة للكتاب

ج ٣ ص ١٠٦ / تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ٤ / ص ٢٦٣

التفسير القرآنى للقرآن / عبد الكريم الخطيب : دار الفكر

، م ١٨ ص ١١٣ .

الكشاف ج ٢ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

الطبري ج ١٢ ص ٢٦٩ .

" مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا " (١)

وقد ذكر الألوسي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية أن فيها وجهان :-

الوجه الأول : أنهم أرادوا بقولهم هذا ما أنت إلا بشرا مثلنا ، أنه ليس فيك مزية قوية تخصك من بيننا بالنبوة توجب لك فضل اتباعك ، ويشهد لهذا قوله تعالى على لسان قومه :

" وَمَا نَزَّلْنَا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ " (٢)

الوجه الثاني : أنهم أرادوا بقولهم ، أن يكون ملكاً لا بشراً ، ولهذا عمد عليه السلام ليبرئ نفسه بقوله : " وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ " (٣) فهو هنا عليه السلام ينفي صفة الملائكة عن نفسه ويثبت صفة البشرية لهذه الدعوة . (٤)

ومن هنا يتضح أن قوم نوح عليه السلام قد حاولوا مجادلتة عليه السلام في شأن بشرية الرسول ، ووجوب كونه ملكاً . (٥) أما ما كان من شأن بقية مسائل العقيدة فيجدر بيان ما كان من دعاء نوح عليه السلام حيث إن هذا الأمر قد شغل حيزاً كبيراً في قصته ولتتم به الفائدة المرجوة إن شاء الله ، وكذا ما كان من شأن الاستغفار .

أما ما كان من شأن تقديم حكم التماثيل و المصور لما في ذلك من بالغ الأهمية

١ - سورة هود : جزء من الآية ٢٧

٢ - سورة هود : جزء من الآية ٣٧

٣ - سورة هود : جزء من الآية ٣١

٤ - انظر : روح المعاني : الألوسي : ج ١٢ ، ص

٥ - سبق بيان ذلك في الفصل الثاني : ص

حيث أن الشرك ما وقع إلا بعد ما فسدت العقائد بسبب ما كان
من وجود تماثيل لقوم صالحين في زمانهم ، كما سيأتي ذكر
ذلك بالتفصيل بمشيئة الله تعالى . والله أعلم .

...

المبحث الأول

المطلب الأول : معنى الدعاء

نجد أن الدعاء كعبادة وعقيدة ، جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ونجده في قصة نوح عليه السلام واضحاً تمام الوضوح . فقد دعا نوح ربه في وقت الشدة واليقين . ودعا على قومه بعد ما يئس من استجابتهم ، لهذا كان من الجدير أن نتحدث عن الدعاء معناه وآدابه .^(١) وما كان من دعائه عليه السلام .

الدعاء في اللغة : الدعاء واحد الأدعية . وأصله " دعاو " لأنه من دعوت ، إلا أن الواو لمّا جاءت بعد الألف هُمزت .

و الدعاء : الرغبة إلى الله عز وجل ، دعاه دعاء ودعوى .^(٢)

ومعنى الدعاء لله يأتي على أربعة أوجه ، على سبيل دعاء المسألة :

أولاً : بمعنى توحيده سبحانه وتعالى والثناء عليه ، كقول : يا الله لا إله إلا أنت ، وكقول : ربنا لك الحمد ، وسُمي هذا دعاء لأن العبد عرف الله سبحانه وتعالى ثم وحده وأثنى عليه .

ثانياً : بمعنى طلب العفو والرحمة : ويكون ذلك بالتوبة عن الذنوب كقول القائل اللهم اغفر لي .

ثالثاً : بمعنى العبادة ، فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الدعاء مخ العبادة)^(٣) وفي

١ - الصحاح : الجوهري : ج ٦ : باب الياء ، فصل الدال ، ص ٢٣٣٧

٢ - لسان العرب : ابن منظور : ج ١٤ : باب الياء : فصل الدال ، ص ٢٥٧

٣ - الجامع الصحيح سنن الترمذي : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة : تحقيق إبراهيم عوض : لبنان : دار احياء التراث العربي : ج ٥ : كتاب الدعاء : باب ما جاء في فضل الدعاء : ٣٣٧١ ، ص ٤٥٦

رواية (الدعاء هو العبادة) ^(١) وفي قوله تعالى :
 " وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٢﴾ " (٢) ذلك أن الدعاء هو إعتـراف
 بالعبودية والمذلة والمسكنة ، فكأنه قيل : إن تارك الدعاء إنما تركه
 لأجل أن يستكبر عن إظهار العبودية . (٣) لهذا كان جزاء من يستكبر
 عن دعاء الله جهنم وبئس المصير .

رابعاً : بمعنى طلب قضاء الحوائج . كقول القائل : اللهم ارزقني . وفي
 جميع المعاني يأتي الدعاء بإخلاص العبودية لله تعالى وإفراده بكمال
 التوحيد .

...

١ - المستدرک علی الصحیحین من الحديث : الحاكم النيسابوري : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ هـ
 ج١ : كتاب الدعاء ، ص ٤٩١

٢ - سورة غافر : الآية ٦٠

٣ - التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٧ ، ص ٨١

المطلب الثاني : أفضل الدعاء

ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم : (أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله) . (١)

وإنما سمي التهليل والتحميد دعاء لما له من المنزلة في حصول ثواب الله وجزائه ، ذلك أن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي ، وطلب كشف ما يضره ودفعه ، ودعاء العبادة هو أن يدعوا الله سبحانه وتعالى خوفاً ورجاء فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، (٢) لهذا كان أفضل العبادة هو الدعاء ، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما : (أفضل العبادة هو الدعاء) . (٣)

وهنا يقع اعتراض على أن الذكر أفضل من الدعاء ولا حاجة للدعاء ، حيث علم أنه أجيب ، فقد قال بعض الناس : [هذا تعبد محض لحصول المطلوب بدون دعائنا فلا يبقى سبب ولا علامة] . (٤) وحيث أن حصول المطلوب هو من القضاء والقدر الذي قدر منذ خلق السموات والأرض .

١ - انظر : ابن ماجه : ج ٢ : كتاب الأدب : باب فضل الحامدين : ص ١٢٤٩ الجامع الصحيح لسنن الترمذي : بن سورة : ج ٥ رقم الحديث ٣٣٨٣ ، ص ٤٢٦ المستدرک للحاکم النيسابوری : ج ١ : كتاب الدعاء : ص ٤٩٨ ص ٥٠٣ موعظة المؤمنين : محمد القاسمي : تحقيق عاصم البيطار : الطبعة الأولى : بيروت : دار النفائس : ١٤٠١ ص ١٣٧ الأذکار : للنووي : تحقيق عبد القادر أرناؤوط : ط ٢ : الرياض دار الهدى : ١٤٠٩ : ص ٤٠

٢ - انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ١٥ ، ص ١٠-١١ لسان العرب : ابن منظور : ج ١٤ : باب الواو : فصل الدال ، ص ٢٥٧

٣ - المستدرک : للحاکم : كتاب الدعاء : ج ١ ، ص ٤٩١

٤ - دقائق التفسير : ابن تيمية : ج ١ ، ص ٢٦٩

الجواب : وقد أجيب على هذا أنه إذا كان المقصود من الدعاء إظهار الذلة والمسكنة ثم بعد ذلك الرضى بما قدره الله وقضاه ، فذلك أعظم المقامات . ذلك أن العبد بدعائه لله تعالى يستمد منه العون والعناية . وهذا أهم مقامات العبودية .

إذا : المقصود من الدعاء بهذا المعنى هو : إظهار العبودية والذلة والإنكار والرجوع إلى الله عز وجل بالكلية . لا مجرد الإعلام بالامر . وعلى هذا فالدعاء لم يشرعه الله تعالى ، إلا لحكمة ، لأنه تعالى لا يأمر ولا ينهى إلا لحكمة يعلمنا إياها أو لا يعلمها إلا هو سبحانه . (١)

الدعاء من أنفع الأدوية : الدعاء هو أنفع الأدوية : فهو عدو البلاء يدفعه ويعالجه ، ويمنع نزوله ، ويرفعه ، أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن . (٢) والدليل على ذلك : ما رواه علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض .) (٣)

ثانياً : الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ، فقد يقول القائل : ان المرء يدعو ولا يستجاب له . وقد قال تعالى :

١ - انظر التفسير الكبير : الرازي : ج ٥ ، ص ١٠٧

٢ - النظر : الداء و الدواء : ابن القيم : جدة : دار المدني : ١٤٠٣ ، ص ١٧ . انظر : محاسن : التأويل : جمال الدين القاسمي : ط ٢ ، بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ : ج ٣ ، ص ٩٧

٣ - المستدرك : للحاكم النيسابوري : ج ١ : كتاب الدعاء : ص ٤٩٢ . انظر : الداء و الدواء : ابن القيم ، ص ١٧

" وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ^(١) " ، قال ابن تيمية في ذلك :

[أى اعبدونى وامثلوا أمرى أستجب لكم .] ^(٢) وقال تعالى :

" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ ^(٣) " وقال

تعالى : " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا

الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ^(٤) " (٤)

والجواب على ذلك من وجوه :

أولاً : هذه الآيات مطلقة وقد وردت آية مقيدة في ذلك وهي قوله تعالى :

" بَلْ إِنِّيَادْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَهِإِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ^(٥) " (٥)

ولا شك أن المطلق محمول على المقيد في مثل هذا المتعلق لمشئته الله تعالى .

ثانياً : أن هذا المعنى يتقرر من وجوه في عدم أجابة الدعاء بعينه :

- ١ - أن الداعي لابد وأن يجد من دعائه عوضاً ، إما إسعافاً لطلبه الذي دعا به فإذا وافق القدر كان ، وإن لم يوافق القدر فإنه يبدل به سكينته في نفسه وانشراحاً في صدره وصبراً يسهل به احتمال البلاء الحاصل . وهو هنا على إحدى هذه الأمور لم يعدم الفائدة . وفي هذا جانب من الاستجابة .

١ - سورة غافر : جزء من الآية ٦٠

٢ - تفسير لا إله إلا أنت : ابن تيمية : الطبعة الأولى : الهند : الدار السلفية : ١٤٠٧ ، ص ١٠

٣ - سورة البقرة : الآية ١٨٦

٤ - سورة النمل : الآية ٦٢

٥ - سورة الأنعام : الآية ٤١

٢ - أن ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بائناً أو قطيعة رحم ما لم يستعجل . قيل يا رسول الله : ما الاستعجال ؟ قال : يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجب فيستحضر عند ذلك ويدع الدعاء) (١)

ففى هذا بيان لاستجابة الدعاء ولو بعد حين من الوقت . أو تكون الاستجابة فى الآخرة . وفى هذا فائدة عظيمة تبين أن المرء إذا دعا بائناً أو قطيعة رحم لا يستجاب له ، لفضيلة الدعاء .

٣ - ومن الحالات أيضاً طلب الخير من الله تعالى وهذا يتطلب أن يكون العبد عارفاً بالله سبحانه وتعالى ، وبأسمائه وصفاته ، وتمام قضائه وقدره ، وأن يدعو دائماً بطلب الخير من الأمر ، لهذا شرعت صلاة الاستخارة . فهو يطلب الخير من الله لا لوجوب وقوع عين الأمر لحديث جابر رضي الله عنه قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : (اللهم اني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب الحديث) . (٢)

هذا الحديث الشريف : يبين تمام تعليق أن الخير والشر بيد الله تعالى ، وبيان أن القضاء والقدر بيد الله تعالى وهو ركن من أركان الإيمان بالله تعالى الذى لا يكمل إيمان المرء إلا به .

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١٢ : كتاب الذكر والدعاء : باب أنه يستجاب للداعي ما لم يستعجل ، ص ٥٢

٢ - فتح البارى : ابن حجر : ج ١ : كتاب الدعوات : باب دعاء الاستخارة ، ص ١٨٣

٤ - ومن الحالات التي لا يجاب فيها الدعاء بعينه ما يحمل للقلب من ضعف ، و عدم اقباله على الله وقت الدعاء ، فيكون الدعاء بمنزلة القوس الرخو جدا حال خروج السهم منه ، فإنه إذا كان ضعيفاً لا يصيب . وكذلك لحصول موانع أخرى للإجابة كأكل الحرام ، ورين الذنوب على القلب ، واستيلاء الغفلة والشهوة والهمس وغلبتها عليه كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، وإن الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه) . (١) فخلوص قبول الدعاء متعلق بمشيئة الله سبحانه أولاً وأخيراً ، ثم بمدى إخلاص قلب الداعي وتوجهه إلى الله تعالى . (٢)

مقامات الدعاء مع البلاء :

- أولاً : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .
- ثانياً : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء . إلا أن تأثير الدعاء يخفف البلاء .
- ثالثاً : أن يتقاوماً ويمنع كل منهما الآخر .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ، وإن البلاء ينزل ، فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة) . (٣)

١ - المستدرك : للحاكم : كتاب الدعاء : ص ٤٩٣ : انظر احياء علوم الدين : الغزالي ج ١ ، ص ٣٠٦

٢ - انظر : الداء والدواء : ابن القيم ، ص ١٦

٣ - رواه الحاكم : في المستدرك : ج ١ : كتاب الدعاء : ص ٤٩٣ : انظر : الداء والدواء ، ص ١٨

المطلب الثالث : آداب الدعاء

للدعاء آداب يجب مراعاتها وقد ذكرها الإمام الغزالي رحمه الله ، منها :-

- ١ - أن يترمد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر والجمعة من الأسبوع . ووقت السحر من ساعات الليل حيث هو وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات .
- ٢ - أن يفتنم الأحوال الشريفة : إذ تفتح أبواب السماء ، عند الزحف وعند نزول الغيث وعند إقامة الطلوات المكتوبة ، وعند السجود لحديث (أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء .) (١)
- ٣ - أن يدعو مستقبلاً القبلة ورافعاً يديه .
- ٤ - خفض الصوت بين المخافتة والجهر .
- ٥ - أن لا يتكلف السجع في الدعاء وذلك أن حال الداعي حال متضرع .
- ٦ - التضرع والخشوع والرغبة والرهبة .
- ٧ - أن يجزم الدعاء ويوقن الإجابة ويمدق رجاؤه فيه .
- ٨ - أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً .
- ٩ - أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى والملاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يختمه بها .
- ١٠ - التوبة ورد المظالم والإقبال على الله تعالى . (٢)

١ - صحيح مسلم : النيسابوري : ج١ : رقم الحديث ٢١٥ / ٤٨٢ ص ٣٥٠ : انظر : إحياء علوم الدين الغزالي : دار المعرفة : بيروت : ج١ ، ص ٣٠٤

٢ - انظر : إحياء علوم الدين : الغزالي : ج١ ص ٣٠٥ - ٣٠٧ . فتح الباري : ابن حجر : ج١١ ، كتاب الدعوات : باب يستجاب للعبد ما لم يتعجل : ص ١٤١

المطلب الرابع : لكل نبي دعوة مستجابة

سبق بيان أهمية الدعاء وفعله والحث عليه وأنه مأمور بالقيام به كيف لا وقد كان هذا من شأن الأنبياء عليهم السلام وهم أكمل خلق الله فقد كانوا يدعون الله تعالى ويسألون رحمته . لذا كان لكل نبي من الأنبياء دعوة مستجابة دعا بها لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لكل نبي دعوة مستجابة يدعوا بها ، وأريد أن أخبى دعوتى شفاعة لأمتى في الآخرة .)** (١)

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(لكل نبي سأل سؤلاً ، أو قال : لكل نبي دعوة قد دعا بها - فاستجيب - فجعلت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة .)** (٢)

فبناءً على هذين الحديثين فقد وردت عدة أقوال في معنى قوله **لكل نبي دعوة مستجابة منها :-**

- ١ - أن لكل نبي دعوة مستجابة مقطوع بها ، وغيرها من الدعوات مرجو بها .
- ٢ - وقيل إنها أفضل دعواتهم ولهم غيرها .
- ٣ - وقيل أن لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمة ، إما بإهلاكهم أو بنجاتهم ، ومنها الخاصة ما يستجاب منها وما لا يستجاب . (٣)

١ - المرجع السابق : باب لكل نبي دعوة مستجابة ، ص ٩٦

٢ - المرجع السابق : ص ٩٦ ، انظر : صحيح مسلم : بشرح النووي : حديث الشفاعة : ص ٩٦ - ٩٧

٣ - انظر : فتح الباري : ابن حجر : ج ١١ ، كتاب الدعوات : باب لكل نبي دعوة مستجابة ، ص ٩٧

وعلى أى من هذه الأقوال فالحديثان يبينان أن لكل نبي من الأنبياء عليهم السلام ، دعوة خاصة دعا بها واستجيب له دعوته . إلا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد خبا دعوته ليوم القيامة ليشفع بها لقومه .

أما ما ورد بشأن دعوة نوح عليه السلام ، وهو ما كان من دعائه على قومه بالهلاك . فهذه هى دعوته الخاصة التى دعا بها وقد أجبت له . إلا أن هناك صيغ كثيرة للدعاء وردت فى قصة نوح عليه السلام .

...

المطلب الخامس : ما كان من دعاء نوح عليه السلام

إن كل دعوة دعا بها نوح على قومه سبقها بث شكواه إلى الله تعالى وقدم لهذه الدعوة مصادقاً لقوله " أمن يجيب المضطر إذا دعاه " وهو هنا في دعائه مضطر لما لاقاه عليه السلام من شدة الإيذاء وما قابله به من بليغ صبره عليهم . فما كان منه عليه السلام

إلا أن دعا عليهم بـ :-

الدعاء الأول قال تعالى قَالُوا لَيْنَ لَمُتْنَاهُ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَرَمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ (١)

موطن الدعاء : هذا نداء من نوح عليه السلام إلى الله عز وجل أن يقضى في أمره وينجيه من القوم الظالمين .

وهو على سياق دعائه الثاني قال تعالى :

﴿دَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ۚ﴾ ﴿١١٩﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١٢٠﴾ (٢)

سبب الدعاء : مكث نوح يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً إلى توحيد الله في العبادة . إلا أنهم أعرضوا عنه رغم كل السبل التي طرقها نوح عليه السلام في دعوته إياهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً . إلا أنهم عتوا عتواً كبيراً ولم يؤمن معه إلا قليل منهم .

١ - سورة الشعراء : الآيات : ١١٦ - ١١٨

٢ - سورة القمر : الآيتان : ١٠ - ١١

هناك دعاء ربه حيث لا ملجأ إلا إليه قائلًا :

" فَأَفْلَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَاوِيحِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ " (١) ثم جاء في موطن آخر " فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾ " (٢) وقال :
 " وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٤٤﴾ " (٣) فهذا دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم . (٤)

مصير الدعاء : وتتجلى هنا الرحمة الالهية بسماع الله سبحانه

وتعالى نداء نوح عليه السلام كما في قوله تعالى :

" وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنَعَمْ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ " (٥) وجاء ذلك الجواب وفق

مادعا الله عز وجل ، وغضب الله سبحانه لغضب نبيه عليه

السلام ، حيث كان دعاؤه على قومه كما في قوله :

" وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦١﴾ " (٦)

واجابة النداء من الله عز وجل تدل على أن النداء كان بكمال

الاخلاص له سبحانه . وهذا الاخلاص كان سببا لحصول الإجابة . وكانت

الإستجابة من الله سبحانه وتعالى لدعائه عليه السلام ، بأن أغرق

الكافرون ، وهم بهذا يستحقون الغرق ، ذلك أنهم بكفركم قد أخطأوا مرات :

١ - سورة الشعراء : الآية ١١٨

٢ - سورة القمر : الآية ١٠

٣ - سورة نوح : جزء من الآية ٢٤

٤ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٤ ، ص ٤٢٧ . انظر نفس المرجع : ج ٣ ، ص ٣٤٠ ، ج ٤ ، ص ١٢٠ . دعوات الأنبياء و الصالحين في القرآن الكريم : محمد الدواهي : القاهرة : مكتبة الإعتصام ، ص ٧٨ - ٨١

٥ - سورة الصافات : الآية ٧٥

٦ - سورة نوح : الآية ٢٦

١ - بكفرهم بالله سبحانه ثم الإيمان بالطاغوت .

٢ - تكذيبهم ربهم .

٣ - تكذيبهم رسوله عليه السلام ، وكان ذلك كافياً في استحقاقه سبحانه

للأخذ بهم . لذا قال " خطيئاتهم " (١) كما جاء في قوله تعالى :

" مَعَآ خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا " (٢)

ومن النعم التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على نوح عليه السلام :-

النعمة الأولى : نجاته وأهله من الكرب العظيم . وهذا الكرب يحتمل

أحد أمرين :

١ - نجاتهم من أذى قومهم . ٢ - نجاتهم من الغرق .

النعمة الثانية : أن جعل ذريته هي الباقية إلى يوم الدين كما

في قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ " (٣) وكما في قوله سبحانه

" وَبَخَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ " (٤) وكما جاء عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم : قال : (سام أبو العرب ، وحام أبو

الحبش ، ويافت أبو الروم) (٥)

النعمة الثالثة : أكرمه الله عز وجل بأن جعل ذكره فيمن جاء بعده

وسلم عليه في العالمين ، لقوله تعالى :

" وَرَكَعًا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَيْنِ ۖ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعِلْمَيْنِ " (٦)

١ - نظم الدرر في تناسب الآيات و السور : البقاعي : ط١ : وزارة المعارف و الشؤون الثقافية للحكومة الهندية : ١٤٠٣هـ : ج ٢٠ ، ص ٤٥٣

٢ - سورة نوح : الآية ٢٥

٣ - سورة الصافات : الآية ٧٧

٤ - سورة الصافات : الآية ٧٦

٥ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٤ ، ص ١٢٠ جامع البيان : الطبري : ج ٢٣ ، ص ٦٧

مسند أحمد ٩/٥ .

٦ - سورة الصافات : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

ولفظ العالمين هنا معناه الدعاء ^(١) على ما ذكره الرازي ، وذلك من إثبات تحية التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين ، فيسلمون على نوح عليه السلام إلى يوم القيامة ، وهذا جزاء على بعض إحسانه عليه السلام في الدنيا ، لأنه كان عبداً مؤمناً .

والإحسان أشرف مقامات الإيمان بالله عز وجل .

الدعاء الثاني قوله تعالى " وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ " ^(٢)

سبب الدعاء : لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام بصنع السفينة وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، والمؤمنين من أهله ، وبقي ابنه كنعان خارجها فأشفق عليه السلام على ابنه ، وعندئذ نادى نوح عليه السلام ربه " إن ابني من أهلي " طالباً من الله سبحانه وتعالى أن ينجيه من الطوفان . قال ابن كثير : [وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف ، فكيف غرق و أنت أحكم الحاكمين] ^(٣)

مصير الدعاء : هنالك جاءه الرد من المولى عز وجل :

" قَالَ يَنْوَحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ " ^(٤) ذلك انما وعده الله سبحانه وتعالى بنجاة من آمن فقط . وجاء قوله تعالى مبيناً لذلك

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٢٦ ، ص ١٤٥

٢ - سورة هود : الآية ٤٥

٣ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٤٤٥

٤ - سورة هود : جزء من الآية : ٤٦

بقوله : " وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ " (١) فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق والكفر ومخالفته أباه نبي الله نوح عليه السلام . (٢) وفي ذلك دلالة على أن العبرة بقراءة الدين لا بقراءة النسب ، ذلك أن قرابة الدين هي القرابة الأهلية ، وبما أن قرابة النسب حاصلة لابن نوح لا محالة ، فقد نفاها المولى سبحانه وتعالى بأبلغ الألفاظ بقوله تعالى : " انه عمل غير صالح " أي أنه أشرك وكذب . (٣)

وكما قال علي رضي الله عنه : [ألا وان ولي محمد من أطاع الله ، وان بعدت لحمته ، ألا وان عدو محمد من عصى الله ، وان قربت لحمته] (٤)

وفى ذلك قال تعالى : " وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ الْفَجِيئُونَ ﴿٧٥﴾ "

وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ " (٥)

ومدار الأهلية هنا كل من دخل في دين الله سبحانه وتعالى لا مدار النسب . (٦)

١ - سورة هود : جزء من الآية ٤١

٢ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٤٤٨ . انظر الأساس في التفسير : سعيد حوى : ج ٥ ، ص ٢٥٥٨

٣ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٥٣ . حاشية الجرجاني على الكشاف : ج ٢ ، ص ٢٧٢ . التفسير الكبير : الرازي : ج ١٢ ، ص ٣ ، الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ٩ ، ص ٤٦ . ارشاد العقل السليم : أبي السعود : ج ٤ ، ص ٢١٢

٤ - محاسن التأويل : القاسمي : ج ٩ ، ص ١٢٢

٥ - سورة الصافات : الآيتان ٧٥ - ٧٦

٦ - الجامع لأحكام القرآن : محمد القرطبي : الطبعة ٣ : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر : ١٣٨٧ هـ : ج ٩ ، ص ٤٧

الدعاء الثالث قال تعالى : قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ (١) "

سبب الدعاء : في هذا الدعاء من نوح عليه السلام إنابة إلى الله تعالى وتوبة على ما كان منه من زلته بأن سأل ربه عز وجل أن ينجي ابنه من الغرق . فجاء الرد من الله تعالى قائلا :

" فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ " (٢)

فقال نوح عليه السلام عند ذلك [قبلت يارب هذا التكليف ولا أعود إليه إلا أنى لا أقدر على الإحتراز منه إلا بإعانتك وهدايتك] . (٣)

لهذا بدأ قوله بالدعاء " انى أعوذ بك " ثم بعد ذلك بدأ بالإعتذار وطلب العفو من الله تعالى بأن قال : " وَاللَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ " فهو هنا عليه السلام يعلن توبته ويبين حقيقتها :-

أولاً : بالعزم على ترك ما ليس له به علم كما في قوله : " قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ " .

ثانياً : الندم على ما فعل وفات بقوله : " وَاللَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ " .

مصير الدعاء : بأن تلقى القبول من الله سبحانه وتعالى كما في قوله عز وجل : " قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ مَّعَكَ " (٤)

١ - سورة هود الآية : ٤٧

٢ - سورة هود : الآية ٤٦

٣ - التفسير الكبير : الرازى : ج ١٢ ، ص ٦٠ . انظر : تفسير لا إله إلا أنت : ابن تيمية ، ص ٨٥

٤ - سورة هود : جزء من الآية ٤٨

وعد الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام بالسلامة والبركة .
 فأما السلامة : بعدما تضرع نوح إلى الله سبحانه وتعالى كان
 محتاجاً إلى العفو ، إلى أن يشره الله سبحانه وتعالى بالسلامة
 من الوعيد الذي كان يخشاه نوح عليه السلام . وهو نفس الدعاء
 الذي دعا به من قبل آدم عليه السلام وزوجته كما في قوله تعالى :
 " قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾ " (١)
 وهذا ما حكاه الله سبحانه وتعالى عن آدم عند طلب التوبة من
 زلته .

وهنا جاء النداء الرباني مبشراً لنوح عليه السلام قيل له :
 " يا نوح اهبط بسلام منا " . فهو هنا عليه السلام [حمل له
 الأمن من جميع المكافرة المتعلقة بالدين] (٢) والسلامة ثانياً ؛
 أي [بأمن منا أنت ومن معك من إهلاكنا] (٣) لأنه عليه السلام
 كان خائفاً كيف سيعيش ومن معه وليس على الأرض ما ينتفع به من
 نبات وغيره من أمور المعيشة فكان هذا بمثابة دفع الأمان في نفس
 نوح عليه السلام بقوله : " اهبط بسلام " فلا تخش شيئاً ولك حصول
 السلامة من الآفات .

أما وعده سبحانه وتعالى إياه بالبركة : والبركة هنا هي دوام النعم
 وثباتها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : نوح آدم الأصغر . (٤) أي أن كل

١ - سورة الأعراف : الآية ٢٣

٢ - التفسير الكبير : الرازي : ج ١٢ ، ص ٧ : كتاب التوابين : المقدمي ، دار الكتب :
 بيروت : ١٤٠٣ ، ص ١٢

٣ - جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٥٥

٤ - انظر جامع الأحكام : القرطبي : ج ٩ ، ص ٤٨

البشرية من نسل نوح عليه السلام . وهذا هو المراد من البركات التي وعده الله بها . (١) لذا صدر من نوح عليه السلام هذا الدعاء بقوله : " وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ " (٢) أى منزلاً ، إما المقصود داخل السفينة أو خارجها . وفي ذلك فوائد جمّة ينبغي الوقوف عليها والعمل بها كيف لا وقد علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك بيان لوحدة الرسالات جميعاً ، وأن دعوته عليه السلام جاءت بجميع قواعد العقيدة :

فمن ذلك الأمر بالدعاء وذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأمور والأحوال حتى لا نكون ذكره من الغافلين ، وقد ورد ذلك بعدة صيغ في قصته عليه السلام منها :

أولاً : عند ركوب السفينة أمر نوح عليه السلام قومه بالدعاء بقوله " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهُ مَجْرَىٰ سَيْفٍ أَنْ يَنْفُورَ رَحِمَ اللَّهُ " (٣) وهذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عند ركوب الدابة كما في قوله تعالى : " لَتَسَوُّا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ ذَكِّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُسْقِلُونَ ﴿١٤﴾ " (٤)

ثانياً : عند النزول من السفينة أمر نوح عليه السلام أن يقول : " وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ " (٥) وقد علمنا سيدنا

١ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ١٢ ، ص ٨

٢ - سورة المؤمنون : الآية ٢٩

٣ - سورة هود : آية ٤١

٤ - سورة الزخرف : الآيتان : ١٣ ، ١٤

٥ - سورة المؤمنون : الآية ٢٩

محمد صلى الله عليه وسلم بالدعاء عند النزول :
 " وَقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَّاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَّاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ
 سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴿٨٠﴾ " (١)

ثالثاً : بعدما إستقر نوح عليه السلام ومن معه في الفلك وحصل
 لهم النجاة من القوم الظالمين ، طلب المولى من نوح عليه السلام بالدعاء
 كما في قوله تعالى : " فَاِذَا اسْتَوَيْتَ اَنْتَ وَمَنْ مَّعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الصَّلٰوةَ لِلّٰهِ الَّذِى
 فَجَّأَنَا مِنَ الْقُرُوْرِ الظَّالِمِيْنَ ﴿٢٨﴾ " (٢)

وهو ما طلبه من محمد صلى الله عليه وسلم فى ختام أى أمر بقوله :
 " سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُوْنَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِيْنَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ
 رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٨٢﴾ " (٣)

رابعاً : أن الإنسان ينبغي أن لا يشرع في أمر من الأمور إلا و يكون ذاكراً
 وقت الشروع بهذا العمل إسم الله تعالى حتى تكون بركة الذكر سبباً
 لتمام ذلك المقصود .

خامساً : تذكر فضل الله تعالى ، لذا وجب ربط التوكل على الله
 تعالى بالعمل و اتخاذ الأسباب و تعليق القلب بفضل الله تعالى .

سادساً : قوله : " رَبِّ اَعْزِلْنِيْ لِوَلَدِيْ وَلَمْنْ دَخَلْ يَتِيْكَ مُّؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِيْنَ
 وَالْمُؤْمِنٰتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِيْنَ اِلَّا بٰرًا ﴿٢٨﴾ " (٤)

١ - سورة الاسراء : آية ٨٠

٢ - سورة المؤمنون : جزء من الآية ٢٨

٣ - سورة الصافات : الآيات : ١٨٠ - ١٨٢

٤ - سورة نوح : جزء من الآية ٢٨

وفى ذلك فائدة : أنه عليه السلام ابتدأ بالدعاء لنفسه وهــو بهذا سن هذه السنة ، حيث أنه من آداب الدعاء أن يبتدىء المرء بالدعاء لنفسه ثم بعد ذلك خاصته وهم والديه ثم بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات . ويأتى قصده عليه السلام بالدعاء فى

سياق قوله : رب اعف عني ، واستر على ذنوبى وعلى والدى . (١)
وأما الدعاء بالمغفرة فليس من شك فى أن دعاء نوح هو أول أولى العزم من الرسل مجاب ولا سيما دعاؤه بطلب الغفران . (٢)

وفى الآية الكريمة بيان خلق من أخلاق نوح عليه السلام وأدب رفيع من الآداب التي تحلى بها الأنبياء عليهم السلام ، حيث أنه لما دعى لنفسه ولوالديه ، دعا لجميع المؤمنين والمؤمنات الى يوم الدين ، فجزى الله نوحا عليه السلام خيرا على أن دعا لنا وللمسلمين الى يوم الدين .

وقد روى أن نوحا كان إذا ذهب إلى الغائط قال : الحمد لله الذي رزقني لذته ، وأبقى في قوته ، وأذهب عني أذاه . (٣)

بيان حكم الدعاء على المشركين :-

إذا اعتدى الكفار على المسلمين كأن يمثلوا بهم ، فالللمسلمين أن يمثلوا بهم ، والمير في ذلك أفضل وهذا ما كان من نبي الله

١ - جامع البيان : الطبرى : ج ٢٩ ، ص ١٠١

٢ - دعوات الأنبياء : و المالحين : محمد الدواوى : ص ٣٨

٣ - فتح البارى : ابن حجر : كتاب الأنبياء : باب " ولقد أرسلنا نوحاً " : ج ٦ ، ص ٣٧٣

نوح عليه السلام بأن صبر عليهم ، ذلك بأنهم كانوا يأخذونه
ويضربونه ضرباً مبرحاً ثم يلفونه في حمير ويلقون به خارج
منزله ، فإذا أفاق اغتسل وخرج يدعوهم إلى الله مرة أخرى ويقول : رب
اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . والرسول صلى الله عليه وسلم كان
إذا أصابه من قومه أذى يقول رب اغفر لقومي إنهم لا يعلمون .

و أما الدعاء على جنس الظالمين الكفار فهو مشروع مأمور
به ، و شرع القنوت ، و الدعاء للمؤمنين و الدعاء على الكافرين . (١)

أما الدعاء على أناس معينين فهو كما روى من حديث ابن عمر
رضي الله عنهما : (دعا النبي صلى الله عليه وسلم في
الملاة وقال : اللهم العن فلانا وفلانا حتى أنزل الله عز وجل
" ليس لك من الأمر شيء ") (٢)

فقد قيل أن هذه الآية نزلت فيمن كان يدعو عليهم الرسول صلى
الله عليه وسلم عياناً ، فنزل قوله : " ليس لك من الأمر شيء " .

وقيل أنها نزلت فيمن كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أحد وقال عليه السلام في شأنهم (كيف يفلح قوم شجبوا
نبيهم) . فنزلت " ليس لك من الأمر شيء " . (٣)

وللجمع بين الحديثين قال ابن حجر [أن الآية نزلت في الأمرين معاً] . (٤)

نشر

١ - المجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٨ ، ص ٣٢٦

٢ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١١ : كتاب الدعوات : باب الدعاء على المشركين ، ص ١٩٣

٣ - المرجع السابق : ج ٧ : كتاب المنازى : باب ليس لك من الأمر شيئاً : ، ص ٣٦٥

٤ - المرجع السابق : ج ٨ : كتاب التفسير : باب ليس لك من الأمر شيئاً ، ص ٢٢٧

فدعاء النبي صلى الله عليه وسلم على معيّن منسوخ لأن [المعيّن لا يعلم أن رضي الله عنه أن يهلك ، بل قد يكون ممن يتوب الله عليه] (١) ودليل ذلك على أن من دعا عليهم رسول الله في غزوة أحد منهم من أسلم (٢) يوم الفتح .

فالدعاء على معيّن بما لا يعلم ، لا يرضاه الله ، وغير مأمور به . وقد كان يفعل ثم نهى عنه ، لأن الله سبحانه قد يتوب عليه أو يعذبه . (٣)

أما الدعاء على جنس الكفار ، إذا دعى عليهم بما فيسه عز الدين وذل عدوه وقمعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان وعلو أهل الإيمان وذل الكفار فهذا دعاء بما يحبه الله . (٤)

أما ما كان من دعاء نوح عليه السلام على قومه بأن يهلكهم الله فقد كان بعد أن نزل قوله تعالى : " وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " (٥) ثم بعد ذلك دعا عليهم " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " (٦)

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٨ ، ص ٢٣٥

٢ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٧ ، كتاب المغازي : ص ٣٦٥ : والجزء ٨ ، كتاب التفسير ، ص ٢٢٦-٢٢٧

٣ - مجموع الفتاوى : م ٨ ، ص ٣٣٦

٤ - مجموع الفتاوى : ج ٨ ، ص ٢٣٥

٥ - سورة هود : الآية ٣٦

٦ - سورة نوح : الآية ٢٦

فدعاؤه على قومه أمر لا يحبه الله ولم يأمر به، كما ورد في حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه (فيأتون نوحاً فيقولون يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وأنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي ٠٠ الحديث) رواه مسلم . (١)

وقد قال ابن تيمية : ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول (إني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أؤمر بها ، فإنه وإن لم ينع عنها ، فلم يؤمر بها . فكان الأولى أن لا يدعوا إلا بدعاء مأمور به واجب أو مستحب . (٢)

ذلك أن الدعاء من العبادة فلا يعبد الله إلا بما أمر به . إما واجب أو مستحب ، ولو كان جائزاً لأمر به نوح عليه السلام ولشرعه . وذلك أن ما شرع لنوح شرع لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً الآية " .

أحب الكلام إلى الله تعالى :-

روي عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله و الحمد لله ، ولا إله إلا الله ، و الله أكبر) (٣)

١ - صحيح مسلم : النووي ج ٣ ، حديث الشفاعة ص ٦٧ - ٦٨

٢ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٨ ، ص ٣٣٦

٣ - صحيح مسلم : بشرح النووي : كتاب الآداب : باب ما يستحب من الأسماء : ج ١٤ ، ص ١١٧
انظر رياض الصالحين : للنووي : تحقيق محيي الدين الجراح : بيروت : مناهل العرفان
ص ٦٢٢

وبهذه الكلمات وصى نوح عليه السلام ابنه عند وفاته كما روي عن بن عمر رضى الله عنهما من حديث طويل [ثم قال نبي الله نوح عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه : إني قاص عليك وصية ، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين : آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة وضعت لا إله إلا الله في كفة ، رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مهيمة فمتهن لا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده ، فإن بها صلات كل شيء وبها يرزق الخلق ، وأنهاك عن الشرك والكبر] (١)

هذا ما كان من شأن نوح عليه السلام مع قومه في تذكيرهم بآيات الله . كما في قوله تعالى :

" وَأَنذَرْتَهُمْ نَارُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَرَّبُونَ إِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْنَا مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٢١﴾ " (٢)

هذه الآية تبين أن نوحا عليه السلام جاء إلى قومه وذكرهم

بآيات الله وأحكامه .

ولأن ذكر العبد : هو الدعاء والثناء والتضرع إلى الله تعالى ، كان جواب الله ، هو الاستجابة لهذا العبد وقد تكون الإجابة دنيوية أو مدخرة إلى الآخرة ، وبهذا فالدعاء أمر عظيم وله بالغ الأهمية في حياة الفرد .

١ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٥ ، ص ٢٠

٢ - سورة يونس : الآية ٢١

المبحث الثاني

ما كان من إستغفار نوح عليه السلام

سبق بيان ما كان من دعاء نوح عليه السلام وأنه ما دعى على قومه إلا بعد ما نفذ صبره عليهم، ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم لتوحيد الله فما آمن منهم الا قليل . هنالك تضرع الى الله يبيث شكواه . فاستجاب له سبحانه ، بأن أحسن اليه ولقومه المؤمنين معه ، وهنا يظهر أثر الدعاء في حياة الفرد ، والإستغفار لا يقل شأنه عن الدعاء فقد احتل مكانة كبيرة في قصة نوح عليه السلام .

وقد وجه عليه السلام أبصار قومه الى الإستغفار وأمرهم به وحثهم عليه وبين لهم فوائد الإستغفار الدينية والدنيوية . وأن العباد لابد لهم من الإستغفار أولهم وآخرهم ، يستوي في ذلك الجميع ، كيف لا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر الله تعالى ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وهو من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة .) (١)

ولما لهذا الموضوع من أهمية كان لابد من بيان معنسى الإستغفار ، وأقسامه ، وأحكامه لتتم بذلك الفائدة المرجوة إن شاء الله .

١ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١١ : كتاب الدعوات : باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ١٠١

المطلب الأول : معنى الاستغفار

الاستغفار في اللغة : من المغفرة :-

وهي أن يستر القادر القبيح الصادر من تحت قدرته .

الاستغفار في الاصطلاح :-

وهو طلب المغفرة قولاً وفعلًا . (١)

هو طلب وقاية شر ما مضى ، فهو طلب المغفرة بعد روية

قبيح المعصية والاعراض عنها . (٢)

وهي بهذا استقلال الصالحات والإقبال عليها ، واستكبار الفاسدات

والاعراض عنها .

وكون الله سبحانه وتعالى موصوفاً بالنفرة ، ذلك لأنها صفات

ثابته تعهد الله تعالى بها لعباده المستغفرين . (٣)

والتوبة :-

هي الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله . (٤)

وهي بهذا : الرجوع إلى الله بالالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره . (٥)

فكلاً من التوبة والاستغفار يعنى ترك الذنوب،والندم عليها .

إلا أننا نجد نوحاً عليه السلام قد قرر لقومه هذا الأمر

المهم ودعاهم إليه ، ليحصل لهم الفوز بالمغفرة ، والنجاة من النار

، إلا أنهم استكبروا عن ذلك .

١ - تاج العروس / الزبيدي - ج ٣ ، ص ٤٥١ .

٢ - شرح الطحاوية : الحنفى : تحقيق عبد الرحمن عميرة : ط ٢ : الرياض
مكتبة المعارف ج ٢ ، ص ٤٦ . انظر : التعريفات : الجرجاني : ص ١٧ ، ص ١٣٩

٣ - انظر التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ٢٩ ، ص ١٩٧

٤ - شرح الطحاوية : الحنفى : ج ٢ ، ص ٤٦

٥ - مدارج السالكين : ابن القيم : ج ١ ، ص ٣٠٥

وقد جاءت الآيات مثله الى ما طلبه نوح عليه السلام

من قومه بقوله : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ " (١)
وكما في قوله تعالى : " وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ " (٢)
فالاستغفار هنا : هو التوبة (٣) إلى الله تعالى بأن يغفر ذنوبه وأن
لا يعود لها .

أما ما أمرهم به نوح عليه السلام من الاستغفار؛ فالمقصود منه ؛
أي سلوا ربكم غفران ذنوبكم ، وتوبوا إليه من كفركم ، وعبادة
ما سواه من الآلهة ، وحدوه وأخلصوا له العبادة ، يغفر لكم ، إنه
كان غفاراً لذنوب من أناب إليه ، وتاب من ذنوبه . (٤) وفي ذلك
ترغيب من نوح عليه السلام إلى قومه بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى .
لأجل هذا طلب نوح عليه السلام من قومه الاستغفار ، وذلك
حين حبس عنهم المطر زمناً طويلاً ، وأعقم الله أرحام نساءهم
أربعين عاماً ، خرجوا إلى نوح عليه السلام ، فقال لهم :
" استغفروا الله " (٥) فهو عليه السلام أطمعهم في خير الدنيا
والآخرة ، وأطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم ، فهو سبحانه
غفار للذنوب لقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام :

« فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٦﴾ »

١ - سورة نوح : الآية ١٠

٢ - سورة البقرة : جزء من الآية ١٩٩

٣ - انظر : الكشف : الزمخشري : ج ٤ ، مدارج السالكين : ابن القيم : ج ٢ ، ص ٣٠٧ ، روح
المعاني : الألوسي : ج ٢٩ ، ص ٩٠

٤ - جامع البيان : الطبري : ج ٢٩ ، ص ٩٣

٥ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٣٧

٦ - سورة نوح : آية ١٠

وهنا نجد أن نوحاً عليه السلام جعل الإستغفار حلاً لكل مشاكلهم وربطها به ، وكذلك أطمعهم بالرزق الوفير الميسور ، ومن أسبابه التي يعرفونها ويرجونها ، وهي المطر الغزير الذي تنبت به الزروع ، وتسيل به الأنهار ، كما وعدهم بأن يرزقهم الله سبحانه الذرية التي يحبونها من البنين ، وزيادة في الأموال التي يطلبونها بقوله " يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٠﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَمَجْعَلٍ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١١﴾ " (١)

وهو هنا عليه السلام ربط بين الإستغفار وبين هذه الأرزاق .
وفي القرآن الكريم مواضع متكرره فيها هذا الارتباط ، بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله ، وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء .

...

المطلب الثاني : الربط بين الاستغفار وفتح أبواب الخير .

أولاً : جاء في قوله تعالى : " وَلَرَّأَنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا فَفُتِحَ عَلَيَّهِمْ بَرَكَاتٌ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ " (١) هذه القاعدة يقررها القرآن الكريم في مواضع متفرقة ، قاعدة تقوم أسبابها على وعد الله ، وفق سنة الحياة ، كما أن الواقع العملي يشهد بتحقيقها على مدار القرون ، وفيما قاله سيد قطب رحمه الله : [الحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد ، وما من أمة قام فيها شرع الله ، واتجهت إلى الله إتجاهاً حقيقياً بالعمل الصالح والاستغفار المبني على خشية الله إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها في الأرض] . (٢)

ثانياً : أن الكفر سب لخراب العالم لفداحة هذا الجرم وخطورته، وأن الايمان سب لعمارته ، كما جاء في قوله تعالى : " نَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرِجُ الْجِبَالُ كَدًّا ﴿١﴾ أَنْ دَعَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٢﴾ " (٣)

ثالثاً : أن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لعبادته كما في قوله تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾ " (٤)

رابعاً : ما ورد في الخبر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار ، فقليل له ما رأيناك استسقيت ؟ قال : لقد استسقيت بمجادع السماء . (٥)

١ - سورة الأعراف : آية ٩٦

٢ - في ظلال القرآن : سيد قطب : ج٦ ، ص ٢٧١٣

٣ - سورة مريم : الآيتان : ٩٠ - ٩١

٤ - سورة الذاريات : الآية ٥٦

٥ - انظر : الكشف : الزمخشري : ج٤ ، ص ١٦٢ . التفسير الكبير : الرازي : ج٢ ، ص ١٣٧

الفتاوى : ابن تيمية : ج١٦ ، ص ٥٣

خامساً : مافيه من حصول خير الدنيا والآخرة لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (من لازم الإستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب) (١) ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) (٢)

أسباب حصول المغفرة :

أولاً : التوحيد وهو السبب الأعظم لحصول المغفرة ، لقوله تعالى :
 " إِنْ أَلَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَرْشٌ مُتَشَاوِرٌ
 يَنْزِيلُ فِيهِ الصُّورَ الْأَكْبَرُ الَّذِي فِيهِ كِتَابٌ مُبِينٌ " (٣) وهذا الشرك لا يغفر الا بالتوبة منه .

ثانياً : الإستغفار من الذنب ، وهو التوبة إلى الله تعالى . فالإستغفار هنا طلب المغفرة باللسان . والتوبة : الإقلاع عن الذنب بالقلب والجراحة (٤) وإذا استجمع المرء الإستغفار والتوبة معا كان إستغفاره هذا إستغفاراً تاماً موجباً للمغفرة بمشيئة الله . فأفضل الإستغفار ما قرن به ترك المعصية وهو حينئذ يؤمل توبة نصوحاً . (٥)

لحصول المغفرة ووقوعها يجب مراعاة عدة أمور :-

ثالثاً : الدعاء مع الرجاء ، لقوله تعالى : " وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " (٦)

-
- ١ - ابي داود : ج٢ : باب الإستغفار : كتاب الصلاة : ص ٨٥ . ابن ماجه : ج٢ : باب فضل العمل كتاب الأدب ، ص ٢٥٥ حديث ٣٨٢١ . أحمد بن حنبل : ج١ ، ص ٢٢٨
 انظر : أسباب : المغفرة : ابن رجب الحنبلي : القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي : ١٩٨٧ ، ص ٧٥
 - ٢ - صحيح مسلم : النيسابوري : ج٤ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار : باب استحباب الإستغفار والإستكثار منه : حديث رقم ٢٧٠٣ ، ص ٢٠٧٦
 - ٣ - سورة النساء : الآية ٤٨ .
 - ٤ - انظر : جامع العلوم والحكم : البغدادي : بيروت : دار المعرفة ، ص ٣٧٠
 - ٥ - المرجع السابق ، ص ٣٧٢
 - ٦ - سورة غافر : جزء من الآية ٦٠

وعلى ما تقدم : فالإستغفار يتضمن التوبة ، والتوبة تتضمن الإستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق ^(١) ذلك أن الإستغفار طلب وقاية شر مضى والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات الأعمال ^(٢) فالملة بين التوبة والإستغفار صلة عظيمة متلازمة .

فالإستغفار : طلب وقاية شر ما مضى ، والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما مضى ، وهذا يعنى أن كل منهما مستلزم للآخر .
ولهذا كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم أنت ربي خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ^(٣) وهو المسمى بيد الإستغفار ، وسبب تسميته بهذا ، أنه جامع لمعاني التوبة كلها ، فاستعير له إسم السيد . ^(٤)

ويتضمن هذا الإستغفار أموراً منها :

- ١ - الإعتراف من العبد بربوبيته لله سبحانه وتعالى وتوحيده ،
و الإعتراف بأنه خالق وفيه من الإعتراف الشناء على الله تعالى .

١ - مدارج السالكين : ابن القيم : ج ١ ، ص ٣٠٨

٢ - المرجع السابق : ص ٣٠٨

٣ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١ : كتاب الدعوات : باب فضل الإستغفار ، ص ٩٧

٤ - المرجع السابق : ص ٩٩ : انظر تفسير لا إله إلا أنت : ابن تيميه ص ٢٥

٢ - وفيه اعتراف بالذنب .

٣ - وفيه سؤال المولى عز وجل المغفرة .

مبدأ التوبة ومنتهائها :

لما كان إقتراف الذنب يعد بدايه الانحراف عن الصراط المستقيم وعن جادة الصواب ، لذا كان مبدأ التوبة : الرجوع إلى الله تعالى . وذلك بسلوك صراطه المستقيم لقوله تعالى :

" وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِي ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ " لهذا فهي

واجب جديد يفرضه الشرع علينا على إثر تقصير في الواجب

الأولي . (٢) لقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ

أَنْ يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ " (٣) وهنا أمر المولى عز وجل بالمبادرة إلى التوبة ،

حيث لا إرجاء لها خوفاً من التعرض لخطر زوال فائدتها . حيث أن

من أهم أخطارها الاستمرار في الوقوع في المعاصي وقد قال عز

وجل في ذلك : " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ

فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يَنْصُرُوهُ عَلَىٰ

مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ " (٤) وهذا هو نهايتها من

حيث الرجوع إلى الله تعالى في الميعاد فمن رجع إلى الله وتاب

حصل له الفوز في الدار الآخرة .

١ - سورة الأنعام : جزء من الآية ١٥٣

٢ - دستور الأخلاق في القرآن : محمد دراز : ط ٤ : بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢ ، ص ٢٥٠

٣ - سورة التحريم : جزء من الآية ٨

٤ - سورة آل عمران : الآية ١٣٥

المطلب الثالث : شرائط التوبة

لما كان شأن الاستغفار عظيماً ، كان وجوب التوبة و الاستغفار لقوله تعالى : " وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢١﴾ " (١) فهذا خطاب لأهل الإيمان بأن يتوبوا إلى الله تعالى . وهنا علق سبحانه الفلاح بالتوبة كتعليق السبب بالمسبب ولا يرجى الفلاح إلا للمؤمنين التائبين ؛ لذا كان من الواجب ايضاح شرائط التوبة .

شرائط التوبة :-

- ١ - الندم على ما سلف من الماضي .
- ٢ - الإقلاع عنه في الحال .
- ٣ - العزم على أن لا يعود إليه في المستقبل ، وهذه الأمور الثلاثة في شأن ما كان بين العبد وربّه ، أما ما كان بينه وبين الناس فقد اشترط شرطاً رابعاً وهو رد المظالم إلى أهلها ، إن كانت عينيه وإن كانت غير ذلك أخبر به وطلب العفو منه ، وإن خشي عدم موافقة المجني عليه بالعفو تطف له وأخبره بها وإلا استغفر له . فإذا ما تحققت هذه الشروط دل على صحة توبته وقبولها أمور منها :-
- ١ - أن يكون العبد بعد التوبة خير مما قبلها ؛
- ٢ - أن لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين .
- ٣ - إنخلاع القلب وتقطعه ندماً وخوفاً . (٢)

١ - سورة النور : جزء من الآية ٣١

٢ - انظر : إحياء علوم الدين : الغزالي : ج٤ ، ص ٣٨ ، ٤٩

قال ابن عباس : [ان للحسنه نورا في القلب ، وضياءً في الوجه ،
وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة في قلوب الآخرين • وإن
للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب وهناً في البدن •
ونقماً في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق] (١)

لذا فإن من الواجب معرفة محرمات هذه الذنوب للبعد عن

إتيانها •

...

المطلب الرابع : محرمات الذنوب

قال تعالى : " إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا " (١) فهذه الآية الكريمة تبين أن ما دون الشرك بالله من الذنوب يغفره الله تعالى إذا أتى الإنسان بواحد من أحد عشر سبباً من شأنها أن تكفر الذنب . فالذنوب لا يوجب النار مطلقاً ، إلا إذا انتفتت الأبواب المانعة من ذلك وهي أحد عشرة منها :-

أولاً : التوبة لقوله تعالى : " إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا " (٢) [فالتوبة سبب لغفران الذنوب وعدم المؤاخذه بها مما لا خلاف فيه بين الأمة] (٣) وهذا يعنى عدم القنوط من رحمة الله تعالى كما في قوله : " قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (٤) وهذا لمن تاب و اتقى .

ثانياً : الاستغفار : قال تعالى : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (٥) فقد يكون الاستغفار دون الاقتلاع عن العمل فإن الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وإن لم يتب فإذا اجتمعت التوبة والاستغفار

١ - سورة النساء : الآية ٤٨

٢ - سورة مريم : الآية ٦٠

٣ - العقيدة الطحاوية : ابن المعز : ص ٣٦٨ : وفي النسخة سببا .

٤ - سورة الزمر : الآية ٥٣

٥ - سورة الأنفال : الآية ٣٣

فهو الكمال . (١) أما إذا ذكر الاستغفار وحده فهو يشمل التوبة ، وإذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار وهذا يبين أن التوبة تتضمن الاستغفار والاستغفار يتضمن التوبة فكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، أما إذا اجتمعنا [فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى ، والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله .] (٢)

ثالثاً : الحسنات الماحية : لما كانت الحسنات بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها ، فالويل كل الويل لمن غلبت آحاده عشراته ، وقد قال تعالى : " إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكَّيرِ " (٣) وكذلك ينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فإنه أبلغ في المحو وهذه الحسنات إما مقدور عليها كحدود الشريعة وكفارتها الموجبة لحدها وكفارته إما العتق ، أو الهدى ، أو الصدقة ، أو الصيام ، وإما مطلقة كفتنة الرجل في أهله وماله ولده، ويكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد دل على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي أمامة قال : (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ونحن قعود إذ جاء رجل فقال يا رسول الله إني أصبت حداً^(١) فأقمه عليّ ، فكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أعاد فقال يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليّ ، فكت عنه وأقيمت الصلاة ، فلما انصرفني

١ - شرح العقيدة الطحاوية : . أبي العز ، ص ٣٦٨ . انظر : طريق المهجرتين وباب السعادتين : ابن القيم : تحقيق عمر أبو عمر : الطبعة الأولى : الدمام : دار ابن القيم : ١٤٠٩ هـ ، ص ٤٧

٢ - سورة هود : جزء من الآيه ١١٤

٣ - الحد : المقصود به كما في الحديث الذنب . والله أعلم ،

الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أمامه: فأتبع الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف واتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ما يرد على الرجل . فلحق الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أميت هذا فأقمه على قال أبو أمامه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توفأت فأحسننت الوضوء قال : بلى يا رسول الله قال : ثم شهدت الصلاة معنا فقال : نعم يا رسول الله قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله قد كفر لك حدك أو قال : ذنبك . (١)

وهذا يبين أن صلاة الرجل من الحسنات التي تذهب السيئات .

رابعاً : المصائب المكفرة : وهي كل ما يؤلم من هم وحزن أو أذى في مال أو عرض أو جسد أو غير ذلك ، وكونه ليس من فعل العبد ، وهذا ما جاء في قوله تعالى :
 " مَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا يُجْزَ بِهِ " (٢) قالت عائشة رضى الله عنها عن أبى بكر رضى الله عنه قال : لما نزلت " من يعمل سوءاً يجز به " قال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله كل ما نعمل نواخذ به ، فقال : (يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا ، فهو كفارته) (٣) وجاء بمثله في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما يصيب المرء المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم

١ - صحيح مسلم : شرح النووي : ج ١٧ ، كتاب الذكر والدعاء : باب قوله تعالى : أن الحسنات يذهبن السيئات : ص ٨١ - ٨٢

٢ - سورة النساء : جزء من الآية ١٢٣

٣ - جامع البيان : الطبري : ج ٥ ، ص ٢٩٤

ولا حزن ، ولا أذى ، حتى الشوكة يشاك بها ، إلا كفر الله عنه بها
 من خطاياها (١) (ابن آدم ان صبرت واحتسبت عند المدمة الأولى ،
 لم أرض ثواباً دون الجنة .) (٢)

ولما كانت المصائب كفارة للذنوب فالصابر عليها يثاب والساخط
 يعاقب لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن صهيب قال:
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عجبا لأمر المؤمن
 ان أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر
 فكان خيراً له و ان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .) (٣)

السبب الخامس : شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة
 وهي ثمانية أنواع وفيها يتأذن محمد صلى الله عليه وسلم ربه
 ليشفع لهم فيؤذن له .

السبب السادس : شفاعة غيره من المؤمنين وهي شفاعة الشهداء
 لذويهم و شفاعة أهل القرآن لذويهم .

السبب السابع : دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الموت
 لحديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولدكم وكذبتم) (٥)

١ - مسند الامام أحمد : ج ٣ ، ص ٣٣٥ وفي رواية أبي سعيد : ما يصيب المؤمن : مسند الامام
 أحمد بن حنبل : ج ٣ ، ص ٣٠٣ ، انظر العقيدة الطحاوية : أبي العز ، ص ٣٦٩

٢ - سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد الزويني : ابن ماجه : حقق نصوصه : محمد فؤاد عبد
 الباقي : مطبعة البابي الحلبي : ج ١ ، كتاب الجنائز : باب ما جاء في الصبر على
 المصيبة : حديث رقم ١٥٩٧ ، ص ٥٠٩

٣ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١٨ : كتاب الزهد : باب أحاديث متفرقة ، ص ١٢٥ ، انظر
 التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : محمد القرطبي : دار الكتب العلمية : ١٤٠٢ :
 ج ١ ، ص ٣٩ ، انظر : الطحاوية : ص ٣٧٠

٤ - انظر العقيدة الطحاوية : ص ٢٥٢ - ٢٥٨

٥ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١٧ ، كتاب الذكر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، ص ٤٩

السبب الثامن : ما يهدئ للميت من الشواب والصدقة والعنق وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والقياس والاجتماع : كما جاء ذلك في قوله تعالى : " وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ " (١)

السبب التاسع : فتنة القبر : وما يلاقيه المرء من عذاب وسؤال الملكين ، وما يكون من استقرار الروح إما الجنة أو السعير والعيذاب بالله ، إلى غير ذلك مما تتبلى به الأمة في قبورها . (٢)

السبب العاشر : أهوال القيامة وما فيها من أمور .

السبب الحادي عشر : عفو أرحم الراحمين ممن غير شفاعة لقوله : " وَنَغْفِرْ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ نَشَاءُ " (٣) فإن كان من لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه ، فلا بد من دخول الكير ليخلص طيب إيمانه من حيث معاصيه . (٤) ثم لا يبقى خالداً في النار من قال لا إله إلا الله لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان قال : (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) (٥)

وبهذه الأسباب لإحدى عشر تكون رحمة الله تعالى لعباده بشأن يخلصهم من العذاب وغفران الذنوب بقدر ما كان من عمل . والله أعلم .

١ - سورة الحشر : الآية : ١٠

٢ - انظر : العقيدة الطحاوية : في العقيدة السلفية : أبي المعز الحنفي : ج ٢ ، ص ١٣٨

٣ - سورة النساء : جزء من الآية ٤٨

٤ - العقيدة الطحاوية : أبي العز ، ص ٢٧١

٥ - فتح الباري : ابن حزم : كتاب الجنائز : باب في الجنائز و من كان آخر كلامه لا إله إلا الله : ج ٣ ، ص ١٠٩

المطلب الخامس : الربط بين الاستغفار والتوحيد

لما كانت هذه المحصنات ماحية للذنوب ومخلصة منها ، فهذا يدل دلالة قاطعة على مدى صلة الاستغفار بالتوحيد وقد قرن الله سبحانه وتعالى بين الاستغفار والتوحيد في كثير من الآيات الكريمة : كما في قوله تعالى :

" فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ " (١)

وفي هذا بيان للرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا إله إلا الله ولا يستحق أحد العبودية إلا إياه ولا يدان بالربوبية إلا له ، وأمره أن يسأل الله تعالى المغفرة له وللمؤمنين والمؤمنات . (٢)

وقد جاء في كتابة : " الرِّكَابُ أَحْكَمُ ، إِنَّ اللَّهَ يُصَلِّتُ مِنْ أَدْنَى حَكِيمٍ خَيْرٌ مِنْهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُرْسِيُّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ حَمْدٌ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُدْرَأُ إِنْ دُرِجْتُمْ مِنْكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى " (٣)

وفي الحديث (يقول الشيطان أهلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك بحثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .) (٤)

١ - سورة محمد : الآية ١٩

٢ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ٢٦ ، ص ٤٥

٣ - سورة هود الآية ١ ، ٢ و جزء من الآية ٣

٤ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٣ ، ص ١٢١

لهذا أخبر الله تعالى أنه يبتلى عباده بالحسنات والسيئات ،
فالحسنات هي النعيم ، والسيئات هي المصائب ليكون العبد مبروراً
شكوراً ٠ وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(والذى نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له وليس
ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته
ضراء صبر فكان خيراً له ٠) (١)

وجماع ذلك أنه لابد للأمر من أصليين ولابد له من الإيمان
بالقدر وذلك أيضاً على أصليين :

أما ما يكون من أمر التوحيد فعلى الإنسان الاجتهاد علماً وعملاً
بما أمر الله به ، وما يصيبه المراء بعد ذلك من تفريط في العمل
فعليه أن يستغفر ويتوب لتعديده لحدود الله ، وهذا يتضح جلياً
من مشروعية ختم الأعمال بالإستغفار ، فكان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا فرغ من صلاته إستغفر ثلاثاً وجاء قوله تعالى :
" والمستغفرين بالأسحار " أى بعد قيام الليل ٠ (٢)

أما أصليين القدر فهو أن يعلم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما
أخطئه لم يكن ليصيبه وأن يستعين بالله فى فعل ما أمر به ، ويتوكل عليه ،
ويدعوه وأن يكون راغباً إليه ، فى طلب الخير وترك الشر ٠

١ - صحيح مسلم : بشرح النووى : ج ١٨ : كتاب الزهد : أحاديث متفرقة ، ص ١٢٥
أنظر الترغيب والترهيب : عبد العظيم المنذرى : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٨
ج ٤ ، ص ٢٧٨

٢ - انظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية : ج ٣ ، ص ١٢٠

وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذين الأصلين - الأمر ، والقضاء -

في كثير من الآيات الكريمة كما في قوله تعالى :

" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿١﴾ " وقوله تعالى :

" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾ " (٢)

وفي هذا كمال العبودية لله تعالى في أمر توحيد الألوهية والربوبية
فلك اللهم نذل ونخشع ونخضع، وبك لا من سواك نستمد العون على
عبادتنا إياك . (٣)

وفي ذلك تمام الإيمان بالقضاء والقدر من الله تعالى .

وفي عبادتنا لله يجب أن تكون قائمة أيضا على أصليين :-

- الأصل الأول: توجيه خالص العبادة له وحده لا شريك له .

- الأصل الثاني: عبادة الله وفق ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم .

لحديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب
يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون
ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم
بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من

١ - سورة الفاتحة : آية ٥

٢ - سورة الطلاق : جزء من الآية ٢ واليه ٣

٣ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١ ، ص ٦٩

الإيمان حبة خردل (١)

ويتضح مما سبق أن أمور الفرد التي يقوم بها إن وافقت أمر الله تعالى فقد نجا وإن خالفها فعليه أن يبادر بالتوبه و الندم لتحمل له المغفرة من الله تعالى حتى يلقي الله بقلب سليم .

...

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : كتاب الإيمان : باب وجوب الأمر بالمعروف و النهي

عن المنكر : ج ٢ ، ص ٢٧

المبحث الثالث

حكم التماثيل والصور

تمهيد

لَمَّا كانت التماثيل والصور سبباً لظواهر أدت فيما بعد إلى عبادَة الأوثان وأصل الشرك الذي حل بهذه البشرية ، ولَمَّا كان من أثره من إرسال الأنبياء عليهم السلام ليعيدوا الناس إلى جادة الطريق ، نهى الشارع سبحانه عن اتخاذها لهذا نجد أن المسلمين قد أهملوا رسم كل ذي روح ، وعُدم النبوغ في هذا الجانب لأنهم متمسكون بخالص التوحيد . فكان تحريم تصوير كل ذي روح أمراً مقطوعاً على ذلك ، ولما حرمه تعالى من الشرك بالله باتخاذ آلهة غيره أو من عبادَة الأوثان . لذا نجدهم قد برعوا في جانب التشكيل الإسلامي للزخرفة الإسلامية وإهتمام الشديد بروائع الخط العربي . (١) فما كان إلا إشراك بالله في قوم نوح إلا نتيجة التماثيل التي صنعوها ومن ثم عبدها من دون الله تعالى ، لهذا أرسل الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ومن بعد؟ تتابع الرسل عليهم السلام بعد ما فسدت المعتقدات مرة أخرى بآلهة أخرى؛ سواء كانت ممثلة بالتماثيل والصور أو الظواهر الطبيعية الأخرى؛ اتخذوها آلهة تعبد من دون الله تعالى حتى أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، ينهي عن عبادة كل ما سوى الله تعالى، ويأمر بأفراده بالعبادة .

١ - كنتم خير أمة أخرجت للناس : خير الله طلفاح : بغداد : مطبعة الإرشاد : ١٩٧١ ،

وقد انتشر فيمن أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وسلم اتخاذ الأوثان آلهة تعبد من دون الله تعالى . وهكذا عادت عبادة الأوثان مرة أخرى ، لهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها . وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم دالة على تحريم تصوير كل ذي روح سواء كان آدمياً ، أو غيره وأمر عليه السلام بهتك الستور التي فيها الصور ، وأمر بطمس الصور ، وورد ذكر المصورين ، وأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، ولحرمه صلى الله عليه وسلم على هذا الموضوع ولشدة خطورته ، بينه وحرص على توضيحه في آخر أيام حياته ، وأوصى عليه السلام أن لا يتخذ قبره سجداً ونهى عن اتخاذ القبور مساجد ، ونهى عن العكوف على القبور والتمسح بها وتقيلها والدعاء عندها ليسد باب الشرك ، لما ورد عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً) (١)

واتفق العلماء على عدم تقبيل قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره من قبور الأنبياء والمالحين ، أو مخرة الأقمى ، أو ركنى الكعبة اللذين يليان الحجر الأسود ، ولا جدران البيت ، ولا مقام إبراهيم ولا غيره مما يظن أنه ذو تقديس ، لا يقبله الإنسان ، ولا يشرع إلا تقبيل الحجر الأسود ، وقد ثبت عن عمر رضى الله عنه أنه قال : [والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى

١ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب الجنائز : باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور : ج ٣ ، ص ٢٠٠

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك [٠] وما كان من دأب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم عندما ذهبوا إلى بيت المقدس لفتحه لم يذهب أحد منهم إلى مغارة الخليل ولا غيرها من آثار الأنبياء ، فجدير بمسلمي اليوم أن يحذوا حذو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ليكونوا بهذا متبعين لا مبتدعين وليسدوا باب الشرك . (٢)

لهذا كان من الجدير بيان حكم التماثيل والمور لكثرة ما وقع فيه الناس في هذه الأيام من اتخاذها زينة في البيوت وعادة في جميع أحوالهم ومناسباتهم ... و الله ولي التوفيق .

...

١ - انظر : مجموع الفتاوى : لابن تيمية : ج ١ ، ص ٤٦٠ ، ٤٦٧ ، ج ١١ ، ص ٢٩٢ ،

ج ٢٧ ، ص ٧٩

المطلب الأول

حكم التماثيل والصور في الشريعة الإسلامية

لقد نعى القرآن الكريم على التماثيل ، وشنع على من كان يعكف عليها وندب من اتخذ الأوثان والأصنام آلهة من دون الله تعبد ولعن من يقوم على صنعها.

وقد جاء في قوله تعالى : " مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٧﴾ " (١) وفي هذا ضلال مبين لمن اتخذها
 ألهة تعبد من دون الله تعالى .

ولما كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام تدعوا إلى توحيد الله وتنهى عن الشرك به ، حرمت الشريعة الإسلامية التماثيل والصور لأنها تؤدي إلى الشرك بالله .

١ - سورة الأنبياء : جزء من الآيه ٥٢ ، والآيتان ٥٣ ، ٥٤

المطلب الثاني

الأدلة القاطعة على تحريم صنع التماثيل و الصور

أولاً : ما أورده البخاري في ذلك :-

الحديث الأول : ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتكم .) (١)

الحديث الثاني : عن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون .) (٢)

الحديث الثالث : عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلقتكم .) (٣)

الحديث الرابع : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة .) (٤)

١ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب اللباس ، باب عذاب المصورين يوم القيامة : ج ١٠ ص ٣٨٢

٢ - المرجع السابق ، ص ٣٨٢

٣ - ٤ - المرجع السابق : الجزء ١٣ ، كتاب التوحيد : باب و الله خلقكم وما تعملون ، ص ٥٢٨

ما أورده مسلم بهذا الشأن :

الدليل الأول : عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم .) (١)

الدليل الثاني : عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون) (٢)

الدليل الثالث : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم .) (٣)

الدليل الرابع : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافع .) (٤)

الدليل الخامس : عن أبي زرعة رضى الله عنه قال : دخلت مع أبي هريرة في دار مسروان فرأى فيها تماوير فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قال الله عز وجل : و من أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة .) (٥)

فهذه الأحاديث وغيرها الكثير ، تدل دلالة صحيحة واضحة على تحريم تصوير كل ذي روح ، و تدل على تشديد الوعيد لمن صور هذه الصور و التماثيل و قد اتفق العلماء على تحريم تصويرها و صنعها ، إلا أن منهم من له استثناء شئ منها و قد أوضحوا عللة تحريم التصوير لعدة أمور .

١- ٢- ٣- ٤- صحيح مسلم : بشرح النووي كتاب اللباس و الزينة : باب تحريم تصوير
صورة الحيوان ص ٩٢ - ٩٣ : ١٤٢ .

٢ - المرجع السابق ، ص ٩٤

المطلب الثالث

علة تحريم التصوير

يتضح مما سبق من النصوص النبوية أن العلة في تحريم التصوير تكمن :-

أولاً : في مفاهاة خلق الله تعالى ، لما في ذلك من التشبيه بخلق الله تعالى وإنما يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، فما كان نسبة خلقها لهم إلا تقريراً لهم بمفاهاتهم لله تعالى في خلقه ، لهذا يقال لهم شابهتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى ، فأحيوها كما أحيانا هو خلقه . ولما كان أمرهم بنفخ الروح فيما صوره أمر تعجيزي ، ونسبة الخلق إليهم إنما هي على سبيل التهكم والإستهزاء . (١)

ثانياً : العلة في تحريم التصوير هي البعد عن مظاهر الوثنية وحماية العقيدة من برائن الشرك وعبادة الأوثان ، وذلك كما دخلت الوثنية على الأمم السابقة ، وأول من دخلت إليهم من هذا الطريق هم قوم نوح كما سلف الذكر بهذا قال ابن عربي : [والذي أوجب النهي في شرعنا - والله أعلم - ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام فكانوا يصورون ويعبدون ، فقطع الله الذريعة وحمل الباب .] (٢)

١ - انظر : فتح الباري : ابن حجر : كتاب التوحيد : باب قوله تعالى و الله خلقكم و ما تعملون : ج ١٣ ، ص ٥٣٥
٢ - أحكام القرآن : ابن عربي : بيروت : دار المعرفة : ج ٤ ، ص ١٦٠٠

المطلب الرابع

أدلة تحريم اتخاذ الصور والتماثيل

ما ورد في البخاري :-

الحديث الأول : عن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت بقرام ^(١) لي على سهوة ^(٢) لي فيها تماثيل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم هتكه وقال : (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله . قالت : فجعلناه وسادة أو وسادتين) .

الحديث الثاني : وعنها رضى الله عنها قالت : (قدم النبي صلى الله عليه وسلم من سفر وعلقت درنوكاً ^(٣) فيه تماثيل ، فأمرني أن أنزعه فنزعته) . ^(٤)

الحديث الثالث : وعنها رضى الله عنها : أنها اشترت نمركة فيها تماوير فقام النبي صلى الله عليه وسلم بالباب فلم يدخل فقلت : (أتوب إلى الله ، ماذا أذنبت ؟ فقال : ما هذه النمركة ؟ قلت : لتجلس عليها فتوسدها . قال : إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، وإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة) . ^(٥)

١ - القرام : بكسر القاف وتخفيف الراء : ستر فيه رقم ونقش وقيل ثوب من صوف ملون يفرش على اليهودج .

٢ - السهوة : بسكون الهاء : صفة من جانب البيت وقيل الرف .

٣ - الدرنوك : بضم الدال وسكون الراء : ثوب غليظ له خمل إذا فرش كان كالبيضا وإذا علق فهو ستر

٤ - فتح الباري : ابن حجر كتاب اللباس : باب ما وطيء من التماوير : ج ١٠ ، ص ٣٨٧

٥ - المرجع السابق : باب من كره القعود على الصور ، ص ٣٨٩

الحديث الرابع : عن يسر بن سعيد عن زيد بن خالد عن طلحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة قال يسر : ثم اشتكى زيد فعدهاه ، فإذا على بابه ستر فيه صورة ، فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونه زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول ؟ فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : إراقمأ في ثوب^(١) . متفق عليه واللفظ للبخاري .

الحديث الخامس : عن أنس رضى الله عنه قال : كان قهرام لعائشة سترت به جانب بيتها ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : (أميطني عني ، فإنه لا يزال تصاويره تعرض لي في ملاتي) .^(٢)

ما أورده مسلم بهذا المدد :-

الحديث الأول : عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : (وَأَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةِ يَأْتِيهِ فِيهَا ، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ ، وَفِي يَدِهِ عَصَا فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ وَقَالَ : مَا يَخْلِفُ اللَّهَ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلَهُ ثُمَّ ابْتَدَأَ إِذَا جَرُّوْا كَلْبًا تَحْتَ سَرِيرِهِ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ هَذَا الْكَلْبُ هُنَا ؟ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، فَجَاءَ جَبْرِيلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاعِدْتَنِي فَجِئْتِ لَكَ فَلَسَمْتُ تَأْتِ فَقَالَ : مَنَعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ .^(٣)

١ - المرجع السابق : باب من كره التعود على الصور ، ص ٣٨٩

٢ - المرجع السابق : باب كراهة الصلاة في التصاوير ، ص ٣١٩

٣ - صحيح مسلم : بشرح النووي : كتاب اللباس ، تحريم تصوير صورة الحيوان ، ص ٨١ - ٩٢

الحديث الثاني : عن عائشة قالت : كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيتنه ذكرت الدنيا) . (١)

وعنها ثالث : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مستتره بقرام فيه صورة فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه ثم قال : (إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله) . (٢)

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة وردت في البخاري ومسلم .

...

المطلب الخامس

ما يباح من الصور والتماثيل

يباح من الصور والتماثيل ما يلي :-

١ - كل صورة أو تمثال لما ليس بذى روح كتموير الجمادات والأنهار والمناظر الطبيعية التي ليست بذات روح لحديث ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبة في جهنم ، وقال : إن كنت لأبد فاعلاً فامنع الشجر وما لانفس له) .^(١)

٢ - كل صورة ليست متملة الهيئة كمصورة اليد وحدها مثلاً أو العين أو القدم فإنها لا تحرم لأنها ليست كاملة الخلق لحديث عائشة : فقطعتها فجعلت منها وسادة أو سادتين ، وبهذا تغيرت الملامح .

٣ - يستثنى من التحريم لعب البنات و جواز ذلك لما فيه من تدريب النساء ففي صغرهن لأمر أنفسهن وبنيوتهن وأولادهن . لحديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : وكانت تأتينني صواحبى فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسر بهن إلي .^(٢)

١ - المرجع السابق ، ص ٩٣ : ج ١٤

٢ - المرجع السابق : كتاب الفضائل : باب عائشة رضي الله عنها : ج ١٥ ، ص ٢٠٤

المطلب السادس

أقوال العلماء في التصوير

أولا : أقوال الفقهاء في حكم التصوير :

ما قاله الشافعية في ذلك :

إذا دُعي إنسان إلى وليمه وكان في البيت صور حيوان ، إن كان على بساط يداس أو مخدة يتكىء عليها جلس ، لما سبق من الأحاديث ، وإن كانت على حائط أو ستر معلقة لم يجلس^(١) لما سبق من حديث تأخر جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالوا إن قدر على إزالة الصور وجب عليه حضور الدعوة ، وإن لم يقدر على ذلك حرم عليه حضورها إن كانت بمحل الدعوة ، أما إن كانت في غيرها فيكره له ذلك .^(٢)

وبهذا فإن لدخول البيت الذي فيه الصور وجهان :

الأول قالوا : بالتحريم : منهم الشيخ أبو محمد وكما في البيان أن عامة الأصحاب قالوا بالتحريم .

الثاني : قالوا بالكراهة : كما قال بذلك صاحب التقريب والميداني ، ورجحه الإمام الغزالي في الوسيط وفي الشرح الصغير عن الأكثرين أنهم مالوا إلى الكراهة وصوبه الأسنوي وهذا هو الراجح كما جزم به صاحب الأنوار .

١ - انظر المجموع شرح المذهب : أبي زكريا النووي : م ١٦ : دار الفكر ، ص ٤٠٠

٢ - انظر نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج : محمد بن عباس الشافعي : بيروت : دار احياء التراث العربي : ج ٦ ، ص ٣٦٩

ومن هنا خلا شارح المناهج ^(١) إلى القول بأن في ذلك خلاف في مسألة الدخول غير مسألة الخروج . ^(٢)

وتخلص من هذا : إن كان في مكان الحضور مور و تماثيل فيحرم الجلوس وإن كان في ممر ونحو ذلك فكراهة الحضور . والله أعلم .

١ - محمد الشربيني : شارح معنى المحتاج .

٢ - انظر : معنى المحتاج : إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : شرح محمد الشربيني الخطيب : بيروت : دار أحياء التراث العربي : ج ٢ ، ص ٢٤٧

ما قاله الحنابلة في ذلك :

قال ابن قدامة : وصنعة التصاوير محرمة على فاعليها لحديث أنهم يعذبون يوم القيامة ، وقال : دخول المنزل الذي فيه صور فليس محرماً وإنما أبيح ترك الدعوة من أجله عقوبة للداعي باسقاط حرمة لايجاد المنكر في داره ، ولا يجب على من رآه في منزل الداعي الخروج . (١)

ونقل أيضاً : إن شاهد ستوراً معلقة فيها صورة حيوان كره جلوسه ما دامت معلقة قال : في الانصاف والمذهب لا يحرم . (٢)

وقد استندوا في ذلك إلى شرط عمر رضى الله عنه على أهل الذمة أن يوسعوا أبواب كنائسهم وبيعتهم ليدخلها المسلمون للحبب بها والمارة بدوابهم - وروى ابن عائد في فتوح الشام أن النصارى صنعوا العمر رضى الله عنه حين قدم الشام طعاماً فدعوه ، فقال أين هو ؟ قالوا في الكنيسة فأبى أن يذهب ، وقال لعلي امض بالناس فليتعذوا ، فذهب على رضى الله عنه بالناس فدخل الكنيسة وتغدى هو والمسلمون وجعل على ينظر إلى الصور وقال : ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل : وهذا اتفاق منهم على اباحة دخولها وفيها صور ، أما كون الملائكة لا تدخلها : لا يوجب تحريم دخولها علينا . (٣)

١ - المغنى : موفق الدين ابن قدامة : بيروت : دار الكتاب العربى : ج ٨ : ص ١٣٩ ، ١١٢

٢ - شرح منتهى الإرادات : منصور البهوتى : بيروت : عالم الكتب : ج ٣ ، ص ٨٨

٣ - انظر المغنى : ابن قدامة : ج ١٨ ، ص ١١٣

ما ورد عن المالكية :

قالوا تسقط إجابة الدعوة إذا وجد صور على جداره فمن شروط إجابة الدعوة عندهم أن لا يكون صورة مجسده على الجدار كصور السباع التي لها ظل ولو لم يدم فإن كان له ظل ويقيم فهو حرام بإجماع وكذا يحرم كالعجين خلافا لا صنيع . لما ثبت بتعذيب المصورين يوم القيامة .

وقالوا ان كان التصوير بغير ظل وغير ممتن فمكروه ، وإن كان ممتنا فتركه أولى . (١) ونقل عن الفضل : إذا رأى صورا على الستر لم يكن رآها حين دخل قال هو أسهل من أن يكون على الجدار ، وقيل فإن لم يره إلا عند وضع الخوان* بين أيديهم أخرج ؟ فقال لا تضيِّف علينا ، ولكن إذا رأى هذا وبخهم ونهاهم ، وهذا يعني أنه لا يخرج . (٢)

١ - انظر الخرشى : على مختصر سيدى خليل : دار صادر : ج ٣ ، ص ٢٠٣

* الخوان : الطعام .

٢ - انظر المغنى : ابن قدامة : ج ٨ ، ص ١١٢

ثانياً: أقوال المفسرين في حكم التصوير :

قال القاضي ابن عربي في ذلك :

تبين بهذه الأحاديث السابق ذكرها - أن الصور ممنوعة على العموم . ثم جاء إلا ما كان رقماً في ثوب ، فخص من جملة الصور .
ثم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة في الثوب المصور ، أخريه عني فأنني كلما رأيته ذكرت الدنيا فثبتت الكراهة فيه .
ثم يهتك النبي صلى الله عليه وسلم الثوب المصور لعائشة رضي الله عنها منع منه . ثم بقطعها منها وسادتين حتى تغيرت الصورة و خرجت عن هيئتها ، بان جواز ذلك إذا لم تكن الصورة فيه متملة الهيئة ، وإذا كانت متصلة الهيئة لم يجز ، لقولها رضي الله عنها في النمرة المصورة : اشتريتها لك لتقعد عليها وتتوسدها ، فمنع منه عليه السلام وتوعد عليه .
وتبين بحديث الصلاة إلى الصورة أن ذلك كان جائزاً في الرقم في الثوب ، ثم نسخه المنع ، فهكذا استقر فيه الأمر . والله أعلم .

وقال الألوسي في ذلك :

[الحق أن حرمة تصوير الحيوان كاملاً لم تكن في شريعة سليمان عليه السلام ، وإنما هي في شرعنا . ولا فرق عندنا بين أن تكون الصورة ذات ظل أو لا تكون . كذلك كمصورة الفرس المنقوشة على كاغد ^(٢) أو جدار .

١ - أحكام القرآن : ابن عربي : ج ٤ ، ص ١٦٠٢

٢ - روح المعاني : الألوسي : ج ٢٢ ، ص ١١٩

٣ - الكاغد : هو القرطاس وهي فارسيه : انظر المنجد ، ص ٦٨٩

وقد ورد في شرعنا تشديد الوعيد على المصورين ما ورد ،
 فلا يلتفت إلى غيره ، ولا يمح الاحتجاج بالآيه . (١)
 وقال القرطبي : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المصورين ولم
 يستثن . وقال : ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم :
 أحيوا ما خلقتم وغيرها من الأحاديث التي تدل على المنع من تصوير كل
 ذي روح . (٢)

ثالثاً : أقوال المحدثين في حكم التصوير :-

قال الإمام النووي رحمه الله في ذلك : إن ما ورد في شأن قوله صلى الله عليه
 وسلم : أشد الناس عذاباً المصورون ، فقليل هي محمولة على من فعل الصورة
 لتعبد ، وهو صانع الأصنام ونحوها ، فهذا كافر ، وهو أشد عذاباً .
 أما إذا منعها مظاهياً خلق الله تعالى ، واعتقد ذلك ، فهذا كافر ، له
 من أشد العذاب ما للكفار ، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره .
 أما من لم يقصد بها العبادة ولا المظاهرة فهو فاسق صاحب ذنب كبير ،
 ولا يكفر كسائر المعاصي ، (٣) ومنعته حرام بكل حال سواء كان ممتنعاً
 أو غير ذلك . (٤)
 وقد حمل إلّا ما كان رقماً في ثوب على : أنه محمول على رقم على صورة الشجر
 وغيره مما ليس بحيوان . (٥) وهذا جائز .

١ - المقصود بها : آيه ١٣ من سورة سبأ : في شأن التماثيل والمحارب .

٢ - رُوح المعاني : الألوسي : ج ٢٢ ، ص ١١٩

٣ - الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ١٤ : كتاب اللباس والزينة : باب تحریم
 تصوير صورة الحيوان ، ص ٢٧٤

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي : ج ١٤ ، ص ٩١

٥ - المرجع السابق ، ص ٨١

٦ - المرجع السابق ، ص ٨٥

وأما اتخاذ الصور ما فيه صورة حيوان ، فإن كان معلقا على حائط أو ثوبا ملبوسا أو عمامة ونحو ذلك منثا لا يعد ممتنها فهو حرام . وإن كان في بساط يداس ومخدة ونحوها مما هو ممتن فليس بحرام، ولكن يمنع دخول ملائكة الرحمة دون غيرهم من الكتبة المكلفين بكتابة الأعمال فانهم يرافقون الإنسان كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها . (١)

وقال الإمام ابن حجر :

إن دلالة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهتك الثوب وينقض الستري يدل دلالة واضحة على أنه صلى الله عليه وسلم كان ينقض الصورة سواء كانت مما له ظل أم لا ، وسواء كانت مما توطأ أم لا ، سواء في الثياب وفي الحيطان وفي الفرش والأوراق وغيرها . (٢)

أما ما ذكره الشيخ الصابوني (٣) من أن ابن حجر قال : حاصل ما في اتخاذ الصور أنها ان كانت ذا أجسام حرم بالإجماع ، وإن كانت رقماً في ثوب فعلى أربعة أقوال وأوردها في كتابه . فإنه تجدر الملاحظة إلى أن هذا قول ابن عربي وقد نقله ابن حجر عن ابن عربي ، وبهذا نخلص إلى :-

- أولاً : إن صناعة التماثيل و الصور محرم لدى جميع العلماء .
- ثانياً : أن الصور إن كانت ذات ظل حرمت بإجماع العلماء .

١ - المرجع السابق : ص (٨ ، ٨٤)

٢ - فتح الباري : ابن حجر : ج ١٠ : كتاب اللباس : باب نقض الصور ، ص ٢٨٥

٣ - انظر روائع البيان : للصابوني : دار احياء التراث العربي : ج ٢ ، ص ٤١٥

ثالثاً : إذا كانت الصور في ثوب فعلى أربعة أقوال :

- ١ - قالوا بالإباحة المطلقة وهو ضعيف ، لأن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر بهتك الصور جاء ناسخاً لحديث إلا ما كان رقداً في ثوب ، وقد يقصد بالرقم كل رسم لغير ذي روح .
- ٢ - قالوا بالمنع مطلقاً عملاً بحديث أن الوسائد التي قطعتهما عائشة قد غيرت من معالم الصورة وهيئتها فلم يعد هناك صورة .
- ٣ - اتفق الجميع على كراهة تعليقها إلا أن منهم من رفعها إلى درجة التحريم ، ولم يجزها أحد .
- ٤ - إن كانت مما يمتهن كبساط أو وسائد صغيرة تمتهن جاز استخدامها والأولى تركها إن كانت ظاهرة المعالم .

المطلب السابع

حكم التصوير الفوتوغرافي

يختلف العلماء في حكم التصوير الفوتوغرافي ، فمنهم من جوزه ، ومنهم من أطلق عليه بالتحريم .

القائلون بإباحة التصوير :-

أولاً/ ما قاله الشيخ السائس رحمه الله : ولعلك تريد بعد ذلك أن تعرف حكم ما يسمي بالتصوير الشمسي أو الفوتوغرافي فنقول : يمكنك أن تقول فيه إن حكمها حكم الرقم في الثوب ، وقد علمت استثناءه نصاً . ولك أن تقول إن هذا ليس تصويراً بل حبس للصورة وما مثله إلا كمثل الصورة فسي المرآة .

لا يمكنك أن تقول إن ما في المرآة صورة وإن أحدا صورها ، والذي تصنعه آلة التصوير هو صورة لما في المرآة .

غاية الأمر : أن المرآة الفوتوغرافية تثبت الظل الذي يقع عليها ، والمرآة ليست كذلك ، ثم توضع الصورة أو الخيال الثابت في العفريته في حمض خاص فيخرج منه عدة صور . وليس هذا بالحقيقة تصويراً فإنه إظهار واستدامة لصور موجودة وحس لها عن الزوال .

فإنهم يقولون إن صور جميع الأشياء موجودة غير أنها قابلة بالانتقال بفعل الشمس والضوء مالم يمنع من انتقالها مانع ، والحمض هو ذلك المانع .

وما دام في الشريعة فسحة بإباحة هذه الصور كاستثناء الرقم في الثوب ، فلا معنى لتحريمها خصوصاً وقد ظهر أن الناس يكونون في أشد الحاجة إليها . (١)

١ - تفسير آيات الأحكام : محمد علي السائس : مطبعة الصبيح : ج٢ ، ص ٦١

إنتهى كلام الشيخ رحمة الله تعالى ، وهو بهذا يجد أن الصور الفوتوغرافية في حلة من الأمر آخذاً في هذا حالها حال الصورة في المرآة .

ثانياً : ما أورده الشيخ يوسف القرضاوي حيث قال : الذي هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة - ليس ممن التصوير المنهي عنه في شيء ، لأن التصوير المنهي عنه هو إيجاد صورة و صنع صورة لم تكن موجودة و لا مصنوعة من قبل يضاهي بها حيوانا خلقه الله تعالى ، وليس هذا المعنى موجودا في أخذ الصورة بتلك الآلة . (١)

وبهذا يظهر من تحليل كل من الشيخين بجواز التصوير الفوتوغرافي لما ذهب إليه من أسباب ، إلا أن هذا والله أعلم من باب التحايل على الشريعة الإسلامية ، حيث هو لا يخرج في حكمه من كونه صورة ملتقطة . وإلا كنا كمن يعلل الأسباب ، و إيجاد حيل لتحلل بها ما حرم الله تعالى و العياذ بالله .

فلا يخرج من صور هذه الصورة عن اسمه أنه مصور ، و لا تخرج الصورة عن هذا المسمى . وإن تعددت الأسباب في إيجادها فحكمها حكم التصوير بالرسم ، والله أعلم .

أما ما قال به الشيخ السائس رحمه الله : بأن حكمها يأخذ حكم الأخذ ما كان رقما في ثوب : فقد سبق الذكر إلى أن الرقم في الثوب قد يكون المقصود به أنه صورة لغير ذي روح ، كما ذهب بهذا النووي رحمه الله . ويمكن القول أيضا : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بهتك الستر التي فيها التصاوير وجعلها و سادتين لتتغير ملامح الصورة و تصبح غير واضحة . والله أعلم .

١ - الحلال و الحرام في الاسلام : يوسف القرضاوي : المكتب الاسلامي : ط ١٢ ١٣٩٨ ، ص ١١٢

القائلون بتحريم التصوير :-

قابل بعض العلماء القائلين بإباحة التصوير بأدلة واضحة وصريحة منها ما هو عقلي ومنها ما هو نقلي صحيح بتحريمه منهم :-

أولاً : ما قاله الشيخ مصطفى الحامي : واني أحب أن تجزم الجرم كله أن التصوير بآلة التصوير - الفوتوغرافي - كالتصوير باليد تماماً فيحرم علي المؤمن تسليطها للتصوير ، ويحرم عليه تمكين مسلطها لإلتقاط صورته بها ، لأنه بهذا التمكين يعين علي فعل محرم غليظ . (١)

وعلى ذلك بأنه لا فرق عنده من أن تقتل انساناً بأن تسلط عليه أسد أو ضربه بصعقة كهربائية ، أو وضع السم له في الطعام ، ففي كل الحالات هو ميت ، حيث أن القتل أن تزهد روحه بأي وسيلة كانت .

وقال : إن هذه الآلة المصورة لا يتضح ما صورته ، ويحكم عليه بأنه صورة بمجرد توجيهها إلى ما يراد تصويره ، حتى أنه يقال إنه لا دخل للإنسان فيه ، بل للمصور بعد ذلك التوجيه ، أعمال كثيرة حتى تتضح الصورة . ولولا تلك الإجراءات ما تضحّت صورة ولا كان تصوير .

وهذا مجمل ما قال فضيلة الشيخ مصطفى الحامي وعلى وجه التحريم بأن للإنسان كل الدخول في إخراج هذه الصورة .

ثانياً :- ما قاله الشيخ محمد بن ابراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله في رسالة له : ومن أعظم المنكرات تصوير ذوات الأرواح واتخاذها واستعمالها ، ولا فرق بين المجسدة وما في الأوراق مما أخذ بالآلة . كما أن الاستفادة من مجموع الأحاديث / شدة وعيد المصورين بالنار وباللعن ، وأنهم من أظلم الظالمين .

١ - النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية : مصطفى حامي : انظر ، ص ٢٦٤ ٢٦٥

و أن التصوير حرام بجميع أنواعه و على اي وجه كان للإتيان بصيغ العموم مثل قوله عليه الصلاة و السلام (كل مصور في النار) و قوله (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح) و قوله (ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة) فلفظ كل ، و من ، و الذين ، كلها من صيغ العموم فأين يذهب من أباح شيئاً من أنواع التصوير و قسمه الى محرم و مكروه و مباح و الله المستعان (١)

ثالثاً : ما قاله فضيلة الشيخ الشوكاني : و قد قال في الصورة عموماً حديث : (من صور صورة عذبه الله بها يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح و ما هو بنافخ) و قال : قال القاضي بعدم الفرق بين المطبوع من الصور و المستقل ، لأن اسم الصورة صادق علي الكل ، و اذ هي كتب اللغة الشكل ، و هو يقال لما كان منها مطبوعاً على الثياب شكلاً (٢)

رابعاً : ما قاله فضيله الشيخ عبد العزيز بن باز : التصوير الفوتوغرافي الشمسي من أنواع التصوير المحرم ، فهو و التصوير عن طريق الصبغ بالألوان و الصور المجسمه سواء في الحكم ، و الاختلاف في وسيلة التصوير و الآلة لا يقتضي إختلافاً في الحكم ، و كذلك لا أثر للإختلاف فيما يبذل من جهد في التصوير صعوبة و سهولة في الحكم أيضاً ، و إنما المعتبر الصورة ، فهي محرمة و إن اختلفت وسيلتها و ما يبذل فيها من جهد . (٣)

خامساً : ما قاله فضيله الشيخ صالح الفوزان : إن التصوير بجميع أنواعه تماثيل أو غير تماثيل ، منقوشاً باليد أو فوتوغرافياً مأخوذاً بالآلة كله حرام

١ - انظر : حكم الاسلام في التصوير : مجموعة من العلماء : جدة : مكتبة الضياء ، ص ٥٤

٢ - نيل الأوطار : الشوكاني : بيروت : دار الكتب العلمية : ج ٢ ، ص ١٠٥

٣ - الجواب المفيد في حكم التصوير : عبد العزيز بن باز : ط ١ : دار المجتمع ١٤٠٨ ، ص ٤٠

وإن كل من حاول إباحة شيء منه فمحاويلته باطلة ، وحجته داحضة ،
والله المستعان . (١)

سادساً : ما قاله فضيله الشيخ محمد ناصر الدين الألباني :
قال : إن تعليق الصور على الجدران ، سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة ،
لها ظل أو لا ظل لها ، يدوية أو فوتوغرافية ، فإن ذلك كله لا يجوز ،
ويجب على المستطيع نزعها إن لم يستطيع تمزيقها . (٢)

وقد نقل فضيلته في رسالته قول الرسول صلى الله عليه وسلم :-
(قاتل الله اليهود ، إن الله لما حرم شحومها جعلوها - أي ذوبوه - ثم
باعوه وأكلوا ثمنه) (٣)

ولهذا حذرنا صلى الله عليه وسلم من اتباع سننهم فقال : (لا ترتكبوا
ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدني الحيل) (٤) وسند هذا الحديث
جيد كما قال ابن تيمية وابن كثير ، ولكن ذلك كله ما أغني شيئاً بعض
هؤلاء المتشبهين بهم ، لهوي في نفوسهم ، اعاذنا الله منه . وناقش
فضيلته من قال بالإباحة قوله : وقريب من هذا ، تفريق بعضهم بين الرسم
باليَد وبين التصوير الشمسي بزعم أنه ليس من عمل الإنسان ، وليس من عمله
فيه إلا إمساك الظل فقط - كذلك زعموا .

أما ذلك الجهد الذي صرفه المخترع لهذه الآلة حتى استطاع أن يصور في لحظة
ما لا يستطيعه بدونها في ساعات ، فليس من عمل الإنسان عند هؤلاء .
وكذلك توجيه المصور للآلة وتسديدها نحو الهدف المراد تصويره ، وقبيل
ذلك تركيب ما يسمونه بالفلم ثم بعد ذلك لتحميضه وغير ذلك مما لا أعرفه ،
فهذا أيضاً ليس من عمل الإنسان عند أولئك .

-
- ١ - حكم الإسلام في التصوير : مجموعة من العلماء ، ص ٥٨
 - ٢ - المرجع السابق ، ص ٦٠
 - ٣ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٨ ج كتاب التفسير : باب " وعلى الذين
هادوا حرماً " ، ص ٢٩٥
 - ٤ - انظر حكم الإسلام في التصوير : ص ٦٤ ، وقد نقل الحديث عن ابن
بطه في جز " ابطال الحيل " ، ص ٢٤

وقد ذكر الأستاذ أبو الوفا درويش : إنَّ لمراحل أخذ الصورة إحدى عشر مرحلة . وفي زعمه - أن هذه الصورة ليست من عمل الإنسان - وقد رد عليه فضيلة الشيخ محمد بن ابراهيم أن المبيحين للتصوير الشمسي جحدوا طريقة التصوير التي كانت معروفة في عهد النبي عنه ، ولم يلحقوا بها هذه الطريقة الجديدة من التصوير الشمسي مع أنها تصوير لغة وشرعاً وأثراً وضرراً ولقد خاطب أحد القائلين بهذا الأمر من الإباحة : يلزمكم على هذا أن تبيحوا الأصنام التي لا تنحت نحتنا وإنما بالضغط على الزر الكهربائي الموصول بآلة خاصة تصور عشرات الأصنام في دقائق كما هو معروف بالنسبة للعب الأطفال ونحوها من تماثيل الحيوانات فماذا تقولون في هذا ؟ فبهت . (١)

سابعاً : ما ذكره الشيخ الصابوني :-

قال في ذلك : إن التصوير الفوتوغرافي لا يخرج عن كونه نوعاً من أنواع التصوير ، فما يخرج بآلة يسمى صورة ، والشخص الذي يحترف هذه الحرفة يسمى في اللغة مصوراً .

فهو وإن كان لا يشمل النص الصريح ، لأنه ليس تصويراً باليد ، وليس فيه مضاهاة لخلق الله ، إلا أنه لا يخرج عن كونه ضرباً من ضروب التصوير ، فينبغي أن يقتصر في الإباحة على حد الضرورة . (٢)

وبهذا نخلص إلى أن ما قاله العلماء في التصوير : أنه يستوي فيه ما له ظل وما ليس فيه ظل سواء ، وما هو صور عن طريق الرسم أو الآلة لأن كلا الأمرين تصويراً . إلا ما اتفق عليه العلماء واستثنوه للضرورة القصوى ، كصورة البطاقة

-
- ١ - انظر حكم الإسلام في التصوير : مجموعة من العلماء ، ص ٦٦
 - ٢ - روائع البيان : محمد الصابوني : دمشق : دار إحياء التراث العربي مكتبة الغزالي : ج ٢ ، ص ١٦٤

الشخصية ، وجواز السفر ، وما له ضرورة قصوى كنشر صور المجرمين والمشبوهين
الفارين المراد القبض عليهم جراء ما يحصل من إفساد لهم في الأرض .
ونحسب ذلك . والله أعلم .

. . .

المطلب الثامن

حكم التصوير بكاميرا الفيديو والتلفاز

قال العلماء في ذلك : وأما التليفزيون فآلة لا يتعلق بها في نفسها حكم ، وإنما يتعلق الحكم باستعمالها .

فإن استعملت في محرم كالغناء الماجن وإظهار صور فاته وتهريج وكذب وإفتراء وإلحاد وقلب للحقائق وإثارة الفتن ، إلى أمثال ذلك ، فذلك حرام .

وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن ، وإبانة الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى أمثال ذلك ، فذلك جائز .

وإن استعمل فيهما : فالحكم التحريم إن تساوى الأمران ، أو غلب جانب الشرف فيه .

كلمة أخيرة :

نستطيع أن نختم هذا الحديث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وأهوى النعمان بإصبعه إلى أذنيه (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) . (١)

١ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١٠ : كتاب البيع : باب أخذ الحلال وترك الحرام ، ص ٢٧

فإذا ما كان في حكم التصوير أقوال و الراجح منها الأخذ بالتحريم .
و أن من سلك طريقاً لإباحتها لهوى في نفسه زاعماً بهذا أن مظاهر الوثنية
قد طمست وبعدت و أنه لاشك في أن تقود البشرية إلى الهلاك ،
كما كان صنيع قوم نوح عليه السلام .

فنقول له : ما هذا ببعيد على بشر ، و الشيطان أقسم أمام رب العزة
و الملائكة أجمعين أن يقعد لعباد الله الطريق المستقيم .

علاوة على ذلك أنها - عبادة الأوثان - عادت بعد فترة زمنية طويلة تعبـد
مرة أخرى في قوم إبراهيم عليه السلام ، و ما وصل الى قوم محمد صلى الله
عليه و سلم فزمنه ليس باليسير قطعاً و مع ذلك نجد أن مظاهر الوثنية
تتجدد و تعود من فتره لأخرى . لما جاء في حديث ابن عباس رضي الله
عنهما (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما و د
فكانت لكلب بدومة الجندل ، و أما سواع فكانت لهذيل ، و أما يغوث
فكانت لمراد ، ثم لبني غطفان بالجرن عند سبأ ، و أما يعوق فكانت
لهمدان ، و أما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع . (١)

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة رغم فارق الزمن البعيد ، إلا أن الوثنية دبّت
جذورها من جديد ، بنفس أصول الوثنية الأولى .

و هذا غير بعيد في زماننا : فإن كثير من المساجد في مختلف البلاد العربية
خاصة و الإسلامية عامّة ، ما زالت تتضرع إلى الضروح و الأقبية ، و هذا
مظهر لا يدعو إلى الإطمئنان ، فكيف يحلّ لمن يحاول أن يجد فسحة في
الإباحة للصـور .

رغم أننا في مدينة القرن العشرين الذي وصلت التكنولوجيا فيه إلى القمة في

١ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب التفسير : باب و د ولا سواع ، ص ٦٦٧
انظر الأحاديث القدسية و منزلتها : شعبان إسماعيل : الرياض : دار
المريخ : ١٤٠٢ هـ ، ص ١١٤

جميع مجالات العلوم ، و مع ذلك نجد أن هذه الخرافات و المظاهر تسيطر عليه
أصف الى ذلك ما يفرض من تعليق صور الملوك و السلاطين في ديوان العمل
في كل أقطار المعمورة ، زيادة في تعظيمهم و التقرب منهم .
و أخيراً يكفي فيها حكماً ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قول
صحيح و أنها سبب لفساد العقائد و إدخال تعدد آلهة أخرى تعبد من دون الله
تعالى ؟ حيث تمثل الشرك في صورته الإعتقادية بوجود آله غير الله سبحانه
و تعالى ، و من ثم كان في صورته العملية في توجيه العبادة لغير الله تعالى .
و هذا الذي من أجله رفض مشركو العرب أن ينطقوا بلا إله إلا الله ، رغم
أنهم عرفوا معناها و مبناها ، (١) و هذا ما كان قبل في قوم نوح
عليه السلام و جاءوا جميعاً بلسان جاهلية واحدة : و قالوا :

« وَقَالُوا لَا نَذَرُ الْهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُ وَدَاوِلَا سُوءَ أَوْلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَرَا ۖ » (٢)

هذا الإعراض عن وحدانية الله تعالى و تعنتهم عن سماع الحق ، أدى بهم
إلى الإصرار الكامل على موقفهم و إعتزام شركهم ، كيف لا و هذا يعني عندهم
نزع الحاكمية و السلطان من بين أيديهم ، و تسليم كامل الحكم و الأمر لله
تعالى .

فلما جأئهم ما عرفوا من الحق ردوا أيديهم إلى أفواههم ، و جعلوا أصابعهم
في آذانهم ولكن الله غالب أمره ولو كره الكافرون .

...

١ - انظر : مفاهيم ينبغي أن تصحح : محمد قطب : ط ٣ دار الشروق :

١٤٠٨ هـ ، ص ٢٨

٢ - سورة نوح : الآية ٢٣

الباب الثاني

منهج الدعوة إلى الله تعالى في : قصة نوح عليه السلام

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

- الفصل الأول : نوح عليه السلام وقومه .
- الفصل الثاني : الأساليب التي دعا بها نوح قومه .
- الفصل الثالث : موقف قوم نوح من دعوته .
- الفصل الرابع : نهاية قومهم .

تمهيد

حين هبط آدم عليه السلام إلى الأرض كان موحداً وكان لإبنائه فيما بعد مربياً يعلمهم التوحيد الخالص ، وعلى مر السنين والأيام دبت الوثنية والإشراك بالله تعالى فيمن جاءوا بعده ، وشاء الله تعالى أن يرسل رسولاً نبياً ليظهر الأرض من الشرك ودرن الأوثان ويعيدهم إلى توحيد الله تعالى رباً وخالقاً ومليكاً ، ولما كان نوح عليه السلام هو ذلك الرسول كما جاء في قوله تعالى :

(١)

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ " كَمَا نَادَى نوح عليه السلام كانت أولى الدعوات التي جاءت تدعو الناس لتخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . وهي القدوة الحسنة لباقي الدعوات الربانية اللاحقة بها ومنها اتخذت أصول العقيدة ، وطرق الدعوة معا وبها أمر النبيون بالتأسي في دعوتهم كما جاء في قوله تعالى : " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ " فدعوته عليه السلام كانت شاملة لكل طرق الدعوة وأسايلها التي نهجها جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولذا كان حريابنا أن نبين هذه الطرق لتكون لنا ولمن بعدنا هدياً ، ولأنها تضمنت الأسلوب الأقوم في الدعوة إلى الله طالما طال ليل الجهل المخيم على البشرية .

وإلى الله ندعو ونبتهل أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه
وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .

١ - سورة النساء : جزء من الآية : ١٦٣

٢ - سورة الاحقاف : جزء من الآية : ٣٥

ومن الجدير بنا أن نبين معنى الدعوة لغة واصطلاحاً مع بيان مقتضى التعريف:-
 الدعوة : هى فى الأصل الدعاء الى الطعام ^(١) وقوله تعالى : **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ**
وَسِرَاجًا مُنِيرًا ^(٢) معناه داعياً الى توحيد الله وما يقرب منه ^(٣) ومنه ما كتبه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وهرقل جاء فيه :- (بسم الله الرحمن الرحيم ،
 من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام الله على من اتبع الهدى . أما
 بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، واسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين ، فان
 توليت فعليك اثم الأريسين (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لاتعبدوا
 الا الله ولا تشركوا به شيئاً أولاً يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فان تولوا فاشهدوا
 بأننا مسلمون) فانى أدعوك بدعاية الاسلام ^(٤) وهذه هى كلمة الشهادة التى يدعى
 اليها أهل الملل الكافرة .

وأصلها : الدال والعين والحرف المعتل : أصل واحد ، وهو أن تميل الشيء اليك
 بصوت وكلام يكون منك فتقول : دعوت أدعو دعاء ^(٥) ، ودعاه الى الأمير أي ساقه ،
 والدعاة : هم قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلال ، وأحدهم داع ، والرجل داعية اذا
 كان يدعو الناس الى بدعة أو ضلالة ، والنبي صلى الله عليه وسلم داع الى الله أي الى
 توحيده ، والمؤذن داعي الله ^(٦) وعندما يقال هذا رجل داع الى الله أي يقوم بمحاولة
 النشر والتبليغ بكل ما أمر الله تعالى . ويقال دعانى الى الاحسان اليك احسانك الي .

-
- ١ - الصحاح : الجوهري : ج ٦ ، باب الباء ، فصل الدال : ص ٢٣٣٦
 - ٢ - سورة الأحزاب : الآية ٤٦
 - ٣ - لسان العرب ج ١٤ ، باب الباء ، فصل الدال : ص ٢٥٩
 - ٤ - فتح البارى : ابن حجر : كتاب الجهاد : باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
 الناس الى الاسلام والنبوة... ج ٦ ، ص ١١٠ ، ١١١
 - ٥ - معجم مقاييس اللغة : لابن زكريا ط ٢ : مصر : مطبعة الحلبي : ٣٩٠ : ج ٢ ، ص ٢٧٩
 - ٦ - انظر لسان العرب : ابن منظور : ج ١٤ ، ص ٤٥٩

وقد عرف بعض الدعاة الدعوة بأنها : [المحاولة القولية والعملية
لنداء الناس وإمالتهم إلى الداعي] (١).

وعلى هذا فهي تعنى الدعوة إلى خير أو ضلال وهذا يتبع الداعي
نفسه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :
(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من
أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ،
لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) (٢) وهى وفق هذا تعنى : حث الناس على
الخير والهدى ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ليفوزوا بعبادة
العاجل والآجل . (٣)

وبعد أن أوضحنا فى الباب السابق أصول العقائد التى جاء بها نوح
عليه السلام ، وتحدثنا بالتفصيل عن ذلك ، فكان لزاما علينا أن نبين
منهج الدعوة إلى الله من خلال قصته عليه السلام ، حيث أن دعوته عليه
السلام هى أولى الدعوات ، وهى منهاج لما تبعها من الدعوات .

...

-
- ١ - الدعوة إلى الله : توفيق الواعى : ط ١ : الكويت : مكتبة الفلاح : ١٤٠٦ ، ص ١٧
 - ٢ - صحيح مسلم : شرح النردى : ج ١٦ : كتاب العلم ، ص ٢٢٧
 - ٣ - هداية المرشدين : على محفوظ : بيروت : دار المعرفة ، ص ١٧

الفصل الأول

نوح عليه السلام وقومه

و فيه مبحثان

- المبحث الأول : التعريف بنوح عليه السلام .
- المبحث الثاني : قوم نوح عليه السلام .

المبحث الأول

التعريف بنوح عليه السلام

هو أول رسل الله تعالى إلى أهل الأرض ، وهو ثالث الأنبياء ، إلى أهل الأرض بعد آدم وادريس (١) عليهما السلام ، وهو أول أولي العزم من الرسل وقد ذكره المولى عز وجل بهذه المنزلة العظيمة كما في قوله تعالى :

” إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ” (٢) وقد خصه الله

تعالى بأخذ الميثاق بعد محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

” وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ” (٣) وهو أول رسول أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ، وأول نذير عن الشرك ، وأول من عذب قومه لردهم دعوته وعدم استجابتهم له كما سيأتي ذكره إن شاء الله .

نسبه : اختلف المؤرخون بتصنيف اسم نوح عليه السلام ، إلا أنه وبحمد الله يمكن بيانه على ما يلي :-

هو نوح بن لامك (٤) بن متوشلخ (٥) بن خنوخ (٦) بن يـــــــرد

- ١ - انظر فتح الباري : ابن حجر : ج٦ : كتاب الأنبياء : باب ذكر إدريس عليه السلام ، ص ٤٧٥
- ٢ - سورة النساء : جزء من الآية ١٦٣
- ٣ - سورة الأحزاب : آية ٧
- ٤ - ورد لامك في الكامل لابن الاثير : الطبعة الثالثة : بيروت : دار الكتاب : ١٤٠٠ : ج١ ص ٣٢ ، ٣٣ وفي البداية والنهاية : ابن كثير : الطبعة ٤ : بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨ ، ج١ ص ٩٣ ، وفتح الباري : ابن حجر : ج٦ : كتاب الأنبياء : ص ٣٧٢ ورد لفظ (لمك) .
- ٥ - سمط النجوم العوالي : المكي : القاهرة : المطبعة السلفية : ١٣٨٠ ، ص ٩٧
- ٦ - ورد لفظ خنوخ في الكامل : لابن الاثير : ج١ ، ص ٣٥ ، وفي البداية : لابن كثير ج١ ص ٩٣ ، فتح الباري : لابن حجر ج٦ ، ص ٣٧٤ ، وورد اللفظ بالهمزة (أخنوخ) في الطبري ج١ : ص ١٧٢ ، وفي سمط النجوم العوالي : ص ٩٨ وهو إدريس عليه السلام .

ابن مهلائيل بن قينن (١) بن شيث بن أنوش بن آدم عليه السلام .

و أمه هي قينوس (٢) ابنه يراكيل بن محويل بن خنوخ بن قينين ،
و قيل هي شمخاء (٣) بنت أنوش .

مولده عليه السلام : أورد الطبري وابن كثير في تاريخهما أنه ولد عليه
السلام بعد (٤) وفاة آدم عليه السلام بمائه سنة وست و عشرون سنة . وذلك
لألف سنة وست و خمسين سنة مضت من يوم أن أنزل الله عز وجل آدم إلى موت
آدم عليه السلام . (٥)

وقد ورد في سمط النجوم العوالي أنه ولد قبل موت آدم في الألف الأولى ،
وبعث في الألف الثانية ، وهو ابن أربعمئة سنة . (٦)

فإذا ما كان مولده عليه السلام بعد وفاة آدم بمائه سنة وست و عشرين ، فإنه
يتحقق بذلك أنه كان بين آدم ونوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على
شريعة من الحق كما رواه بن عباس رضي الله عنه . (٧)

والجدير بالذكر أن نوحاً عليه السلام ولد لأبوين مؤمنين . (٨)

١ - هكذا ذكره الطبري : في تاريخه : ج ١ ، ص ١٧٢ ، وفي البداية ج ١ ص ٩٣ ، ورد
لفظ قينان في الكامل : لابن الأثير : ج ١ ص ٣٢ : قصص الأنبياء : عبد الوهاب
النجار الطبعة الثالثة بيروت : دار احياء التراث العربي : ص ٣٠

٢ - الكامل : لابن الأثير : ج ١ ص ٣٦ وقال الطبري في تاريخه : أنها بنت يراكيل .

٣ - التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤٦ . نظم الدرر : البقاعي : ج ٢٠ ، ص ٤٥٩

٤ - انظر : تاريخ الطبري : ج ١ ص ١٧٤ ، البداية و النهاية : ابن كثير : ج ١ ، ص ٩٤

٥ - انظر : تاريخ الطبري : ج ١ ، ص ١٧٤

٦ - سمط النجوم العوالي : المكي : ج ١ ، ص ٩٨

٧ - المستدرک : الحاكم : ج ٢ : كتاب التاريخ : ص ٥٤٦ وهو على شرط البخاري ولم
يخرجه البخاري وصححه الذهبي .

٨ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤٦

نشأته : الناظر في كتب التاريخ يتضح له أنها لم تذكر شيئاً عن نشأة نوح عليه السلام كما هو معروف عن غيره من الأنبياء ، حتى القرآن الكريم لم يشر إلى هذا ، وإنما كل ما ذكر في القرآن عن نوح عليه السلام ما كان منذ إرساله عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى ، إلى ما ذكر عن نهاية قومه بالطوفان . ذلك لأن القصص القرآني لا يركز على الناحية التاريخية وحدها ، وإذا ما ذكرت حياة رسول ما ، فهدفه توضيح حياة الرسول وكونها إرهاباً من إرهابات الرسالة ، وليبين مدى رعاية الله تعالى عز وجل لرسوله منذ ولادتهم حتى وفاتهم . فهو بهذا يركز على ما يخص الرسالة والرسول والهدف الذي بعث له الرسول .

حياته : أوضح القرآن الكريم الفترة الزمنية التي عاشها نوح عليه السلام في قومه داعياً إلى الله تعالى والمدة التي قضاها معهم في الدعوة إلى الله في الفترة الأولى " قبل الطوفان " كما هو متمثل في قوله تعالى :

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١﴾"

أما ما ورد تاريخياً عن المدة التي قضاها نوح عليه السلام قبل بعثته وبعد الطوفان فلم يشر إليها بخبر قطعي أو إثبات صحيح . فقد اختلفت الروايات عن عمر نوح عليه السلام قبل بعثته ، قيل : أنه بعث وهو ابن خمسين (٢) سنة ، وقيل وهو ابن ثلاثمائة وخمسين (٣) سنة

١ - سورة العنكبوت : الآية ١٤

٢ - البداية والنهاية : ابن كثير : ج ١ ، ص ١١٤

٣ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٦ : كتاب الأنبياء ، ص ٢٧٢

وقيل أربعمئة (١) سنة ، وقيل أربعمئة وثمانين (٢) سنة ، و هذا أرجحها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بعث الله نوحاً لأربعين سنة ، وبعث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا) (٣) .

وقيل عن الفترة التي عاشها بعد الطوفان أنه عاش ثلاثمئة وخمسين سنة (٤) ، والذي يعنيننا عن حياة الرسول عليه السلام هي مدة دعوته ، وليس مدة البقاء سواء كانت قبل النبوة أو ما بعد الطوفان ، فهذا لا يمثل جانباً مهماً في البحث .

و قد ذكر الطبري ما كان من أمر والده في حثه على التمسك بتوحيد الله والدعوة إليه قوله : [فلما أدرك نوح قال له لمك : قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضع غيرنا ، فلا تستوحش و لا تتبع الامة الخاطئة فكان نوح يدعو الى ربه .] (٥)

-
- ١ - سمط النجوم العوالي : المكي : ج ١ ص ٩٨
 - ٢ - البداية والنهاية : ابن كثير : ج ١ ، ص ٩٤ ، الكامل : ابن الاثير : ج ١ ، ص ٣٦
 - ٣ - المستدرک : الحاكم : ج ٢ : كتاب التاريخ : ص ٥٤٦
 - ٤ - فتح الباري : ابن حجر : ج ٦ : كتاب الأنبياء : باب قوله تعالى " ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه " ، ص ٣٧٢ ، قصص الأنبياء : محمد الفقى : ط ١ : مكتبة وهبه ١٣٩٩ ، ص ٤٥
 - ٥ - تاريخ الطبري : ج ١ ، ص ١٧٤

صنعتة : لقد كان عليه السلام نجاراً ، كما ورد عن المؤرخين ، وأنه كان إذا جلس إليه أحد من قومه وعظه ودعاه إلى الإيمان ، وكان معروفاً بينهم . وفي هذا درس بليغ للدعاة بأن يستغلوا كل الظروف المحيطة بهم ليقوموا من خلالها بالدعوة إلى الله تعالى ، وقد كان هذا صنيع يوسف عليه السلام عندما كان في السجن فاستغل من معه ودعاهم إلى الله تعالى . فالدعوة لا تكون في مجلس معين ومكان معين ، بل يستغل الوقت في كل حين .

أخلاقه و صفاته : الأخلاق تمثل الجانب العملي للداعية ، لأننا لو تدبرنا في حقيقة الإيمان لوجدناه يستلزم في درجاته المرتضية كل الفضائل الإنسانية ، وينهى عن كل الرذائل الخلقية ، فالدعوة في جانبها تدعو إلى أمرين : أمر عقدي ، وأمر أخلاقي ، فالأمور العقدية هي الإتيان بكل أوامر الله التي أمر بها ، واجتناب الأمور التي نها عنها ، وأما الأمور الأخلاقية فهي صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة^(١) ، ولما كان الإسلام يدعو إلى حميد الأخلاق ، كانت الأخلاق تمثل جانباً مهماً في حياة الداعية ، فكل أمر من أمور المعيشة ، فردياً كان أو جماعياً ، سياسياً كان أم اقتصادياً - علمياً كان أو عملياً ، حتى إذا كان الأمر تعبيراً محضاً فهو يدل دلالة واضحة على ثبوت حقيقة الأخلاق : فعبادة الله وحده تستلزم طاعته عز وجل ، ومن امتثل طاعته سبحانه وتعالى فقد امتثل لفعل الحسن المأمور به

١ - الأخلاق الإسلامية و أسسها : الميداني : ط ١ : بيروت : دار القلم : ١٣٩٩ ، ص ٧

وهو جانب من جوانب الأخلاق ، غاية الأمر أن الأخلاق تمثل دوراً مهماً إيجابياً في كسب ثقة الآخرين ، ذلك أن الدين المعاملة . وهذا ما كان من شأن جميع الأنبياء مع أقوامهم لقد كانوا أحسنهم خلقاً . فكثير من الآيات الكريمة امتدحت أخلاق الأنبياء وأخبرت عنها ، ولقد قال تعالى عن خاتم النبيين ﴿وَلَئِنْ لَعَلَّيْ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾^(١) وهكذا كان شأن أول الرسل نوح عليه السلام ، فقد قال عنه القرآن الكريم مثل هذا وكذا الأحاديث الشريفة .

ما ورد في القرآن الكريم بشأن خلقه عليه السلام :

أولاً :

انه كان عبداً شكوراً كما في قوله تعالى :
﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(٢) وقد روي عن سلمان الفارسي : [كان نوح إذا طعم أو لبس حمد الله ، فسمي عبداً شكوراً]^(٣)
وقد أورد الطبري لفظ الحديث بمعنى آخر قال : [انما سمي نوح عبداً شكوراً أنه كان إذا أكل الطعام قال : الحمد لله الذي أطعمني ، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقاني ، ولو شاء أظمأني ، وإذا لبس ثوباً

١ - سورة القلم : آية ٤

٢ - سورة الإسراء : آية ٣

٣ - فتح الباري : ابن حجر ، ج ٨ ، كتاب التفسير : باب ذرية من حملنا مع نوح

ص ٢٩٦ ، جامع البيان : الطبري : ج ١٥ ، ص ١٩

قال : الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني ، وإذا لبس نعلأ قال : الحمد لله الذي حذاني ، ولو شاء أحفاني ، وإذا قضى حاجة قال : الحمد لله الذي أخرج عني أذاه ، ولو شاء حبسه ^(١) . وقد دلت السنة على هذا كما في حديث أبي هريرة في حديث الشفاعة [فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح ، أنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً] ^(٢)

هذا ما كان عليه نوح عليه السلام من الشكر لله تعالى في كل وقت وعلى كل حال ، فجدير بنا أن نفتدي بما كان عليه أنبياء الله ورسله ، ولفظ الحمد هو أبلغ لفظ شكر لله تعالى به ، ولو اجتمع الأولسون والآخرون من أهل البلاغة على أن يأتوا بلفظ يشكرون الله به لما وجدوا أبلغ من لفظ الحمد لله رب العالمين ، حيث أن لفظ الحمد كما قال ابن عباس : [هو الشكر ، والإستخاء لله ، والإقرار بنعمته ، وهدايته وابتدائه وغير ذلك] ^(٣) فلفظ الحمد هو أبلغ أسلوب يحمد ويشكر به المولى عز وجل .

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما علمنا ما كان من شأن الأنبياء ما لم نكن نعلم .

ثانياً :

الهداية : فقد وصف الله تعالى بها نوحاً عليه السلام كما في قوله : **”وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ“** ^(٤) أي ونوحاً وفقنا للحق والصواب ، ^(٥)

- ١ - جامع البيان : الطبري : ج ١٥ ، ص ٢٠
- ٢ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب التفسير : باب : ذرية من حملنا مع نوح : ج ٨ ، ص ٣٩٥
- ٣ - جامع البيان : الطبري : ج ١ ، ص ٦٠ ، انظر لسان العرب : ج ٣ : باب السؤال ، ص ١٥٦
- ٤ - سورة الأنعام : جزء من الآية ٨٤
- ٥ - جامع البيان : الطبري : ج ٧ ، ص ٢٦٠

وقال الحديدي : الأصح في هذه الهداية أنها إلى الدين الحق والمعرفة الصحيحة ، وكان ذلك جزاء على إحسان الصادر منهم ، (١) وذلك لأنهم اجتهدوا في طلب الحق وكان هذا هو الجزاء كما في قوله تعالى :
 « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » (٢)

ثالثاً :

وصفه الله تعالى بالصلاح كما في قوله تعالى :
 « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ » (٣)

قال المفسرون في هذا : ان صلاح الأنبياء لا يغني أحداً شيئاً ، ففي ذلك إسقاط لكل نسب و التبرأ منه إلا ما كان من الإيمان بالله تعالى .

رابعاً :

الإصطفاء بالرسالة كما في قوله تعالى :
 « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ » (٤)
 وإصطفاء نوح عليه السلام : [لكونه أول من نسخ الشرائع ، إذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراماً ، وبإطالة عمره ، وجعل ذريته هم الباقسون ،

١ - عصمة الأنبياء : الحديدي ، ص ١٤٧

٢ - سورة العنكبوت : آية ٦٩

٣ - سورة التحريم آية ١٠

٤ - سورة آل عمران : آية ٣٣

و استجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين ، وحمله على متن الماء] (١)

وعلى هذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مصطفين أخياراً وقد ورد في شأن نوح عليه السلام ما روى عن علي رضي الله عنه قال : [جمع ربنا عز وجل لنوح علم الماضيين كلهم وأيدوه بروح منه فدعا قومه سرّاً وعلانية تسع مائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعت قرن فزادهم كفراً وطغياناً] . (٢)

وهكذا فجدير أن تكون هذه بعض أخلاق وصفات من اصطفاهم الله تعالى لحمل رسالته إلى الناس أجمعين .

خامساً :

قوة الإرادة وهذا ما يلفت النظر إليها في قصة نوح عليه السلام ، فمن خلال الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها نوح عليه السلام يدعو فيها إلى الله تعالى درس للدعاة لئلا يدخل اليأس إلى نفوسهم ، وليعتبروا بمنبر نوح عليه السلام في قومه وقد قيل عن هذه الآية الكريمة - آية الإصطفاء - لو لم يكن لنوح من الآيات الخلقية سوى هذه الآية لكفته دليلاً على تأييده من ربه وصدقته في دعوته .

وهذا مجمل للأخلاق والصفات التي كان عليها نوح عليه السلام ، وهي الصفات التي لا بد للداعية أن يتصف بها وهي بعض الصفات المأمور بها

١ - ارشاد العقل السليم : أبو السعود : ج ٢ ، ص ٢٦

٢ - المستدرک : للحاكم : كتاب التاريخ : ج ٢ ، ص ٥٤٧

والتي يجب على الدعاة مراعاتها والعمل بها ، وإذا لم يلتزم الداعية قولاً وعملاً

بما يدعو اليه ، كان ذلك نقصاً شنيعاً في حقه ، وقد قال تعالى فيمن يفعل ذلك :
 " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالنُّصْحِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَسِيتُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " (١)
 وفي هذا اصلاح للنفس أولاً وللمجتمع ثانياً فالمراد (أن يتحسوا أنفسهم وأن يداووا ما
 قد يكون بها من علة) (٢) .

أن يدعو الداعية الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، اذ يحسن اختيار ألفاظه
 وانتقاء عباراته ، فينبغى أن يكون متصفاً بالحلم وسعة الصدر واحتمال الهفوات الصادرة من
 المدعويين والصبر على اساءاتهم ، وقد وهب الله لنبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من
 ذلك الكثير قال تعالى : " فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَقْضُوا
 مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " (٣)

فينبغى للداعى أن يعالج الأمر بحكمة وروية ، وبذلك يجيب نصحه طبا للمريض ، ورحمة
 تذهب عنه ، ونورا يهديه الى سواء السبيل . (٤)

وأن يلتزم قول الحق كما قال عباده : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن
 نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم .

١ - سورة البقرة : آية ٤٤

٢ - مع الله : محمد الغزالي : الطبعة الرابعة : القاهرة : مطبعة

حسان : ١٣٩٦ ، ص ١٩٨ .

٣ - سورة آل عمران : آية ١٥٩

٤ - انظر : مع الله : الغزالي ، ص ١٩٤

و الصبر من أهم ما اتصف به نوح عليه السلام ، وقد التزم نوح عليه السلام طوال حياته ودعوته بالصبر ، وبهذه الصفة أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من التأسي بهم كما في قوله تعالى :
 " فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ
 لَقَدْ بَلَّغُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَّغُ فَبَلَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣٦﴾ " (١)
 فقد بلغ نوح عليه السلام من الجهد المضني والعناء المرهق والصبر الجميل والإصرار الكريم احتمال كل ذلك من جانبه عليه السلام في هدايته أولئك القوم الضالين المعاندين .

والإخلاص أيضاً هو أساس لنجاح الداعي و يكون ذلك إخلاصاً للحق ، إخلاصاً للدين وإخلاصاً لمن يدعوهم ويعظمهم . (٢) ليتسم بذلك نجاح العمل وتكون النتائج المرجوة منه . باذن الله .

...

١ - سورة الاحقاف : آية ٣٥

٢ - مرشد الدعاة إلى الله : أحمد طاحون : جدة : ادارة المطبوعات : ١٤٠٢ ، ص ١٩

وقد يقصد بالقرن الجيل لقوله تعالى :
 " وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ " (١) وقوله عليه السلام (خير
 القرون قرني) (٢) ، وورد في النهاية : [كان الجيل قبل نوح يعمرون
 الدهر الطويلة ، معنى هذا يكون بين آدم ونوح ألف من السنين
 والله أعلم] (٣)

وعلى هذا ، إن كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو معلوم ، فيكون
 بين آدم ونوح ألف سنة بقوا فيها على الإسلام .

وباعتبار حديث أبي أمامة يمكن القول أنهم كانوا على الإسلام
 لمدة عشر قرون ، ومن بعد ذلك دخل إليهم الشرك .

ودليل ذلك ما روي في عمدة القاري : للعيني : أن الأصنام عبادت
 في عهد مهلائيل بن قينان ، وعلى هذا فإن أفراد الله بالعبادة بقي
 نقياً من الإشراك حتى عهد الجد الرابع لنوح عليه السلام ، وفي
 عهد مهلائيل كانت عبادة الأصنام ودخول الوثنية على قسوس نوح
 عليه السلام .

١ - سورة الإسراء : جزء من الآية ١٧

٢ - صحيح مسلم : بشرح النووي : ج ١٦ : كتاب الفضائل ، ص ٨٧

٣ - البداية والنهاية : ابن كثير : ج ١ ، ص ٩٤

٤ - عمدة القاري : للعيني : ج ٨ ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٢١٦

الديانة التي كان عليها قوم نوح :

مما سبق يتضح أن الإشراك وتعدد الآلهة كان سائداً في عهد نوح عليه السلام وكانت له كهنة ومرتزة ودجالون ، وقد سبقت الإشارة في الباب الأول عن كيفية دخول الشرك إلى هؤلاء القسوم واتخاذهم آلهة من دون الله تعالى كما في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (١)

وهذا خطاب من المشركين لأقوامهم وهم يحثونهم على عدم ترك عبادتها على الإطلاق والتحذير مما كان يدعو إليه نوح عليه السلام .

فهذه الآية الكريمة ترشد إلى ما كان عليه قوم نوح وما كانوا يعبدون ، وهي مريحة في بيان ما كان عليه القوم من دين وهو الإشراك بالله تعالى ، لهذا أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام داعياً إلى توحيد الله في العبادة . (٢)

...

١ - سورة نوح : آية ٢٣

٢ - انظر : الكامل في التاريخ : ابن الاثير : ج ١ ، ص ٣٨

الفصل الثاني

الأساليب التي دعا بها نوح قومه وجهاده معهم

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

- ١ - المبحث الأول : الحوار مع قومه بالحكمة والموعظة الحسنة
وذلك بالتذكير على مظاهر قدرته تعالى .
- ٢ - المبحث الثاني : المجادلة وعدم اليأس منهم .
- ٣ - المبحث الثالث : الترغيب والترهيب .

تمهيد

سبق الذكر إلى أن دعوة الأنبياء جميعاً جاءت بأصول واحدة في العقائد ، والجدير بالذكر هنا أن نبين أن سننهم عليهم السلام في الدعوة كانت تقوم على البيئة والحجج المحكمة ، ذلك أنها اعتمدت في تبليغها ونشرها وفق ما يتقبله العقل السليم ، ويألفه الذوق ويتحسسه الوجدان ولا تقف دونه البديهة وتنكره الحقيقة - لهذا نجدهم عليهم السلام لم يقتصروا في دعوتهم على خوارق الأمور ، بل كانوا يوجهون العقول إلى الحقائق والنظر والتأمل في هذا الكون الفسيح وما حوى من مظاهر الإبداع والإتقان ، ويبينوا لهم أن كل هذه الآيات تنطق على أنه إله واحد لا شريك له .

بكل هذا جاءت دعوة نوح عليه السلام ترشد إلى النظر في النفس والآفاق للوصول إلى هدفه من رسالته ، ذلك ليبلغهم أنه لا إله إلا الله .

ولما كانت بعثته عليه السلام إلى نفوس قد انحرفت عن الفطرة السليمة بسبب فساد عقيدتهم وما أشربت به من عبادة الأوثان حتى صارت لا تبصر نور الحق ، لهذا جاء عليه السلام والأنبياء من بعده ليعالجوا هذه النفوس بالحكمة البالغة ، أي بكل كلام معقول موافق للحق ، والعظة النافذة في الأسلوب بالتذكير بالخير فيما يرق له القلب ليجعلوها مألوفة للعقول خفيفة على القلوب ، لهذا كان الرسول منهم [يدعـو بالبرهان الجلي ، والحجة القاطعة طلاب الحقائق ، وهم خواص القوم ذوي النفوس القوية ، وبالخطابات المقنعة ذوي النفوس الضعيفة ويدعـو المعاندين المجادلين بالباطل بأحسن طرق المناظرة

والمجادلة ، من الرفق واللين .^(١) وفق ما جاء في قوله تعالى :
 " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُمُ الْبَالِغَ الَّذِي هِيَ أَحْسَنُ " ^(٢)

وبهذه المبادئ كانت دعوته لقومه عليه السلام ونهجه إلى هذه الطرق ، ذلك [أن عمل الداعي لا ينتهي بمجرد الإفصاح عن الحقيقة بل يجب أن يجعلها من الواضوح بمكان يتذوقها الخواص ويستطيع العوام أن يسيغوها دون جهد وعناء] ^(٣) هكذا كان نوح عليه السلام في جهاده الطويل يوجه قومه إلى النظر في آيات الله في أنفسهم وفي الكون من حولهم ، محاولاً معهم بكل السبل والوسائل ، بعدة طرق مدعمة بحقائق وحجج مخاطباً إياهم بالعقل والعاطفة معاً ليصل بهم إلى الاستدلال بمظاهر وحدانية الله تعالى ، وبهذه الطرق ذكر نوح عليه السلام قومه بجلال النعم ، ودلائل قدرته تعالى ، وما فيها من كمال رباني ، مما يحمل العبد إلى الإذعان لخالقه عز وجل .

• • •

١ - هداية المرشدين : علي محفوظ ، ص ٣١

٢ - سورة النحل : جزء من الآية ١٢٥

٣ - منهج الدعوة إلى الله : أمين اصلاحي : الكويت : دار نشر الكتاب الإسلامي ، ص ٦٧

المبحث الأول

الحوار مع قومه بالحكمة والموعظة الحسنة

المطلب الأول : التركيز على مظاهر قدرته تعالى :-

الدليل الأول : النظر في الأنفس :

كثيراً ما ترد الآيات القرآنية الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى من خلال تقديم الأدلة القطعية على دلالة الآيات الكونية الباهرة الدالة على وجود الله سبحانه وتعالى، والدالة على عظيم قدرته وتدبره، واتقان صنعه، وقد ذلت هذه الآيات بالإمتنان على الإنسان لما تحويه من نعم جليلة تعود على الإنسان بالنفع، الواجب تجاهها شكر الله تعالى عليها، وتصديق الإيمان به والإعتقاد بأنه تعالى هو وحده مصدر هذه النعم، ولا أحد سواه .

لهذا كانت جميع الآيات التي توضح النظر إلى التفكير في ملكوت السموات والأرض وما بينهما من مخلوقات لما فيها من دلائل وحدانيته تعالى قد ذلت نهايتها بقوله :

- (١) " قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "
- (٢) " قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ "
- (٣) " إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "
- (٤) " كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ "
- (٥) " كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "

وأسلوب التذكير بنعم الله وفق النظر إلى آيات الله الكونية

جاء كثيراً في قصة نوح عليه السلام والأنبياء من بعده .

- | | |
|------------------------------------|------------------------------------|
| ١ - سورة الانعام : جزء من الآية ٩٧ | ٣ - سورة الأنعام : جزء من الآية ٩٩ |
| ٢ - سورة الأنعام : جزء من الآية ٩٨ | ٤ - سورة يونس : جزء من الآية ٢٤ |
| ٥ - سورة الروم : جزء من الآية ٢٨ | |

و قد استدل نوح عليه السلام بدليل بديع في التذكير بجلال النعم (١)
 ودلائل القدرة الإلهية ، ومظاهر الكمال الرباني ، مما يجعل العبد
 يذعن لخالقه ، ويقر بربوبيته وألوهيته وإفراده سبحانه بكمال التوحيد
 والإخلاص له . وكان هذا أول أمر خاطبهم به من توجيه النظر في
 الأنفس ، ذلك أن النظر في النفس الإنسانية ، أقرب ما يكون إلى
 الإنسان كما جاء في قوله تعالى : " وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا " (٢) وإلى
 النظر في هذا الأمر دلائل كثيرة في القرآن الكريم تحكي عن النظر في
 الأنفس هو أقرب ما يكون للمرء كما في قوله تعالى :

" وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ " (٣) وقوله : " فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿١﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
 دَافِقٍ ﴿٢﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٣﴾ " (٤) ، وقد فملت كثير من الآيات أصل
 خلق الإنسان وأنه من تراب وكيف كان تطور خلقه بأطوار مختلفة (٥) كما
 في قوله تعالى : " فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
 مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَنَبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ مُسَمًّى ثُمَّ
 نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا " (٦)

فدعوته عليه السلام لقومه للنظر في هذه النفس ، كيف كانت نطفة
 وأنهم لو أمعنوا النظر ودققوا لوجدوها قطرة ماء مهين ضعيف لومرت
 بها ساعة من الزمان لفسدت ، كيف استخرجها الله تعالى جلت قدرته

١ - انظر : الدعوة الإسلامية والإعلام الديني : عبد الله شحاته : الهيئة المصرية العامة للكتاب
 ١٩٧٨ ، ص ١٣

٢ - سورة نوح : الآية ١٤

٣ - سورة الذاريات : الآية ٢١

٤ - سورة الطارق : الآيات : ٥ - ٧

٥ - انظر : فتح القدير : الشوكاني : ج ٥ ، ص ٢٩٨

٦ - سورة الحج : جزء من الآية ٥

من بين الصلب و الترائب منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته تعالى^(١) ليكون منها ذلك الإنسان وما أولاه سبحانه لها بعد ذلك من مظاهر العناية حتى أصبحت طفلاً متنقلة من طور إلى طور حتى خرجت إلى هذه الحياة وهي في حياتها الدنيا تمر بأطوار أخرى إلى أن ترد إلى عالم الغيب والشهادة ولا يعلم مميرها بعد ذلك إلا الله ، إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر ، والعياذ بالله .

ثم أن نوحاً عليه السلام استخدم في هذا الاستدلال على مظاهر قدرة الله تعالى بطريق الإثبات المسبق ، وذلك بالاستفهام كما جاء في قوله تعالى : " مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا " ^(٢) " قاصداً أنه لا شيء ثبت لهم ليصرفهم عن توقير الله تعالى ، فلا عذر لهم في عدم توقيره ، وفي ذلك الحث على الإيثار به تعالى لأنه خلقهم على هذه الصورة من النشأة .

و موجب الاعتراف بعظمته تعالى وقدرته حاصل ، ذلك أنهم يعلمون أن الله خالقهم كما في قوله تعالى :

" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ " ^(٣) ، لهذا وجه عليه السلام نظرهم إلى كيفية هذا الخلق بموجب اقرارهم بقدرة الله تعالى على خلقهم لذا كان واجباً ولازماً عليهم أن يؤمنوا بالله تعالى ، وقد ركز عليه السلام على كيفية الخلق بأنها أطوار ، ليبين لهم مدى رفق

١ - انظر غرائب القرآن وتفسيره : أبي عبد الرحمن عبد الله الزيدى : حقه محمد الحاج :

عالم الكتب بيروت ج ١ / ١٤٠٥ هـ ، ص ٣٩١

انظر مفتاح دار السعادة : ابن القيم : ج ١ : دار الكتب العلمية : بيروت : ص ١٨٨

أحكام القرآن : القرطبي ج ١٨ / ٣٠٣

٢ - سورة نوح : آية ١٣

٣ - سورة الزخرف : آية ٨٧

الله تعالى بهم في ذلك التطور ، وفي هذا تعريض بكفرهم النعمة ، ولأن
الأنوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته ، وأن تبديل الله تعالى
لهذه الأنوار دليل على تمكين الخالق سبحانه على كيفيات الخلق
ولأنهم يدركون ذلك بأدنى التفات للذهن ، فكان حري بهم أن يتوصلوا
به إلى معرفه عظمه الله وتوقع عقابه ، لأن الدلالة على ذلك قائمة على
الاستدلال بأقرب ما يكون إلى الإنسان وهو نفسه ، ثم بعد ذلك لا يستشعرون
في أنفسهم توقير الله ! فهذا أدعى لوقوع العذاب عليهم إن لم يؤمنوا به .
[و الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحن والإستقامة فهي
طريقة عقلية سليمة ، وهي شرعية دل القرآن عليها في كثير ممن
المواضع وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها] (٢)

الدليل الثاني على وحدانية والتركيز على مظاهر قدرته تعالى :

النظر في الكون :

أنهم إذا رجعوا لأنفسهم وفكروا في هذه النطفة وتأملوا حالها (٣)
أولاً وما صارت إليه ثانياً و أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يخلقوا
لها سمعاً أو بصرأ أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً أو عظماً أو عرقاً
أو شعرة واحدة لعجزوا عن ذلك ، وهذا دليل على آثار صنع الله
تعالى وإتقانه لكل شيء من قطرة ماء مهين . فكيف بهم أمام ملكوت
السموات . وهذا هو الدليل الثاني على وحدانية الله تعالى ، كما في

١ - أنظر التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ٢٩ ، ص ٢٠١ و محاسن التأويل :
للقياسي : ج ٩ ، ص ٢٩٦ ، في ظلال القرآن : سيد قطب : ج ٦ ، ص ٣٢١٤

٢ - أنظر النيات : ابن تيميه : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٩٨٢ ، ص ٧٨

٣ - أنظر : مفتاح دار السعادة : ابن القيم ج ١ ، ص ١٨٨ - ١٩٦ ، الطب محراب الإيمان

لخالص كنجو : ط ٧ : بيروت : مؤسسه الرسالة : ١٤٠٧ هـ : ج ١ ، ص ٦٢

قوله تعالى : " أَلَمْ تَرَ أَنَّا كَيْفَ خَلَقْنَا سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلْنَا الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلْنَا الشَّمْسُ سِرَاجًا ۖ " (١)

هنا نجد أن نوحاً عليه السلام قد وجه قومه إلى النظر في ملكوت السموات والأرض بعد ما طلب إليهم النظر في أنفسهم ذلك أن دلائل الآفاق أبهر وأعظم، فقد استدرجهم بحكمة بالغة من النظر في الأنفس من حيث هي أقرب إليهم، إلى ما هو أبعد منهم، وأكثر إبهاماً وأعقد تركيباً، وهو النظر في الآفاق بقوله " أَلَمْ تَرَ أَنَّا كَيْفَ خَلَقْنَا سَمَوَاتٍ طِبَاقًا " وهذا مدعاة إلى أن يعلموا أن الذي قدر على هذا الخلق، هو الذي يجب أن يُعبد، (٢) ثم انتقل إلى تصوير ما فسي السماء الدنيا من علامات باهرة وظاهرة كخلق الشمس والقمر وأن الشمس بالنسبة للقمر كالسراج بالنسبة للضوء، ذلك أن الضوء من السراج وكذا، بالنسبة للشمس والقمر، فالقمر يستمد نوره من الشمس، وجعل كلاً منهما على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها .

وهذه إشارة إلى أن القرآن الكريم قد سبق العلماء إلى أن القمر يستمد نوره من الشمس وفي هذا اعجاز علمي بحت . (٣)

والنظر في هذه الآفاق وتدبره حديث طويل لا يسعنا الكلام عنه هنا إلا أننا نبين أنه عليه السلام وجه قومه إلى النظر في هذه الآفاق وتدبر حكمته خلقها وأن القادر على خلقها بهذا الإبداع جدير أن

١ - سورة نوح : الآيتان ١٥ - ١٦

٢ - انظر التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤٠ ، التحرير والتنوير : ابن عاشور ج ٢٩ ، ص ٢٠٢ ، الأساس في التفسير : سعيد حوى : ج ١١ ، ص ٦١٦٢

٣ - انظر الطبيعيات : الطبيعيات والاعجاز العلمي للقرآن الكريم / الدار السعودية

للنشر والتوزيع : عبد العليم عبد الرحمن خضر ج ١ ، ١٤٠٦ هـ

يكون هو المعبود الحق لا سواه ممن لا حول له ولا قوة ، وهو دليل من الأدلة على توحيد الله تعالى .

ومن الجدير بالذكر أن النظر الذي طلبه نوح من قومه ليس هو النظر بالبصر ، ذلك أنهم موقنون بوجودها ، وأن خالقها هو الله تعالى ، إنما النظر المطلوب منهم هو النظر الجالب للإيمان وهو : نظر البصيرة ومدى التفكير في عظم آياته تعالى .

الدليل الثالث على الوحدةانية والتركيز على مظاهر قدرته تعالى :

النظر في نشأة الإنسان ومضاهاتها بنشأة النبات :

وها هو عليه السلام يعود مرة أخرى ليبين لهم منشأ الاستدلال بخلق الأنفس ، حضور الأرض في الخيال ، ثم أعقب نوح عليه السلام الاستدلال بالنظر في آفاق الكون ، بأعجب ما يروونه من أحوال الأرض ، ومهد لذلك أن خلق الإنسان من الأرض ، ومن ثم يعود الإنسان إلى الأرض مرة أخرى ، وفي ذلك بيان لحال الموت والقبر ، ومن ثم شبه الإنسان بالنبات حيث أطلق على فعل أنشأكم : قوله : أنبتكم للمشابهة بين إنشاء الإنسان وإنبات النبات ، من حيث أن في كليهما تكوين لقوله تعالى : " وَأَنْبَتْنَاهَا نَبَاتًا حَصَنًا " (٢) فلما شبه إنشاءهم بنشأة النبات وأنه قادر على هذا ، أعاد السياق مرة أخرى وأشار إلى الطريقة المعهودة في القرآن من أنه تعالى لما كان قادراً على الابتداء كان قادراً على الإخراج . (٣)

١ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٤ ، ص ٤٢٦ ، مفتاح دار السعادة ابن القيم

ج ١ ، ص ١٩٩ ، الجامع لأحكام القرآن : القرطبي : ج ١٨ ، ص ٣٠٤

٢ - سورة آل عمران : جزء من الآية ٣٧

٣ - التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤١ ، التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ٢٩ ، ص ٢٠٤

وفي هذا الدليل استدلال على التوحيد وذلك من خلال النظر إلى دلائل الأنفس ، وهو كالتفسير لقوله " خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا " . وفي الآية وجهان :

الأول : أنبتكم من الأرض : أي أنبت آدم عليه السلام من طين الأرض ، كما قال تعالى : " إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١﴾ " (١)

الثاني : إن نشأة جميع البشر من الأرض ، ذلك أنما نُخْلَق من النطف التي هي متولدة من الأغذية التي نتناولها من النبات المتولد من الأرض (٢)

وبهذا الدليل يرى الإنسان نفسه موجوداً في أحسن تقويم ، وقد قال تعالى : " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣﴾ " بلى يكفي .

وفي قوله تعالى : " وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا " لفظة لطيفة ، ذلك أنه تعالى قال : والله أنبتكم من الأرض نباتاً ، فإنه ينبغي أن يقال في لغة البشر: أنبتكم من الأرض إنباتاً ، أي أنبتكم إنباتاً عجيباً غريباً ، وفي هذا بيان صفة الإنبات بأنها صفة عجيبة غير محسوسة لأنها من صفات الله تعالى فلا تعرف أن هذا الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بإخبار من الله تعالى . وفي هذا مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى ، ولا يمكن إثباته إلا بالسمع ، فكان الأولى أن يقال

١ - سورة آل عمران : الآية ٥٩

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤٠

٣ - سورة فصلت : الآية ٥٣

نباتاً ، أي أنشأكم منها إنشاءً فاستُعير الإنبات بالإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكوين من الأرض لكونه محسوساً ، وبهذا يمكن أن يستدل به على كمال قدرته تعالى ، لهذا كان العدول عن تلك الحقيقة إلى هذا المجاز لهذا السر اللطيف . والله أعلم .

ثم يقرر كذلك بعد ذلك قدرة الله تعالى وهي الطريقة المعهودة في القرآن الكريم فإن القادر على فعل الإنشاء في الإبتداء قادر على الإعادة كما في قوله " ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا " تؤكد به بالمصدر يخرجكم حقاً لا محالة في ذلك الإخراج . (١)

الدليل الرابع : على الوحدانية والتركيز على مظاهر قدرته تعالى :

النظر في الأرض فهذا يتمثل في قوله تعالى : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢﴾ " (٢) ، وفي ذلك حكمة بالغة على كمال قدرته تعالى ، فإن النظر إلى الأرض وكيف خلقت يتضح بها عظم آيات وجلال مبدعها ، فقد خلقها بساطاً وفراشاً ومهاداً وذلكها لعباده ، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعاشهم ، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها ليقضوا حوائجهم ، وأرساها بالجيال ، فجعلها أوتادا لئلا تميد بهم ، وجعل ظهرها وطناً للأحياء ، وبطنها وطناً للأموات (٣) ، والقرآن الكريم حافل بكثير من المواطن التي ذكر فيها الأرض وبديع خلقها والحكمة من ذلك .

١ - انظر : الكشف : الزمخشري : ج٤ ، ص ١٦٣ . التفسير الكبير : الرازي : ج٣ ، ص ١٤١ فتح القدير : الشوكاني : ج٥ ، ص ٢٩٩ ، روح المعاني : الألوسي : ج٢٩ ، ص ٩٤ : في ظلال القرآن : سيد قطب : ج٦ ، ص ٢٧١٤ ، التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج٢٩ ، ص ٢٠٤

٢ - سورة نوح : الآيتان : ١٩ - ٢٠

٣ - مفتاح دار السعادة : ابن القيم : ج١ ، ص ٢٠٠

وبهذه الدلائل العظيمة تدرج نوح في خطابه لقومه بحكمة حسنة موجهاً أنظارهم إلى بديع خلق الله تعالى في أنفسهم وفي آفاق السموات والأرض ليبين لهم أنه هو القادر الرازق بأن جعل السماء بناءً والأرض مهاداً وأوسع لهم الرزق ، لهذا يجب أن يعبد وحده لا شريك له .

المطلب الثاني : تقديم النصح والإرشاد لهم :

تقدم أن نوحاً عليه السلام اتبع مع قومه في أسلوب دعوته الحكمة البالغة في إثبات تصوير مدى قدرة الله على الخلق ليصل بهم إلى أفرادهم لله تعالى بالعبادة ، ولم يقتصر على هذا الجانب بل خاطبهم أيضاً بحكمة بالغة وحسنة في طريقة نصحه لهم وإرشادهم إلى سواء السبيل ، كما في قوله تعالى :

" قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ أَبَلِغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ " (١)

وقد تكرر نصحه عليه السلام في مواضع أخرى كما في قوله تعالى :

" قَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَن مَّا أَنصَحُكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنَّ مَاءَ وَمَا أَنصَحُكُمْ بِهِ لَأَنْتُمْ مُعْجِزِينَ ﴿١٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ " (٢)

والنصح : من نصح الشيء أي خلص ، والناصح : الخالص من العسل وغيره وكل شيء خلص فقد نصح .

والنصح نقيض الغش ، مشتق من نصحه وله نصحاً ونصيحة ونصاحة ونصاحة ، ونصاحية ونصحاً . قال تعالى : " وَأَنصَحْ لَكُمْ " . ويقال

١ - سورة الأعراف : الآيتان ٦١ - ٦٢

٢ - سورة هود : الآية ٣٤

نصحت له نصيحتي نصوحاً : أي أخلصت وصدقت ، والإسم نصيحة ،

والنصح مصدر نصحته ، والنميحة مشتقة من نصحت العسل إذا

صفيته ، أو مشتقة من النصح وهي الخياطة بالمنمحة وهي الإبره ،

والمعنى أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنمحة .

*** والنميحة :- كما قال الخطابي في فتح الباري :-

هي كلمة يعبر بها عن جملة ؛ هي ارادة الخير للمنصوح له .

وفي الحديث (الدين النميحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين

وعامتهم) ، (٢) قال العلماء عن هذا الحديث : أنه أحد أرباع الإسلام .

فأما النميحة لله تعالى : أي الإيمان به ونفي الشريك عنه ،

وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ،

وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص ، والقيام بطاعته ،

واجتناب معصيته ، والحب فيه والبغض فيه ، وموالة من أطاعه .

ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والاعتراف بنعمته وشكره

عليها والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة

والحث عليها والتلطف مع جميع الناس ومن أمكن حثهم عليها . (٣)

١ - انظر : الصحاح للجوهري : ج١ ، باب الحاء فصل النون : ص٤١٠ ، لسان العرب :

ابن منظور : ج٢ ، ص٦١٥ : فتح الباري : ابن حجر : ج١ : كتاب الإيمان : باب

الدين النميحة ص١٣٨ . صحيح مسلم شرح النووي : ج٢ ، ص ٣٧

٢ - فتح الباري : ابن حجر : ج١ ، ص ١٣٨ ، وصحيح مسلم بشرح النووي : ج٢ ، ص ٣٧

٣ - المرجعين السابقين ، ص ١٣٨ ، ص ٣٨ ، عمدة القاري : العيني : ج١ ، ص ٣٢٢

وأما حقيقة هذه الإضافة ، راجعة إلى العبد في نصحه نفسه ،
فإن الله تعالى غني عن نصح الناصحين . (١)

وأما النميحة لكتابه سبحانه وتعالى ، فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله ، لا يشبهه شيء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق التلاوة ، وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حرفه في التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين ، وتعريض الطاغين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف على أحكامه ، وتفهم علومه ، وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه والتفكير في عجائبه ، والعمل بحكمه والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه .

وأما النميحة للرسول صلى الله عليه وسلم : فتتمديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حياءً وميتاً ، ومعاداة من عاداة ، وموالة من وآله ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته .

وبهذه الأمور كانت حقيقة النصح ، وهو الإرسال إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ، ويتمثل ذلك في إشفاق الأخ الناصح لإخوانه ، وفي صدق الرائد الناصح لمريديه ، لهذا فقد دعا نوح عليه السلام قومه ونصح لهم بإخلاص دون أن يبتني منهم أجراً ، بل كان يسعى جاداً في إبلاغهم بأمر الله وتقديم النميحة لهم

١ - انظر: فتح الباري : ابن حجر : ج ١ ، ص ١٣٨ ، صحيح مسلم ، شرح النووي : ج ٢ ، ص ٣٢٢ . عمدة القاري : العيني : ج ١ ، ص ٣٢٢

و مجادلًا لهم بحكمة حسنة كما في قوله تعالى :
 " قَالَ السَّالُّونَ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ
 وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ
 مِنْ أَنْفُسِهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجَبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ
 لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (١) وهو هنا عليه السلام جاءهم

لتبليغ الرسالة والنصح لهم .

الفرق بين تبليغ الرسالة والنصيحة :

فتبليغ الرسالة : أن يعرفهم الرسول أنواع تكاليف الله ، وأقسام أوامره
 ونواهيهِ ، ويدل عليه قوله - ما جاء في قصة نوح عليه السلام - " أبلغكم
 رسالات ربي " وفي قوله رسالة يعني أنه عليه السلام حمل أنواعاً
 كثيرة من الرسائل ، وهي أقسام التكاليف من الأوامر والنواهي وشرح
 مقادير الثواب والعقاب في الآخرة ، ومقادير الحدود والزواجر في
 الدنيا .

وأما النصيحة : فهي الترغيب في الطاعة ، والتحذير عن المعصية
 والسعي في تقرير ذلك الترغيب بأبلغ الوجوه .

وهذا هو المقصود من هذه الآية الكريمة أي أبلغ إليكم تكاليف
 الله ، ثم أرشدكم إلى الأصوب والأصلح لكم ، وأدعوكم إلى ما دعاني ،
 وأحب إليكم ما أحب لنفسي . (٢) والله أعلم .

١ - سورة الأعراف : الآيات ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣

٢ - التفسير الكبير : الرازي : ج ٤ ، ص ١٥٧

وهو هنا قد نصح لله تعالى : في أمره إياهم بعبادة الله دون سواه من الأنداد والآلهة ، والتحذير من عقاب الله تعالى على كفرهم به .

وناصح للرسول : متمثل بدعوة قومه إلى تصديقه فيما جاء به من عند الله تعالى ، والتحذير من تكذيبه .

ونصيحته للكتاب : متمثلة بإبلاغ وحي الله تعالى إليهم ، كما أمر بتبليغه إياه . (١)

هذا هو المنهج الذي سلكه نوح عليه السلام في بداية دعوته إلى قومه متمثلاً في التركيز على توحيد الله تعالى وتوجيه البصائر إليه ، ووضع العقول الناضجة موضع المسؤولية وإيقاظها من سباتها العميق ، لتحسن مسئوليتها وتندير آيات الله تعالى في آفاق هذا الكون الفسيح . وقد تمثل ذلك في قوله تعالى :

" إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢﴾ "

لهذا كان للتفكير في خلق السموات والأرض شأن عظيم ؛ ليزداد الذين آمنوا إيماناً ، وليعلم من لم يؤمن بأن هذا الخلق لم يخلق باطلاً ولا عبثاً، بل ليدل على أن خالقه رب واحد ولا يستحق

١ - جامع البيان : الطبري : ج ٨ ، ص ٢١٤

٢ - سورة آل عمران : الآيتان ١٩٠ - ١٩١

العبادة أحد سواء • ذلك ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي
الذين أحسنوا بالحسن • وفي ذلك إقامة الحجة عليهم بأن القادر
على هذا هو المستحق فقط للعبادة •

...

المبحث الثاني

مجادلة قومه وعدم اليأس منهم

لما كانت دعوة الرسل تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، ولما كان تغيير العقائد ليس أمراً سهلاً ، لهذا أعطى الله سبحانه وتعالى رسله الكرام البيان ، وأرسلهم بلغة أقوامهم ، ولما كانت الحجة لازمة لبيان الحق والدفاع عنه ، حتى تتفتح القلوب وترى الحق بعين البصيرة ، كان الجدل بالحق سلاحاً للوصول إلى إثبات الحقيقة . وقد أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم " وجادلهم بالتي هي أحسن " .

- وهو بهذا : مراد يتعلق بإظهار الحقيقة وبيانها وإلزام الخصم به . (١)
- ولقد أوتي نوح عليه السلام نفساً في الحجة والجدل الذي ملك على الأقوام كل أقطارهم ، وأدار رؤوسهم وعقولهم فقالوا كلمة الخائف من نور الحق وإشراقة الحجة (٢) : " قَالُوا يَنْحُوحٌ قَدْ جَنَّاسْنَا ذَاكُرْتُمْ جِدْلَنَا فَإِنْ يَأْمُرْ دُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ " (٣)
- يتضح من هذه الآية الكريمه : أن قوم نوح قد عارضوه معارضة شديدة ورفضوا دعوته ، وهذه المعارضة اشتملت على عدة شبهات

١ - انظر مناهج الجدل في القرآن الكريم : زاهر عوض الألعى : الطبعة الثانية : ١٤٠٠ ، ص ٢١

٢ - انظر : الدعوة الإسلامية : أحمد غلوش : القاهرة : دار الكتاب المصري : ١٩٧٩ ، ص ٣٨٢ . انظر : الدعوة إلى الله : توفيق الواعي ، ص ٢٩٦ . انظر : معالم الدعوة في قصص القرآن : عبد الوهاب الديلمي : الطبعة الأولى : جدة : دار المجتمع للنشر والتوزيع : ١٤٠٦ : ج ١ ، ص ٢٧٦ . الأنبياء في القرآن : سعيد صادق محمد : الطبعة الأولى : الرياض : دار اللواء : ١٤٠٢ ، ص ٦٥

٣ - سورة هود : الآية ٣٢

مبنية على مقدمات : وهذه المقدمات متمثلة في قوله تعالى :
 " فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا
 الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نُنَظُّكُمْ

كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ " (١)

وقد تقدم ذكر هذه الآية والتفصيل فيها في الفصل الثاني
 من الباب الأول عند ذكر الشبهات حول بشرية الرسول . إلا أنها
 هنا من أجل بيان مدى قوة الجدل في دعوة نوح عليه السلام
 إلى قومه وكيف جادلهم بحكمة حسنة وَرَدَّ عَلَيْهِمْ شِبْهَهُمْ ، ومع ذلك لستم
 يؤمنوا به .

المطلب الأول : المقدمات التي استند إليها في الجدل

المقدمة الأولى : أنه بشرٌ مثلهم : كما فلي قولهم :
 " ما نراك إلا بشراً مثلاًنا " فهم ينكرون عليه الرسالة لكونه بشراً ،
 حيث قال أشراف قومه : ما أنت إلا بشراً مثلاًنا في الجنس لا مزية لك
 علينا تجعلنا ندع لنبوتك .

إلا أن نوحاً عليه السلام رَدَّ عليهم هذه الجهالة منهم ، ذلك أن
 حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة
 النبوة ، ولا تنافي مقتضيات الرسالة كما فلي قوله لهم :

" قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَنْتُمْ لَبَوَّاهُمْ عَنْهُ فَاعْتَصِبْ عَلَيْكُمُ اتِّلَازِمُكُمْ مَّا وَاتَّلَهُمْ أَكْرَهُونَ ۚ " (١)

ويتجلى نداء نوح عليه السلام إلى قومه في سماحة ومسودة ،
وذلك بندائهم ونسبهم إليه ونسبة نفسه إليهم بقوله يا قوم • وهذا
الرد يتضمن ما يلي :

- ١ - إن الإصطفاء بالرسالة من خصائص الله تعالى ، حيث يمطفي برحمته
من يشاء وهو الذي لا يسأل عما يفعل •
- ٢ - كيف تستطيعون رد البينة التي أكرمني الله بها ، (٢) وأنا لا أقدر
على إيمان حقيقة البينة إليكم ، وإنما يقدر عليها الله تعالى •
والبينة التي مكن الله تعالى بها نوحاً عليه السلام أمران :
- ١ - أمرٌ فكري : يتضمن الحقائق الدينية المؤيدة بالبراهين
العقلية ، وهي ما كان من تعاليم الوحي •
- ٢ - أمرٌ مادي يتجلى بالمعجزة التي تشهد بصدقه ، وبهذا
أسقط لهم حجتهم ، ولم يلزمهم بها كراهة ، وبهذا تكون
هذه الآية أول نص في دين الله على أنه لا ينبغي أن يكون
الإيمان بالإكراه وفي ذلك إثبات لنبوته عليه السلام ورد
إنكارهم لها ، وإبطال شبههم في أنه بشر مثلهم • (٣)

١ - سورة هود : آية ٢٨
٢ - مناهج الجدل في القرآن الكريم : زاهر عوض الألمعي ، ص ١٥٤
٣ - انظر : تفسير المراغي : ج ١٢ ، ص ٣٠

المقدمة الثانية : متمثلة في قوله تعالى " وما نراك إتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي " .

وهم بهذا ينكرون على نوح مكانة القوم الذين اتبعوه وأنهم من الضعفاء دون الكبراء والأشراف ، وهم يعنون بهم أصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة والنجارة ، ^(١) وإن كانت لا غنى عنها وفيها الخير ، لكننا نحن أشراف القوم أولى باتباعها .

الرد عليهم :

لقد كانت شبههم أن أتباعه عليه السلام من الضعفاء الذين يستعجلون سبق إلى مثل هذه الأمور ، دون التأمل في عواقبسه ودون ترجيح العقل لهذا الأمر .

وكان رده عليه السلام قاطعاً في هذا الأمر كما هو في قوله تعالى : " وَيَقُولُوا لَا آتَاكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُنَا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ ذُكُورًا مَّجْهُولِينَ ﴿١﴾ وَيَقُولُونَ مَنِ نُصْرَتِي مَنِ اللَّهُ إِن طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ " (٢)

وهذه الآية تتضمن عدة أمور في رده عليهم :

أولاً : أنه ليس بطالب مالا حتى يأتيه الأغنياء ويبتعد عنه الفقراء ،

١ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٢٦ ، الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ج ٩ ، ص ٢٣ ، غرائب القرآن : ورغائب الفرقان : النيسابوري : ط ١ : مصر : مطبعة الحلبي : ١٣٨٤ : ج ١١ ، ص ٢١

٢ - سورة هود : الآيتان ٢٩ - ٣٠

ذلك : لأن الرسالة جاءت للعالمين من قومه ، فهي دعوة عامة شاملة لكم جميعاً ، يستوي فيها مشهوركم ومغموركم ، الأغنياء منكم والفقراء ولو فرض وأجبتكم إلى مطالبكم ، فمن الذي أعتمد عليه في نشر الدعوة وتأييد الرسالة ؟ وكيف أطرده قوما نصروني لما دعوتهم وقد لقيت منكم الإعراض ! . (١)

ثانياً : إن الله سبحانه وتعالى سيحاسبه ويؤاخذُهُ إذا هو اصطَفَى
الاعْتِيَاءَ والشُّرَفَاءَ وطرد الفقراء والضعفاء ، فمن منهم ينصره من
الله تعالى إذا فعل هذا • وقد عاتب الله سبحانه وتعالى رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم عندما التفت إلى أشرف القوم راجياً
إيمانهم ، وأعرض عن ابن أم مكتوم ، بقوله تعالى :

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ اَنْ جَاءَهُ الْاَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَبْزُقِي ۚ اَوْ يَذْكُرُ فَتُنَعِّه الذِّكْرَى ۚ
اَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ فَاَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ وَمَا عَلَيْكَ اَلْاِزْنَى ۚ ۝۷ ۚ وَاَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ وَهُوَ يَخْشَى ۚ
فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ ۝۱۰ ۚ كَلَّا اِنَّهَا لَذِكْرَةٌ ۝۱۱ ۚ لِمَنْ شَاءَ ذِكْرُهُ ۚ ۝۱۲ ۚ " (۲)

المقدمة الثالثة : وتتابع الشبه تترأً متمثلةً في قوله تعالى:

" وما نرى لكم علينا من فضل " ، فقوم نوح أنكروا أن يكون نوح عليه السلام رسولاً ، ذلك أنهم لا يجدون فيه - كما يزعمون - فضل عليهم لا في العقل ولا في كيفية رعاية المصالح ولا في قوة الجدل ولا لمن اتبعه أدنى امتياز عنهم من قوة أو كثره مال أو علم أو أصالة رأي ، يحملهم على اتباعكم

١ - انظر : قصص الأنبياء : جاد المولى ، ص ١٧

٢ - سورة عبس : الآيات من ١ : ١٢

ويجعلنا نتنازل عن جاهنا ومالنا ونكون نحن وأنتم سواء . (١)

الرد عليهم :

ما كان منه عليه السلام إلا أن رد عليهم قائلاً :

" وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ " (٢)

ذلك، إن كان عدم إتباعي وتكذيبي لنفيكم عني فضل المال والجاه، فأنا لم أدعهم ولم أقل لكم إن خزائن الله تعالى وماله عندي حتى أنكم تنازعونني في هذا وتنكرونه ، وإنما كان مني دعوى الرسالة .

وأما قوله " ولا أعلم الغيب " معطوفة على " عندي خزائن الله ، وزاد بلفظ النفي بقوله " ولا أعلم " ، أي لا أقول أنني أعلم الغيب حتى تكذبونني لاستبعاد ذلك ، وما ذكرت من دعوى النبوة والإنذار بالعذاب إنما هو بوحى من الله مؤيداً بالبينّة . (٣)

وفي هذا الرد تعريفهم : بأن الدنيا هي مجال الإبتلاء العام، والمؤمنون والكافرون فيها على السواء ، وليست خزائن الله بيده عليه السلام ليفيض منها على من آمن برسالته ، بل هي بيد الله يفيض منها على من يشاء من عباده لحكمة الإبتلاء التي يعلمها سبحانه ، وهو وحده عالم الغيب والشهادة الذي يرتبط به تحصيل المنافع المادية الدنيوية .

١ - انظر : غرائب القرآن : النيسابوري : ج ١١ ، ص ٢٢ ، المراغي : ج ١٢ ، ص ٢٥

٢ - سورة هود : جزء من الآية ٣١

٣ - انظر : روح المعاني : الألوسي : ج ١٢ ، ص ٤٢ ، ٤٣

المقدمة الرابعة : في قولهم " بل نظنكم كاذبين " يتضح من قولهم هذا ، أنه عليه السلام كان يردّ على شبههم بحجج قوية ومقنعة ومجادلاً إياهم بحكمة بينة ، لذا ما كان منهم إلا أن اتهموه عليه السلام بالكذب في دعوى النبوة ، وما جعلهم يطرقون هذا الجانب إلا لشدة إعراضهم وعدم قبولهم الحق . . .

الرد على هذه المقدمة :

وبكل ما أوتى عليه السلام من حكمة وصبر ليستمرفي مجادلتهم وردّ شبههم ليأخذ بهم إلى سواء السبيل ، ويقول لهم " لا أقول إني ملكٌ " حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلاً ، ذلك أن البشرية ليست من موانع النبوة ، بل من مبادئها . (١)

وكوني لا أملك خزائن الأرض ، ولا أدعي علم الغيب ، ولا كونني ملكاً ، اتخذتم هذه الأمور ذريعة إلى تكذبي ، والواقع إنني لا أدعي شيئاً منها ولا بما يتعلق بها ، إنما كل ما أقوله إن الله إصطفاني لهذه الرسالة بفضل منه سبحانه وتعالى .

ونوح عليه السلام لا يجرده هذا التكذيب والتجدي من قومه عن كونه النبي الكريم ، ولا يثنيه عن بيان الحق لهم .

وبهذه الحجج والمنطق والجدال السليم ، أيا نوح عليه السلام جميع الشبهات التي وجهوها له ، إلا أنهم قوم عميت بماثرهم عن إدراك الحق والصواب .

المقدمة الخامسة :

« قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي إِنَّكَ لَتَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ »

وهذا قول الجمهور والسادة من القوم وهم يرون أن نوحاً في ضلال مبين في دعوته لهم بترك عبادة الأصنام التي وجدوا عليها آبائهم ، وهذا هو حال الفجار دائماً في كل زمان ومكان يحسبون أن كل من يدعوهم إلى الهدى ضال ، وما علموا أنهم في دعواهم هذه في ظلمات يعمهون .

الرد على هذه الشبهة :

يرد نوح عليه السلام وينفي عن نفسه الضلال ويبين لهم حقيقة دعوته ومنبعها وأنها ليست من أهوائه ، وإنما هو رسول أمين كما في قوله :

« قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ » (٢)

وهذا هو شأن الرسول أن يكون بليغاً فصيحاً نامحاً عالماً بالله تعالى . (٣)

وهكذا وبهذه المقومات جادل نوح عليه السلام قومه ببالغ من الحكمة

١ - سورة الأعراف : الآية ٦٠

٢ - سورة الأعراف : الآيتان ٦١ ، ٦٢

٣ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ١٢٤

والموعظة راجياً منهم الإيمان بالله تعالى ولكنهم ضاقوا بدعوته
عليه السلام كما هو شأن أهل الكفر والضلال وعتوا عن أمر ربهم ،
وكان عاقبة أمرهم خيراً .

...

المبحث الثالث : أساليب الدعوةالمطلب الأول : أسلوب الترغيب :-

إن الحث على فعل الخير و أداء الطاعات والاستقامة على أمر الله ،
جاء في الكتاب و السنة مقروناً ببشارات كثيرة ، و حكم بليغة .

و الدعاة إلى الله عندما يدعون العامة و الخاصة على حد سواء
باتباع الدين الذي جاءوا به لا يأمون من تكرار أسلوب الترغيب
و الترهيب ليصلوا إلى هدفهم .

و أسلوب الترغيب أمر محبب للنفس البشرية ، لأن فيه دلالة على
أن الله سبحانه و تعالى يجازى عباده الصالحين بطيب العيش ، كما
فى قوله تعالى : " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ " (١) وقوله
" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ " (٢) و قال
" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا لَفُتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٌ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ " (٣)

و أسلوب الترغيب هذا هو أحد ما امتازت به مناهج الدعاة إلى الله
تعالى .

فالترغيب لغة هو : رغب يرغب رغبة : إذا حرص على الشيء و طمع فيه (٤)
ورغبت في الشيء : إذا أردته . (٥)

١ - سورة الرحمن : الآية ٦٠

٢ - سورة النحل : الآية ٩٧

٣ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٩٦

٤ - لسان العرب : ابن منظور : ج ١ ، ص ٤٢٢

٥ - الصحاح : للجوهري : ص ١٣٧

وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة وفي الأثر مواطن كثيرة تبين مدى الربط بين الاستغفار وجلب الرزق ، كما في قوله تعالى :

" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفُضَحَّا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ "

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستغفار بقوله :

(والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (٢)

وهو من غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال علي رضي الله عنه : العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل وما هي ؟ قال : الاستغفار . (٣)

وروي عن بعض العلماء أنهم قالوا : العبد بين ذنب ونعمسة لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار . (٤) كل هذا يبين مدى أهمية الاستغفار في حياة الفرد وأنها سبب المغفرة من الذنوب والخطايا والبلاء .

وبهذا نخلص إلى أن نوحاً عليه السلام طلب من قومه الاستغفار إلى الله تعالى لما في ذلك من جلب المنفعة لهم ودرء ما طرأ عليهم من سوء حال .

١ - سورة الأعراف : الآية ٩٦

٢ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب الدعوات : باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم : ج ١١ ، ص ١١ ، انظر ، رياض الصالحين : النووي : ص ٨٣٠

٣ - ٤ إحياء علوم الدين : الغزالي : ج ١ ، ص ٣١٣

والرغبة في الإصطلاح : رغبة النفس في الثواب ، ورغبة القلب في الحقيقة ، ورغبة السر في الحق . (١)

والتغريب في الدعوة إلى الله : ترغيب الناس إلى ثواب الله وجنته ، ومنه كان الرسل مبشرين لما في البشارة من أمور محببة للنفس الإنسانية وبهذا الأمر دعا نوح قومه قائلًا لهم :

" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِيزَ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٣﴾ " (٢)

مناسبة الآيات : أن قوم نوح لما كذبوه ، واستمروا في تكذيبهم إياه ، حبس الله سبحانه عنهم المطر ، وأعقم أرحام نساءهم أربعين سنة ، و أجذبت الأرض عندهم . فرجعوا إلى نوح عليه السلام يشكون إليه حالهم وما حل بهم ، فقال لهم : " استغفروا ربكم إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " ، ومن هنا يظهر دور الداعية جليًا حيث يستغل الفرص لعرض دعوته في كل حين فكان قوله لهم : إن تبتسم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه ، وسع لكم في الرزق ، وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بالأموال والبنين . (٣)

وفي هذا بيان فضل الإشتغال بالطاعة ، وبيان أنها سبب لانتفاع أبواب الخيرات ، وبتقرير مصدر هذه الخيرات التي هي من عند الله تعالى ، لذا كان واجباً توحيداً تعالى وافراده بالعبادة .

١ - التعريفات : للجرجاني : ص ٢٩٢

٢ - سورة نوح : الآيات : ١٠ - ١٢

٣ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٤ ، ص ٤٢٩ ، التفسير الكبير : الرازي : ج ٣١ ، ص ١٣٧

وجزاء هذا الاستغفار متمثل في أمور :-

١ - أنه سيصيبهم في الدنيا خير كثير ، وتحصل لهم الهداية الغامرة بمغفرة ذنوبهم . وهو في قوله :
 " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ " (١) حيث تحصل لهم المغفرة من الذنوب التي وقعوا فيها .

٢ - أنهم سيعيشون في أمن وينعمون فيه بسلام واطمئنان وهو متمثل في قوله :
 " يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ " (٢) وبهذا فطاعته تعالى تكفل لهم حياة آمنة .

إلا أننا نجد القرآن يقرر أن بعض الأمم لا تتقي الله ولا تقيم شريعته ، ومع ذلك نجدها في سعة من الرزق ، وممكن لها في الأرض : إلا أن هذا ابتلاء من الله تعالى لها كما في قوله تعالى :
 " وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴿٣﴾ " (٣)

المطلب الثاني : أسلوب الترهيب والتحذير منه :

إن دعوة الناس إلى الإيمان بالله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، أمر واجب أقر الله تعالى به عباده المؤمنين وخاصة

١ - سورة نوح : الآية ١٠

٢ - سورة نوح : الآيات ١١ - ١٢

٣ - سورة الأنبياء : جزء من الآية ٣٥

العاملين منهم في مجال الدعوه ، فعليهم النهوض بها لأنها هي المهمة الأساسية لكل داعية ، و القرآن الكريم حثّ على هذا الواجب ذلك لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . فالباحث في هذا الأمر يجد القرآن الكريم ذاخراً بالكثير من الآيات الدالة على وجوب الدعوة منها كما في قوله تعالى : " يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^١ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ " (١) وقوله تعالى : " وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (٢) ، فالعاملون في مجال الدعوه اليوم هم بأمرٍ الحاجة إلى منهج تبليغ يتقيدون به ، وإلى منطلقات فكرية وحركية يصدرون عنها في نطاق دعوة الناس إلى الله تعالى ، ليتسنى لهم مخاطبتهم وإقناعهم .

وهذا ما كان من دأب نوح عليه السلام في قومه متخذاً العديد من الأساليب والطرق التي يدعو بها قومه ، إلا أنهم تمادوا في كفرهم . ولمّا لم ينفع معهم أيّ من الأساليب السابق ذكرها لجأ إلى أسلوب التهيب وذلك بالتحذير من غضب الله تعالى عليهم كما جاء في قوله

تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ^٣ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْجَارِ " (٣)

١ - سورة المائدة : جزء من الآية ٦٧

٢ - سورة آل عمران : آية ١٠٤

٣ - سورة هود : الآيات ٢٥ - ٢٦

وفي آية أخرى " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾

هذه الآيات الكريمة تقرر ثلاثة أمور مما دعى نوح عليه السلام قومه بها منها :-

- ١ - أمرهم بعبادة الله وحده .
- ٢ - أنه حكم بلا إله إلا الله .
- ٣ - التخويف من عذاب يوم أليم عظيم ، والمقصود به إما يوم القيامة ، أو الإنذار بالطوفان .

وفيها الأمر بطاعته عليه السلام لأنه لا ينذر بهذا إلا من كان لديه علم بأن هذه الأمور ستقع لهم لا محالة إن هم عصوا الله ، وبين لهم هذه الدلائل ، قال الرازي في هذا : أنه تعالى ما حكى عن نوح تلك الدلائل في هذا المقام ، إلا أن تلك الدلائل لما كانت معلومة لم يكن إلى ذكرها حاجة في هذا المقام . (٢) وقد ذكرت هذه الدلائل في أول سورة البقرة . (٣)

وقد تكرر الإنذار من نوح عليه السلام إلى قومه في مواضع عدة منها أيضا كما في قوله تعالى : " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ
اللَّهُ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا (٤)

- ١ - سورة الأعراف : آية ٥٨
- ٢ - انظر التفسير الكبير : الرازي : ج ١٤ ، ص ١٥٥
- ٣ - انظر المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٩٩ - ١٤٣
- ٤ - سورة نوح : الآيات ١ - ٣

هذه الآيات الكريمة ابتدأت بتقرير مصدر الرسالة وأنها من الله تعالى وهو ممثل في قوله " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ " وأما قوله " أن أنذر قومك " هذا هو الترهيب بالإنذار ، وهو دليل قاطع للحالة التي انتهى إليها قوم نوح من إعراض وإستكبار ، حيث جعل الإنذار هو أنسب ما تلخص به رسالته عليه السلام ، فالإنذار وكما سبق ذكره إنذار بعذاب أليم في الدنيا ، أو في الآخرة ، أو فيهما معاً ، وفي ذلك بيان بأنه أمر القوم بثلاثة أمور :-

١ - عبادة الله وحده لا شريك له حيث يتناول جميع الواجبات ، والمندوبات

من أفعال القلوب والجوارح .

٢ - الأمر بالتقوى : وهو ما يتناول الزجر عن جميع المحظورات

وذلك صيانة للنفس عما تستحقه من العقوبات من فعل أو ترك .

وهي في الطاعة يراد بها الإخلاص ، وفي المعصية يراد بها الترك

والحذر . (١)

٣ - طاعته عليه السلام فيما أمر به ونهى عنه . (٢)

إلا أنه عليه السلام يقتصر على الترهيب في هذه الدرجة والمنزلة

فقط بل صاحبها بالترغيب ليحصل لهم من ذلك بيان سبب ترهيبه ، فإن

هم أطاعوه وانتبهوا عما هم فاعلوه ، حصل لهم الثواب بأن أطمعهم

بالمغفرة كما في قوله " يغفر لكم من ذنوبكم " وفيه أنه بهذه التوبة

والمغفرة يحمل لهم إزالة العذاب عنهم في الآخرة ، وأطمعهم بتأخير

الأجل كما في قوله " ويؤخركم إلى أجل مسمى " ، وفي ذلك إزالة

١ - انظر التعريفات : الجرجاني : ص ٦٨

٢ - انظر : التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٣٤

مضار الدنيا عنهم بقدر الإمكان ، كل ذلك بشرط الإيمان منهم بالله تعالى وطاعته ، وفي وصف الله تعالى الأجل بأنه مسمى فائدة هي :-
 بأنه تعالى لما وصف الأجل بالمسمى ، وتعليق تأخيرهم إليه بالإيمان والطاعة مريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى : " إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ " أي ما قدره الله عز وجل لكم على تقدير بقائكم على ما أنتم عليه (إذا جاء) وأنتم على ما أنتم (لا يؤخر) فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه ، حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاءكم على الكفر والعميان ، فلا يجيئ ، ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه . (١) وقد يراد به (الأجل) قبل أن يأتيكم العذاب الأليم ، كما جاء في بدايه السورة .

وبهذا نخلص إلى أن نوحاً عليه السلام دعى قومه بكل ما أوتي من قوة حجة وبيان بالبين تارة ، وبالشدّة أخرى ، وقد استخدم أساليبه جميعاً وفق مراتب دعوته عليه السلام .

المطلب الثالث : مراتب دعوته عليه السلام :-

لقد استخدم نوح عليه السلام في دعوته قومه مراتب ثلاثة مستخدماً في ذلك كل أساليب الدعوة ، فقد اتبع في دعوته الآتي :-

١ - انظر : روح المعاني : الألوسي : ج ١٠ ، ص ٨٨

٢ - انظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ٢٩ ، ص ١٩٧

أولاً : مرتبة المناصحة في السر : فعاملوه بأمور أربعة :-

- ١ - جعلوا أصابعهم في آذانهم .
- ٢ - واستغشوا ثيابهم .
- ٣ - وأصروا . وفي ذلك تشديد الإمتناع من الإقلاع عن الذنب . (١)
- ٤ - واستكبروا استكباراً - أي عظيماً بالغاً - في عدم قبول الحق .

ثانياً : مرتبة المجاهرة : آذوه وبالغوا في إيذاؤه وازدادوا إعراضاً

ثالثاً : مرتبة الجمع بين السر والعلانية : لقد دعاهم عليه السلام في هذه المرحلة في جميع الأوقات ، مراعيًا حالهم ومستغلاً فرصة الدعوة إلى الله في كل حين . وهو ما جاء متمثلاً في توجيه خطابه لله تعالى (أنه اتبع كل السبل معهم يدعوهم إلى عبادة الله ومع ذلك لم يستجيبوا له . لذا لجأ إلى الله تعالى يشكوا له سوء ما قابله به قومه فقال :

" يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّدُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ " (١٠)

وهذا ما كان عليه جميع الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم إلى الله تعالى ، فقد بدأوا دعوتهم بمرحلة سرية ليتسنى لهم آنذاك جمع بعض الأنصار للنهوض بهذه الدعوة ومن ثم جاهرُوا بها ليتم لهم

الإعلان عنها على أوسع نطاق .

١ - انظر : روح المعاني : الألوسي : ج ١٠ ، ص ٨٩

٢ - سورة نوح : الآيات ٥ - ٩

وفي هذا درس بليغ للدعاة إلى الله تعالى لينهجوا ما كان عليه الأنبياء حيث تأليف القلوب لهذه الدعوة أمر واجب ، ولا يكون ذلك إلا باتباع تلك المراحل الثلاث ، مرحلة السرية ، ومن ثم الجهرية ثم الجمع بين السر والعلانية مع مراعاة مراتب القوم ودرجاتهم ، والقيام على هذه الدعوة بكل ما أوتوا من قوة في الحجة واليقين وبسائر الوسائل الممكنة ، فهدفهم واحد هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور وإفراده تعالى بالعبادة وإخلاص الأمر لله عز وجل .

المطلب الرابع : صبره عليه السلام :-

سبق أن ذكر أن نوحاً عليه السلام كان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً ، ولم يلق نبي من الأنبياء من الضرب والشتم وأنواع الأذى والجفاء مثل ما لقي نوح عليه السلام ، لذا جاء وصف قومه كما بقي قوله تعالى :

" وَقَوْمٌ تُرِجَ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ " (١) وأولوا العزم من الرسل

كانوا في غاية الصبر على ما أصابهم في سبيل الله ، فلم يضعفوا في جهادهم ودعوتهم إلى الله . واجهوا مهمات دعوتهم بعزم وجلد وصبر عظيم ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصبر كما

صبر أولوا العزم من الرسل ، فقال تعالى :

" فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ " (٢)

١ - سورة النجم : آية ٥٢

٢ - سورة الأحقاف : جزء من الآية ٣٥

لذا كان الداعي إلى الله تعالى أشد الناس بلاءً وأكثرهم تحملاً ، لأنه قائد فكر ، وحامل مشعل ، ورسول إصلاح ، وزعيم حركة تغيير ، ذلك أنه يتحمل قوة تغيير المألوف . (١) ولمّا لم يجد نوح عليه السلام منهم إلا الإصرار والاستكبار ، والسخرية والاستهزاء ، لم يثنه ذلك ، بل نجده يمضي في دعوته سجين طوال دون كلل ولا ملل ، وكلمًا أعرض قومه عن الاستجابة له ، غير وبدل في الأسلوب ، ونجده عليه السلام في جميع الحالات رحيماً بهمسهم ، خائفاً عليهم عذاب يوم عظيم ، كان يخاطبهم بكل لين و لطف و يقربهم إلى نفسه آملاً في إيمانهم ، فتارة يخاطبهم بأنه منهم وهم منه كما في قوله : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ " (٢) ، وتارة بإنزالهم منزلة الأخوة القريبة كما في قوله تعالى :

" إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ " (٣) ومع كل هذا الدأب والحلم منه عليه السلام ، إلا أنه ما آمن معه إلا قليل فما كان منهم إلا الإعراض ، وما كان منه عليه السلام إلا الصبر ، وقد حكى عنه تعالى ذلك كما في قوله : " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أصْوَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ۖ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي أَهْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۖ " (٤)

١ - انظر : الدعوة الإسلامية و الاعلام الديني : د . عبد الله شحاته : ص ٩

٢ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٥١

٣ - سورة الشعراء : آية ١٠٦

٤ - سورة نوح : آية ٥ - ٩

هذا ما كان من صبره عليه السلام في قومه ، أما ما كان من شأن أهل بيته فقد أُمْتُحِنَ فيهم وقد صبر عليهم :-

١ - لقد كانت زوجته مشركة وكانت تقول للناس عنه بأنه مجنون ، خاصة بعد ما طلب منها أن تخبره إذا فار التنور ، حيث جعل فوران التنور علامة لغرق قومه . حيث فر معظم المفسرين قوله تعالى : " حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ " بهذا الأمر .

٢ - امتحنه الله تعالى بكفر ابنه وعميانه له ، وقد سبق الحديث عن هذا الأمر في الباب الأول في فصل النبوة بالتفصيل .

وكان صبره في هذا عظيمًا : فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالِدَعَاةِ مِنْ بَعْدِهِمْ كَانُوا مُتَحَنِّينَ فِي أَقْوَامِهِمْ فَإِذَا رَجَعُوا إِلَىٰ بَيْتِهِمْ ، وَجَدُوا مِنْ يَهُودٍ عَلَيْهِمْ ، وَيَأْخُذُ بِيَدِهِمْ وَيَصِرُهُمْ ، وَفِي ذَلِكَ أَمْرٌ مُحِبِّبٌ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ حَيْثُ يَخْفَىٰ عَلَيْهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْإِطْمِئْنَانِ وَالنَّصْرَةِ .

أما نوح عليه السلام فقد ابتلاه ربه بقومه وأهل بيته معًا ، حينئذ لم يجد بُدًّا من دعاء ربه ، فانتصر له في الدنيا مرتين :- (١)

الأولى : أن أنجاه ومن معه من المؤمنين .
الثانية : أنه أهلك زوجته وابنه الكافرين وأبدله خيراً منهما بأن جعل ذريته هم الباقين كما في قوله تعالى :

" وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ "

١ - الصبر الجميل : سليم الهلالي : دار ابن القيم : الدمام : السعودية : ط ١٤٠٩ : ص ٧٦

٢ - سورة الصافات : الآيات : ٧٧ - ٨٠

و صدق الله العظيم إذ يقول : " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿١﴾ " (١)

ولما كان الإيمان نفعين : نصف مبر ، ونصف شكر (٢) : كان لابد لمن أراد نصح نفسه وأحب نجاتها ، وآثر سعادتها ، أن يتمسك بهذين الأصلين العظيمين ، ولا يعدل عنهما القاصدون وأن يلتزمهما من أراد الطريق إلى الله ، ليجعله الله تعالى على خير الطريقين .

وما يدل من القرآن الكريم على أن نوحاً عليه السلام قد مبر على قومه في دعوتهم قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ " (٣)

١ - أنه تعالى عبر بالسنة عن المدة التي قضاها نوح في قومه ، وذلك لأن السنة تشير إلى الشدة والصعوبة والطول ، أما التعبير بالعام من المدة التي لم يقضها فيهم وذلك لبيان السهولة والقصر في العام .

٢ - أن السنة تطلق على التقويم الشمسي وهي أطول من القمري بأحد عشر يوماً ، أما العام فيطلق على التقويم القمري . (٤)

وبهذا فإننا نجد أن نوحاً عليه السلام قد رزقه الله تعالى الصبر على الجدال والقدرة على تصريف الحجج ، وممالك الإقناع ، إلا أنه لم يؤمن معه إلا القليل .

١ - سورة الرحمن : الآية ٦٠

٢ - عدة المابرين : ابن القيم : ط ٢ : لبنان : دار الكتاب العربي : ١٤٠٦ هـ ، ص ٢٣

٣ - سورة العنكبوت : الآية ١٤

٤ - انظر : القصص القرآني : فضل عباس : الطبعة الأولى : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٧ هـ ، ص ٨٣

الفصل الثالث

موقف قوم نوح من دعوته

إعراض قومه عنه ورفضهم لما دعاهم إليه قولاً وعملاً :

وفيه سبعة مباحث

- المبحث الأول : تكذيبهم لنوح عليه السلام .
- " الثاني : تحريض الغير على تكذيبه .
- " الثالث : وضعوا أصابعهم في آذانهم .
- " الرابع : رميه بالسفّه والجنون .
- " الخامس : ضربه عليه السلام وإذاؤه .
- " السادس : توصية أبنائهم بعدم اتباع نوح عليه السلام .
- " السابع : بيان من آمن مع نوح عليه السلام .

...

المبحث الأول

لقد دعا نوح عليه السلام قومه إلى الله تعالى فأعرضوا ،
وأنذرهم بعذاب أليم إلا أنهم عموا وسموا ، ورغبهم في ثواب الله
فاستكبروا ، ووضعوا أصابعهم في آذانهم ، ومع ذلك ناضل ومابر
وجادل ، ولم يدع اليأس يملك إلى قلبه ، فما كان موقفهم من دعوته
عليه السلام ، إلا موقف الجحود والنكران ، موقف الإصرار على الباطل ،
والإعراض والاستكبار عن الحق ، واستمروا في مقابلة نوح عليه السلام
بشتى أنواع الإيذاء والإتهامات والافتراءات الباطلة ، من تكذيب له ،
وتحريض عليه ، وتوصية لأبنائهم بعدم إتباعه ، وضربهم له .

وقد كان إعراضهم عن نوح عليه السلام إعراضاً قولياً وفعلياً
سالكين في ذلك عدة أساليب .

تكذيبهم لنوح عليه السلام :-

كثير من الآيات القرآنية دلت على مدى تكذيب قوم نوح ، لنوح
عليه السلام كما في قوله تعالى :

« قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ » (١)

وكما في قوله : " أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَ كَرُّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٥﴾ " (١)

وكما في قوله تعالى : " وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَرَّبُونَ إِنْ كَانَ كِبَرُ عَلَيْنَاكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٦٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُنذِرِينَ ﴿٦٨﴾ " (٢)

وكما في قوله تعالى : " فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرِيدُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرِيدُ أَنْ تُبْعَلَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَذِبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَحْنُكُمْ كَذِبٌ ﴿٦٩﴾ " (٣)

هذه الآيات الكريمة جاءت مبينة لموقف قوم نوح عليه السلام ومدى إعراضهم ، وأنه كبر عليهم أن يكون نوح عليه السلام نبياً لله وداعياً له . وكذلك كبر عليهم تذكيره لهم بآيات الله ، لهذا طلب منهم أن يجمعوا أمرهم ويتفقوا على رد معين لنوح عليه السلام ، متخذين في ذلك قراراً نهائياً لا رجعة فيه ، ثم يجمعوا أمرهم بما اتفقوا عليه ، فإن أعرضوا عنه فإن أجره على الله ، ولقد أعرضوا عن دعوته لله ، إلا أنه مع ذلك أمر بأن

١ - سورة الأعراف : الآيتان ٦٣ - ٦٤

٢ - سورة يونس : الآيات ٧١ - ٧٢

٣ - سورة هود : الآية ٢٧

يكون من المسلمين ، وبكل هذا الحلم من نوح عليه السلام ،
ما كان منهم إلا أن كذبوه .

وجاء في قوله تعالى : " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي
وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ ﴿١﴾ " (١)

في هذه الآية الكريمة تصريح رميهم نوح عليه السلام بالكذب
لقوله " افتراه " قال الطبري في ذلك [ان افتريته واختلقته فعليّ إثمي في
افتراي ما افتريت على ربي دونكم ، لا تؤاخذوني بذنبي ولا إثمي ،
ولا أؤاخذكم بذنبكم ، وأنا بريء مما تذبون وتأتهمون بربكم — من
افترائكم عليه .] (٢)

ولا عجب في ذلك فهذا موقف جميع المشركين مع أنبيائهم .
إلا أنّ هؤلاء لم يقتصروا على أن كذبوه وحدهم بل حضوا الغير على
تكذيبه ممن يجدون في أنفسهم تقبلاً لدعوته عليه السلام .

...

١ - سورة هود : الآية ٢٥

٢ - جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٣٢

المبحث الثاني

تحريض الغير على تكذيبه

لما أحس قوم نوح عليه السلام بوجود أذن صاغية لدعوته ، ما كان منهم إلا أن سعوا لهذه الآذان لتحريضها لعدم اتباعه ، وجاء ذلك متمثلاً في قوله تعالى : " فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَعَيْنَا فِيْءَ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرِّضُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾ " (١)

إنَّ رفض قوم نوح عليه السلام لدعوته لم يجعلهم يكتفون بهذا الرفض والإعراض ، بل إنهم طلبوا من قومه الذين أحسوا منهم الإيمان ، التخلي عنه بقولهم إنه رجل مثلهم ، و رموه بالسفاهة والجنون .

ولم يكتفوا بهذا بل أيقظوا فيهم حمية الجاهلية ، كما في قوله تعالى : " وَقَالُوا لَا تَنْذِرُنَا إِلَهَكُمْ وَلَا تَنْذِرُنَا وَلَا سَوَاءً عَلَيْنَا نَذِيرٌ وَمَعُوقٌ وَفَرَّا ﴿٢٦﴾ " (٢)

وما أغنى هؤلاء الضعفاء إلا اتباعهم وطاعتهم رؤساءهم الذين مكروا لهم مكرًا شديدًا ليثنوهم عن جادة الطريق ، وأنهم بذلك اتبعوا من لم يزدده ماله ولده إلا خسارة .

١ - سورة المؤمنون : الآيتان ٢٤ - ٢٥

٢ - سورة نوح : الآية ٢٣

ذلك أنهم لم يكتفوا بالضللال بمكرهم مكرراً متناهيًا في الكبر،
لإبطال الدعوة وإغلاق الطريق للوصول إلى قلوب الناس ، بل
مكروا لتزيين الكفر والضللال والجاهلية التي تخبط فيها القوم ،
وكان من بالغ مكرهم أن حرضوا الناس على الإستمساك بآلهتهم ،
وقد خصوها بذكر أسمائها لاثارة النخوة في قلوب القوم لإعتزازهم
بها . (١)

وهكذا بقوا في ظلمات يعمهون .

...

١ - انظر : في ضلال القرآن : ج ٦ ، ص ٢٧١٦ ، التحرير والتنوير : ابن عاشور :
ج ٢٩ ، ص ٢٠٦

المبحث الثالث

وضع أصابعهم في آذانهم واستغشوا الشيا

إنَّ لجهاد نوح عليه السلام في قومه دأباً مستمراً ناهضاً بهم إلى الدعوة لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، ولكونه عليه السلام واجهم بهذه الدعوة مواجهة صريحة وبوصول صوته إلى أسماعهم إلا أنهم كرهوا أن يصل ذلك الصوت إليهم وكرهوا أن تراه أعينهم ، وقد قال تعالى عنهم : " وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَرْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿١﴾ "

و أما ما وصفهم به الله تعالى من وضعهم أصابعهم في آذانهم في ذلك زيادة منهم في العتو والإعراض ، ذلك أن الأنملة هي التي تدخل في الأذن فقط ، وإنما عرّض بالإصبع لبيان شدة إعراضهم عن قبول دعوته لئلا يسمعوا ما يدعوهم إليه ، وبيان أنهم في ثبات على ما هم عليه من الكفر ، وإصراراً على ما هم عليه من الباطل وهذا هو شأن الجاهلية في كل زمان ، إعراض شديد لئلا يواجهوا كلمة التوحيد وليزدادوا بذلك عتواً واتباعاً عن جادة الحق .

...

١ - سورة نوح : الآية ٧

٢ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ٢٩ ، ص ٩٢ ، في ظلال القرآن : سيد قطب ج ٦ ،

ص ٣٧١٢ ، التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ٢٩ ، ص ١٩٧

المبحث الرابع

رسمه بالسفه والجنون

استمرا عرض قوم نوح عليه السلام إلى أن وصل بهم الأمر أن
 رسموه بالسفه والجنون ، وقد هكئ الله سبحانه وتعالى مقالتهم :-
 " إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتْرِصُّوْا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ " (١) وقوله تعالى :
 " كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٢٦﴾ " (٢)

ويتضح مدى سفه عقولهم من خلال قوله " إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ " ،
 قال الزمخشري رحمه الله في هذا [ألا تراهم كيف جننوه وقد
 علموا أنه أرجح الناس عقلاً وأوزنهم قسلاً] (٣)

إلا أنهم لم يكتفوا بذلك الرمي بل توعده إن لم يفتق من هذا
 الذي به ، وإلا فهم قاتلوه كما في قولهم " مجنون وازدجر " ، أي
 انتهروه وزجروه وتوعده لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ،
 وقال الطبري في معنى قولهم : فترصوا به حتى حين ، أي إلى وقت غير
 معلوم . (٤)

وقيل قد يأخذه الموت ويريحكم من دعوته ، ومن الحاجة عليكم
 بالقول الجديد ، (٥) وجميع هذه المعاني مقصودة منهم فكونها متمثلة

١ - سورة المؤمنون : آية ٢٥

٢ - سورة القمر : آية ٩

٣ - الكشاف : الزمخشري : ج ٣ ، ص ٢٠

٤ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٨ ، ص ١٧ : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير :
 ج ٤ ، ص ٢٤٤

٥ - انظر : في ظلال القرآن : سيد قطب : ج ٤ ، ص ٢٤٦٥

أما في قتله أو في انتظار الموت حتى يحل به دليل قاطع على سبب
إصرارهم ورفضهم لدعوته عليه السلام .

وفي قوله تعالى : " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبيدا وقالوا
مجنون وازدجر " ، ففي هذا بيان أن كل رسول قابله قومه بمثل هذا
الأمر والرمي بالجنون والسفه ، وفيها تلميح عظيمة للرسول صلى
الله عليه وسلم ، بأن ما كان من إعراض قومه عنه خاصة في بداية
الدعوة هو في ذلك أسوة كسابقيه من المرسلين وأولهم نوح عليه
السلام .

وفي الآية أيضا دلالة تكريم لنوح عليه السلام وهي قوله
" عبيدا " حيث أضاف ذو الجلال والإكرام عبودية نوح إلى جلالته .
وفي ذلك مقام تشريف له عليه السلام .

وفي الآية أيضا رد على قوم نوح ، ذلك أنهم اتهموه بالجنون ،
وقد يكون الجنون من ذهاب العقل أو من الإتيان بأمر خارق للعادة .
لهذا قال الرازي في ذلك : قولهم " مجنون " إشارة إلى أنه أتى
بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا عنه ، وقالوا هو مُصاب
بالجنون وقد يكون لزيادة بيان قبح منعه حيث لم يقنعوا بقولهم إنه
كاذب ، لهذا عزوا إلى القول بأنه مجنون أي يقول ما لا يقبله عاقل .
وفي ذلك بيان مدى مبالغتهم في تكذيبه . (١)

١ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٤ ، ص ٢٦٣ ، التفسير
الكبير : الرازي : ج ٢٩ ، ص ٣٦

كل هذا يبين مدى عتو قوم نوح وإصرارهم الشديد ، وما كان
منهم من هذا القول القبيح تجاه رسول الله ، ومن المتوقع جداً
أن تكون منهم سلاطة اللسان هسهذه ، ذلك أنهم فعلوا معه أكثر
من هذا حيث وصل بهم الأمر إلى ضربه عليه السلام .

...

المبحث الخامس

ضربه عليه السلام وإلحاق الأذى به

سبق وأن بينّا أنّ المقمود بقوله تعالى : " وَقَالُوا مَجْجُونٌ وَازْدُجِرَ " أنهم كانوا يعرضون لقتله ، وقد قيل فيها أنهم كانوا يعزروه ، ويتعرضوا له بالأذى وينتهروه إن لم ينته عن دعوتهم ، ليكون من المرجومين . (١)

وهذا ما كان واقعاً . منهم تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وردَ عن ابن الأثير ما يؤيد ذلك كما في قوله : [إن قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لي ولقومي فإنهم لا يعلمون - وروي أيضاً بأنه كان يُضرب ويلف ويلقى في بيته يرون أنه قد مات ، فإذا أفاق اغتسل وخرج إليهم يدعوهم إلى الله .] (٢) وقد أورد ابن حجر ما يؤيد ذلك : عن عبد الله بن مسعود قال : [كأنني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ، ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "] . (٣)

لله در هذه النفس المؤمنة المحتسبة المابرة ، ما أحنأها على قومها ، إنها تخشى عليهم الضلال والهلاك ، ما أرحمه عليه السلام

١ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٤ ، ص ٢٦٣

٢ - الكامل : ابن الأثير : ج ١ ، ص ٣٩

٣ - فتح الباري : ابن حجر : كتاب أحاديث الأنبياء : ص ٥١٤

بقومه حين يدعو لهم : رب اغفر لى ولقومي فإنهم لا يعلمون .

وقد سبق بيان ذلك بالباب الأول وما كان من شأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه، وكذا جميع المرسلين ذلك لأن دعوتهم دعوة حق ، فيلزمهم التحمل من أجل ذلك ، وحرى بدعاة اليوم أن لا يستعجلوا على من يدعوهم وأن يصبروا عليهم ، فإنهم لين يلاقوا ما لاقى أحد من الأنبياء عليهم السلام . وليعلموا أن كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وليعلم الذين كفروا أي منقلب ينقلبون .

...

المبحث السادس

توصية أبنائهم بعدم اتباع نوح عليه السلام

وبهذا يستمر عناد قوم نوح عليه السلام وإصرارهم بالإعراض عن الحق وعدم قبول دعوته حتى وصل بهم الأمر أن يوصوا أبناءهم بعدم اتباعه عليه السلام ، حتى أنه لا ينتهي قرن حتى يأتي قرن أئوياً من الذي كان قبله ، فقد كان يقول أحدهم للآخر : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنوناً لا يقبلون منه شيئاً . (١)

وقد أورد ابن كثير في تاريخه : [وكان كل ما انقرض جيل ، وصّوا من بعدهم بعدم الإيمان به ، ومحاربتة ومخالفتة ، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه ، وصّاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبداً ما عاش] . (٢)

فما كان موقف نوح من قومه إلا أن صبر واحتسب آملاً أن يزيد عدد المؤمنين معه ، وما آمن معه إلا قليل .

...

١ - انظر : الكامل : ابن الأثير : ج ١ ، ص ٣٩

٢ - البداية والنهاية : ابن كثير : ج ١ ، ص ١٠٩

المبحث السابع

بيان من آمن مع نوح

سلك نوح عليه السلام طريقاً طويلاً في سبيل الجهاد من أجل الدعوة إلى الله حيث بلغ كما صرح القرآن الكريم :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا " (١)

بكل صبرٍ ودأبٍ وتضحيةٍ وتحمل قضاها فيهم ، ومع هذا ما آمن معه إلا قليل كما جاء في قوله تعالى :

" حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ نُنْزِلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ " (٢)

سياق هذه الآية الكريمة يظهر أن الذين آمنوا معه عدد قليل لا يعلم حقيقة عددهم إلا الله تعالى ، وقد اختلف في عدد من كان معه : وأورد ابن كثير قائلًا [عن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً منهم نساءهم ، وعن كعب الأحبار : كانوا إثنين وسبعين نفساً ، وقيل كانوا عشرة ، وقيل إنما كان نوح وبنوه الثلاثة ، سام ، وحام ، ويافث وكنائس الأربعة نساء هؤلاء الثلاثة ، وامرأة يام ٠٠٠٠] (٣)

إلا أن العدد الحقيقي لمن آمن معه لا يعني إلى هذه الدرجة من الأهمية ،

١ - سورة العنكبوت : جزء من الآية ١٤

٢ - سورة هود : الآية ٤٠

٣ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج٧ ، ص ٤٢ ، ٤٣ ، تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج٢ ، ص ٤٤٥

فرغم كل جهده وجهاده ودأبه خلال ألف سنة إلا خمسين عاماً
ما آمن معه إلا قليل .

ويمكن ترجيح أن من نجا مع نوح عليه السلام كانوا بنيه
الثلاثة وزوجاتهم وزوجة ابنه كنعان وهم بهذا ثمانية ، وهذا أقل
عدد قيل فيهم ، ^(١) وبهذا لم يكن معه أحد غيرهم .
فهذا يوافق قوله تعالى " وجعلنا ذريته هم الباقين " ، لذا كان
من المعقول جداً حصر المؤمنين معه في السفينة هم بنوه وزوجاتهم ،
ليتفق ذلك مع سياق الآية الكريمة . وكذلك إسناداً لقوله تعالى :
" وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ^{٧٧} " ^(٢) يدل على ذلك القول .

وإذا ما افترض وجود عدد من المؤمنين من غير أبنائه لقول الله
تعالى : " ونجيناه ومن معه من المؤمنين " ، أي يوجد عدد من
المؤمنين معه ، ولم يكونوا من ذريته ، فكيف يمكن التوفيق بين
الآيتين ؟ .

الجواب وبالله التوفيق ، يحتمل أن يكون ممن نجا مع نوح
عليه السلام ، عدد من المؤمنين من غير ذريته ، إلا أنه لم يكن لهم
ولد بعد ذلك .

وقد روي عن سمره بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : (سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم) . ^(٣)

١ - انظر : نظم الدرر البقاعي : ج ٩ ، ص ٢٨٧ ، انظر : قصص الأنبياء : النجار : ص ٣٥

٢ - سورة الصافات : الآية ٧٧

٣ - البداية والنهاية : ابن كثير : ج ١ ، ص ١٠٩ ، المستدرك : للحاكم : ج ٢ ، ص ٥٤٦

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ : أَنَّهُ ذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى :
" إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ " ، فَذَكَرَ أَنَّ نُوحًا اغْتَسَلَ فَرَأَى ابْنَهُ
يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : تَنْظُرُ إِلَيَّ وَأَنَا أَغْتَسِلُ ، خَارَ اللَّهُ لَوْنِكَ ، قَالَ :
فَاسُودَ ، فَهُوَ أَبُو السُّودَانِ . (١)

...

الفصل الرابع

نهاية قومه

وفيه ثمانية مباحث :-

- المبحث الأول : إعلام نوح عليه السلام أنه لن يؤمن معه إلا من قد آمن .
- " الثاني : يأس نوح من ايمان قومه .
- " الثالث : دعائه على قومه بالهلاك .
- " الرابع : أمره بصنع السفينة ، و ردود الفعل على قومه .
- " الخامس : وقوع الطوفان ونهاية قوح نوح .
- " السادس : سَنة الابتلاء .
- " السابع : صبر الرسل و المؤمنين على إضطهاد الجاهلية .
- " الثامن : دلالة القصة لحاضر الدعوة الإسلامية .

المبحث الأول : إعلام نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

سبق بيان جهاد نوح عليه السلام مع قومه ، وبيان مدى إغراضهم الشديد لدعوته ، وأنه لم يؤمن معه إلا نفر قليل من قومه ، رغم كل ما قدمه من مجهود مستمر ، إلى جانب ما كان منهم من تكذيب وإغراض ، عند ذلك ما كان منه إلا أن بث شكواه إلى الله تعالى فقال : " قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ " (١) وإلى هنا كانت كلمة الحق وفصل الخطاب فأجاب الله تعالى نداء نوح كما في قوله : " ولقد نادانا نوح فلنعم الميجيبون " فأوحى الله إلى نوح عليه السلام بأنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن كما جاء في قوله تعالى " وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ " (٢)

وفي هذا بيان [إقناظ من إيمانهم ، وأنه غير متوقع] (٣) حصول الإيمان منهم بعد ذلك .

إلا أن العناية الربانية التي خص بها عباده المخلصين لا سيما من أنبيائه ، أرفق من أن يوحى إليه بهذا النبأ ويكت عن هذا ، بل تتجلى رحمه الله بعباده الأخيار بمواساتهم لإظهار كسبون النصر لهم ، فقال تعالى : " فلا تبتئس بما كانوا يفعلون " أي لا تحزن

١ - سورة المؤمنون : الآية ٢٦

٢ - سورة هود : الآية ٢٦

٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل : النسفي : ج ٢ ، ص ٥٤

بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الإنتقام منهم . (١)
وبهذا تبرؤ ذمة نوح من قومه وأنه أدّى الأمانة وبلغ الرسالة
كما أمر ، ولا عذر لهم بعد ذلك .

فقد روي عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
(أن الله يدعوا نوحا وقومه يوم القيامة أول الناس ، فيقول : ماذا
أجبتهم نوحاً ، فيقولون : ما دعانا وما بلّغنا ولا نصحنا ، ولا أمرنا ، ولا نهانا
فيقول نوح : دعوتهم يارب دعاءً فاشياً في الأولين والآخرين ، أمة بعد
أمة ، حتى انتهى إلى خاتم النبيين أحمد ، فانتسخه وقرأه وآمن به
ومدّقه ، فيقول الله للملائكة : ادعوا أحمد وأمته ، فيأتي رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمته يسعى نورهم بين أيديهم
فيقول نوح لمحمد وأمته : هل تعلمون أنني قد بلغت قومي الرسالة
واجتهدت لهم بالنصيحة ، وجهدت أن أُنقذهم من النار سراً
وجهاراً ، فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً . فيقول رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وأمته : فإننا نشهد بما شهدتنا به إنك في جميع
ما قلت من الصادقين ، فيقول قوم نوح : وأين علمت هذا يا أحمد
أنت وأمتك ونحن أول الأمم وأنت وأمتك آخر الأمم ، فيقول رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم " إنا أرسلنا نوحاً
إلى قومه " فيقرأ السورة حتى ختمها ، فإذا ختمها قالت أمته :
نشهد أن هذا لهو القصص الحق ، وما من إله إلا الله ، وأن الله لهو
العزیز الحكيم ، فيقول الله عز وجل عند ذلك : إمتازوا اليوم أيها
المجرمون ، فهم أول من يمتاز في النار . (٢)

١ - الجواهر في تفسير القرآن : طنطاوي جوهري : مكتبة الحرم المكي : ج ٦ ، ص ١٢٩

٢ - المستدرک : للحاكم : ج ٢ ، كتاب التاريخ : ص ٥٤٧

المبحث الثاني : يأس نوح من ايمان قومه:

وبعد كل هذا الجهد والعناء الذي قضاه في قومه ، وما أوحاه الله تعالى إلى نوح عليه السلام بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، عند هذا ، يأس نوح عليه السلام من قومه بإخبار الله تعالى له بعدم حصول الإيمان منهم بعد هذا اليوم فبث شكواه إلى الله تعالى وأخذ يبين له مراحل دعوته لقومه - وهو أعلم بهذا - وأنه ما ترك جهداً يسيراً إلا وقد سلكه في دعوته فقال :

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ﴿٧﴾ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ سُبُلَآءَ فِجَاجًا ﴿١٦﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا ﴿١٧﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كُبَرًا ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَا تَنْدَرْنَ الْهَتَكُمْ وَلَا تَنْدَرْنَ وِدَاؤَ سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١٩﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٠﴾

وما كان هذا التوضيح من نوح عليه السلام لمراتب دعوته وأاليها وشكواه إلى الله تعالى ، إلا من حمول يأسه منهم ، ^(١) . وهو يتضرع إلى الله تعالى يطلب نصرته ، ذلك أن قومه لشدة إنكارهم له ، عصوه مرتين :-

- الأولى : أنهم عصوا نوحاً عليه السلام وأعرضوا عن اتباعه .
 الثانية : أنهم اتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً وهم رؤساء القوم . ^(٢)
 لهذا وبعد طول هذه المدة : نادى نوح ربه متضرعاً إليه أن ينصره من قومه الذين كذبوه . ، فكان الوعد الحق :
 " وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ الْمُجِيبُونَ ^{٧٥} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ^{٧٦} " ^(٣)

...

-
- ١ - انظر : نظم الدرر : البقاعي : ج ٢٠ ، ص ٤٤٠ ، روح المعاني : الألوسي : ج ٢٩ ، ص ٩٩ ، التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ٢٩ ، ص ١٩٣
 ٢ - انظر التفسير الكبير : الرازي : ج ٣٠ ، ص ١٤١
 ٣ - سورة الصافات : الآيتان : ٧٥ ، ٧٦

المبحث الثالث : دعاؤه على قومه بالهلاك :-

في دعاء نوح على قومه قولان :-

القول الأول :

بعد ما أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن : هنا يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه ، وهو قد استنفذ ما استنفذ من طاقات وأاليب في دعوته ، ولقى ومن آمن معه من شديد الإيذاء ، فما كان منه عليه السلام إلا أن دعا على قومه بقوله :
 " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " (١) وعلل سبب دعائه على قومه " إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا " (٢)
 ذكر بعض المفسرين (٣) بأن نوحاً دعا على قومه بقوله :
 " رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " واسندوا ذلك لما روي عن قتاده رضي الله عنه قوله : " وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " ، وذلك حين دعا عليهم قال : " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " .

وقال ابن كثير ووافقه المراغي في تفسيره : بأن نوحاً عليه السلام
 [لَمَّا اسْتَعْجَلَ قَوْمَهُ نَقْمَةَ اللَّهِ بِهِمْ وَعَذَابَهُ لَهُمْ ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ نوح

١ - سورة نوح : الآية ٢٦

٢ - سورة نوح : الآية ٢٧

٣ - انظر : الطبري : السيوطي : البيضاوي : في تفسير قوله تعالى : " رب لا تذر "

دعوته التي قال مخبراً عنه ، أنه قال : " رب لا تذّر على الأرض من الكافرين ديناراً " " فدعا ربه أني مغلوب فانتصر " ، فعند ذلك أوحى الله إليه " **أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ** " (١)

القول الثاني :-

وقال غيرهم من المفسرين (٢) : بأن الله تعالى أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، ولما تيقن نوح عليه السلام من عدم إيمان قومه بما أوحاه الله إليه ، دعا على قومه بالهلاك ، وقد أورد الطبري والقرطبي مسنداً إلى الضحاك أنه قال في قوله تعالى : " لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " ، فحينئذ دعا على قومه لمّا بين الله له أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (٣)

وقال بهذا السيوطي بطريق آخر عن قتادة في قوله تعالى : " رب لا تذّر على الأرض من الكافرين ديناراً " قال : [أما والله ما دعا عليهم نوح حتّى أوحى الله إليه ، "أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " ، عند ذلك دعا عليهم ، ثم دعا دعوة عامة فقال : " رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً "] (٤)

١ - الزمخشري ، الجوهري ، النسفي ، الرازي ، الألوسي ، القرطبي ، البقاعي ، وحاشية شهاب على تفسير البيضاوي ، ورشيد رضا في تفسيره .

٢ - انظر : جامع البيان : الطبري : ج ١٢ ، ص ٣٣

٣ - الدر المنثور : السيوطي : ج ٦ ، ص ٢٧٠

وقد ورد عن ابن عباس [قال نوح بعدما قال له ربه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (رب) يارب (لا تذر) لا تترك على الأرض من الكافرين دياراً] (١)

الراجع من هذه الأقوال :-

أن نوحاً عليه السلام ما دعا على قومه إلا بعدما أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وذلك لوجوه :-

أولاً :- إن حكمة الله تعالى من إرسال الرسل هي هداية الناس إلى كل ما يحب الله ويرضى ، لذلك فالرسول عليه السلام منهم ، حريص على أن يبلغ الدعوة إلى قومه آملاً في إيمانهم ، فليس من المعقول أن يدعو عليهم بالهلاك ، ذلك لأنه لا يزال يدعو إليهم وهو يأمل في إيمانهم .

ثانياً :- أن آية الإحياء سبقته بقوله تعالى :

" قَالُوا يَنْتُحِرُ كَذَّابُنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِآيَةٍ مَّا نَعْبُدُكَ إِلَّا كَكُنُوتِ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ إِلَى شَيْءٍ مَّا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤﴾ " (٢)

ومن خلال تفسير هذه الآيات يتضح أن نوحاً قد جادل قومه كثيراً ، آملاً منهم أن يستجيبوا له ، إلا أنهم أعرضوا ، فردوا عليه ،

١ - تنوير المقياس من تفسير ابن عباس : ج ٢ ص ٤٨٧ :

٢ - سورة هود : الآيات : ٣٢ - ٣٤

بأن قد جادلنا أي جاريقتنا ، واستعجلوا العذاب الذي حذرهم —
 إياه من خلال دعوته لهم كما في قوله تعالى :
 " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ " (١)
 وفي موضع آخر " إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ " (٢) حتى أنه
 قال لهم ، ولا ينفعكم نصحي بدعوتكم إلى توحيد الله ، والتحذير من
 العذاب ، إن كان يريد أن يغويكم ويدمركم فهو ربكم .

إلى هذا الوقت لم يكن نوح عليه السلام يعلم بمستقبل قومه
 وما هم صائرون إليه ، هنا انتهى نوح عليه السلام من تحذير قومه ،
 آنذاك أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، فلا تبتش
 مما كان من إعراضهم وسوء صنيعهم .

ثالثاً :- ما جاء في دعائه على قومه بقوله :
 " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَصِلُوا عِبَادَكَ
 وَلَا يُلِدُّوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ " وقوله كفاراً أي أن الكفر
 واقع منهم ، وقد حكم أيضاً عليهم بالكفر ولا يكون ذلك الحكم
 بكفرهم إلا أن يكون قد علم بذلك ، وإذا قيل كيف علم بذلك ؟ يقال :
 عرف ذلك بطريق الحال وطريق المقال :

أما طريق الحال : ذلك أن نوحاً قد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً
 فما وجد منهم إلا الإعراض والكفران .

١ - سورة نوح : الآية ١

٢ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٥٩

وبطريق المقال : وذلك حين أوحى الله عز وجل إليه بأنه لن
يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

وبهذا يكون دعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك عَقِبَ أن
أوحى إليه تعالى أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، فلمَّا
يَتَسَنَّ من إيمانهم بهذا الإيحاء ، دعا عليهم ليخلص المؤمنين معه
من إيذائهم ، والله أعلم .

...

المبحث الرابع : أمره بمنع السفينة ، و ردود الفعل على قومه :-

بعدما دعا نوح عليه السلام على قومه ، واستجاب الله سبحانه وتعالى له ، وعرفه وجه إهلاكهم ، وألهمه سبحانه وجه خلاص من

آمن معه ، فقال تعالى : « وَأَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٧﴾
وَصْنَعُ الْفُلَ وَكُنَّا مَرَعَايَهُ مَلَأْنَا مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَرَفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ » (١)

وأمره له سبحانه وتعالى بمنع الفلك هو أمر إيجاب ، وذلك لأنه لا سبيل لمؤمن نفسه والذين آمنوا معه من الهلاك من الطوفان إلا بهذا الأمر ، وصون النفس واجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . (٢)

لهذا أمر عليه السلام بمنع السفينة ، " واصنع الفلك بأعيننا " أي ترعناك أعيننا ، كأن لله أعينا تكلؤه وتحفظه لئلا يزيغ في منعه عن الصواب وبمراي من الله تعالى وبالكيفية التي علمها له سبحانه وتعالى . (٣)

ولما بدأ عليه السلام في صنع السفينة كان يعملها في برية - أرض يابسة - في أبعد موضع عن الماء ، فكانوا يتضحكون منه ويقولون له : يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً . (٤)

١ - سورة هود : الآيات : ٣٧ - ٣٩

٢ - انظر : غرائب القرآن : النيسابوري : ج ١١ ، ص ٢٥

٣ - انظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٤٤٤ : الجواهر في تفسير القرآن الكريم : ج ٦ ، ص ١٣٩

٤ - انظر : مدارك التنزيل : النسي : ج ٢ ، ص ٥٩ ، الجواهر في تفسير القرآن : الجوهري : ج ٦ ، ص ١٣٩

وهكذا تنساب ألفاظ السخرية منهم كما حدث وأن كذبوه من قبل ، يعودون لمثل هذا التهكم مرة أخرى ويهزؤون به ويكذبون بما يتوعدهم به من الغرق . (١)

...

١ - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج ٢ ، ص ٤٤٥

المبحث الخامس : وقوع الطوفان ونهاية قومه :-

لما أتم نوح عليه السلام منع السفينة ، جعل الله سبحانه وتعالى له علامات بدء الطوفان، وهو فوران التنور ، كما فى قوله تعالى :
 " حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَ الْأَمْنِ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَاءَ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ " (١)

ولما جاء أمر الله تعالى الموعود بالطوفان ؛ حيث جعل المولى عز وجل فوران التنور علامة وموعدا لهلاك قوم نوح عليه السلام ؛ فار الماء من التنانير التى هى مكان النار وصارت تفور ماء ؛ وهذا هو قول جمهور الخلف والسلف . (٢)

فاذا ظهرت هذه العلامة : أمره تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من النبات والحيوان ، ومن آمن معه ، وقال للذين آمنوا معه اركبوا فيها . وحال استوائهم في الفلك ، قال لهم : اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ، وفى ذلك توجيه القلوب لله تعالى : بقوله :
 " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبَهَا وَمَرَسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ " (٣)
 وبقى نوح عليه السلام والذين آمنوا معه في السفينة إلى ما شاء الله لهم من الوقت ، ولا يوجد دليل جازم بمدة الوقت الذي قضاه نوح عليه السلام

١ - سورة هود : الآية ٤٠

٢ - مدارك التنزيل : النسي : ج٢ ، ص ٥٣ ، تفسير القرآن العظيم : ابن كثير : ج٢ ، ص ٤٤٥ ، الجواهر في تفسير القرآن : الجوهري : ج٦ ، ص ١٣٩ : الأساس في التفسير : سعيد حوى : ج٥ ، ص ٢٥٥٧ ، مختصر تفسير ابن كثير : ج٢ ، ص ٢٢٠

٣ - سورة هود : الآية ٤١

وقومه في السفينة حيث اختلف المؤرخون في مدة بقائهم فيها .
ولمّا قُضِيَ الوقت المقدّر ، كان أمر الله تعالى بإرساء السفينة على الجودي . (١)

وبهذا تنتهي القصة بهلاك الكافرين ، وبنجاة نوح عليه السلام
ومن معه من المؤمنين ، فقد رجعت دولة التوحيد مره أخرى ، وزالت
عبادة الأصنام من على الأرض ، وأما بالنسبة للمدة التي قضاها نوح
في قومه بعد الطوفان ، فلا يعلمها إلا الله تعالى . إلا أن التوحيد
بقي في قومه من بعده مدة طويلة لا يعلم مداها إلا الله تعالى حتى
عادت عبادة الأوثان مره أخرى بتزيين الشيطان لضعاف النفوس . وكيف

لا وقد أخذ الشيطان العهد أمام الله تعالى بقوله :
" لَا فَعْدَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُ لِبَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ " (٢) ويظهر هنا سر

العداء بين الشيطان وبنى آدم وأنه أقسم لرب العزة أن يغويهم ويقعد
لهم كل صراط مستقيم ليخرجهم من رحمة الله تعالى التي حرّم الله
منها حرمة أبدية ، وكان له ما كان من غواية الناس وإخراجهم من
عبادة الله إلى عبادة غيره ، فوقعوا في الشرك مرّة أخرى ، ومن هنا
كانت حكمة إرسال الأنبياء من بعده ليعيدوا الناس إلى جادة الطريق .

١ - الجودي : اسم جبل قيل في الموصل : انظر مدارك التنزيل : النسفي : ج ٢ ، ص ٥٨ ،
الجواهر في تفسير القرآن الكريم : الجوهري : ج ٦ ، ص ١٤٠

٢ - سورة الأعراف : جزء من الآية ١٦ ، والآية ١٧

المبحث السادس : سَنَةُ الْإِبْتِلَاءِ :-

الإنسان قد يبتليه الله عز وجل في أقرب الناس إليه ، يبتليه في إخوانه وقد يبتليه في أصدقائه وقد يبتليه في نفسه ، ولكن إذا ما وجد ممن حوله من يرعاه ويؤازره ويهون عليه مصيبته ، فإن هذا يرفع بعض الجهد عنه ، كما كان من شأن الحنون خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان منها إلا أن تَصْبِرَهُ وتؤازره وتخفف عنه البلاء بأطيب الكلام . أما أن يُبْتَلَى أيضا في أهله بجانب قومه فهي مصيبة كبرى لا يقوى عليها إلا الجلود . فقد ابتلى نوح عليه السلام بأهله بجانب قومه فلقد كانت زوجته كما ذكر ، تدل القوم عليه وعلى المؤمنين ممن معه وتسفّه فلا يجد الراحة لافي بيته ولا خارجه ، كما ابتلى كذلك في ابنه فلذة كبده ، فلقد ظل مشركاً ، وقد رآه نوح عليه السلام يغرق أمام ناظريه مع الكفار ، هذا إلى جانب ما تحمله عليه السلام من منوف القهر والعذاب من قومه . لهذا كانت آيات القرآن الكريم تصفه بأنه كان من الصابرين . ولقد أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يتأسى بالصبر مثله لما كان منه عليه السلام من بالغ الصبر على قومه .

وكما يتم خلق الإنسان في أطوار متتالية لا يسبق منها الطور الطور الآخر ، نظفة، فعلقة، فمضغة، فطفلاً، فشاباً، فكهنلاً ، ثم يلقي ربه ومن ثم يكون الحساب ، وهذه أطوار لا يسبق أحدها الآخر كما في قوله تعالى :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَرْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
ءَاخِرًا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَيْتُونَ ﴿١٧﴾ » (١)

ثم تبدأ المرحلة الأخرى مرحلة الاجتماع لإعلان النتائج كما في قوله :
« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ
فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ
وَجِئْتُ بِالْبَيْتِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ » (٢)

وتليها مرحلة ظهور النتائج كما في قوله تعالى :
« وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ
لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ
ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوَٰئِدُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ » (٣)

وهكذا تنتهي هذه المسيرة من كون الإنسان نطفة إلى أن يلقى الله

عز وجل .

١ - سورة المؤمنين : الآيات : ١٢ - ١٥

٢ - سورة الزمر : الآيات : ٦٨ - ٧٠

٣ - سورة الزمر : الآيات : ٧١ - ٧٣

كذلك حياة الداعية لابد لها أن تمر بمراحل متتالية ولا يكون الداعية ناجحاً إلا إذا مر بهذه المراحل ، فإما أن يجتازها برعاية الله وعنايته فيفوز ، وإما أن يوقع به الشيطان فيحيط عمله والعياذ بالله . (١)

إن مسيرة الدعوة إلى الله تعالى تبدأ ببدء رباني كما في قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " (٢)

ومن ثم تأتي مرحلة الاستجابة عندما يلمس ذلك النداء الرباني قلب المؤمن " رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّعْ الْآبِرَارِ " (٣)

ثم يأتي بعد ذلك الميثاق " وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " (٤)

ولابد لهذا الميثاق من بيعة أمام يدي الرب لقوله : " إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِهُ اللَّهُ فَمَا لِيُبَدِّلَ أَجْرًا عَظِيمًا " (٥)

وبعد ما تتم هذه البيعة يكون تلقي الله عز وجل لهذا العبد : " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا " (٦)

١ - وبشر الصابرين : زياد أبو غنيمه : الطبعة الثالثة : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٨ ، ص ١٣

٢ - سورة الأنفال : الآية ٢٤

٣ - آل عمران : الآية ١٩٣

٤ - سورة المائدة : آية ٧

٥ - سورة الفتح : الآية ١٠

٦ - سورة الفتح : الآية ١٨

ومن ثم يبدأ طريق الدعوة بالعمل داخل ميدان فيح . فليست الدعوة فقط هي خطب ومحاضرات وندوات ، إنها تشمل كل عمل أو قول يسهم في نشر دين الله عز وجل فهي إلى جانب كونها قصة ومقالة ودرس ، وبذل للنفس وللنفس ، وإغاثة للملهوف ، وانتصار للمظلوم ، وكل عمل يؤدي إلى خير ، ويمنع عن شر ، فالدعوة إذن هي سنام كل خير ، ومفتاح كل فضيلة ، وعندئذ يتم العمل في الميدان والمبايعة مع الله عز وجل .

فالمشتري فيها رب العزة والجلال ، والسلعة فيها جنة الخلد والرضوان ، والبائع فيها كل مؤمن ومؤمنة لصاحب السلطان ، والضمن فيها النفس والمال ، والميدان : كل عمل أو قول يسهم في نشر كلمة الله واعزاز لدين الله تعالى في كل مكان ، كما في قوله : " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِلَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ " (١)

وعندما تنعقد هذه الصفقة ويوفق البيع ، عندها تصبح هذه الصفقة عهداً ،

وينطلق نداء رباني جديد كما في قوله :

« وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ » (٢)

١ - سورة التوبة : الآية ١١١

٢ - سورة النحل : الآية ٩١

وهنا يجد المؤمن نفسه في محطة ذات مفرق طريق كل مفرق يؤدي
إلى طريق :-

الأول: سبيل الوفاء بعهد الله .

الثاني: سبيل النكوص عن عهد الله .

وفي هذه المحطة يكون جلاء المؤمنين فإما أن يكونوا ممن قيل فيهم :
" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " (١)

وإما أن يكونوا ممن قيل فيهم : " إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (٢)

وهنا وبعد تمام هذه المراحل تأتي مرحلة التمحيص والتنقيب ليتم
إختبار الصادقين لقوله : " وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ " (٣)
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ " (٤)

وهنا تبدأ مرحلة الإبتلاء وسنته؛ فلا يكون هذا التمحيص والإمتحان
إلا به . لذا كان لابد لكل داعية أن يمر بهذه المرحلة ليعلم الله الصادقين

١ - سورة الاحزاب : الآية ٢٣

٢ - سورة آل عمران : الآية ٧٧

٣ - سورة آل عمران : الآيتان ١٤١ - ١٤٢

منهم ، فالإبتلاء بالنسبة للمؤمن نصر من الله تعالى ، فهو كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه لأهلكته أو أنقمت ثوابه وأنزلت درجته . (١)

أنواع الإبتلاء :-

ولما كان الإبتلاء سنة من سنن الله عز وجل في خلقه فإنه يقع إما في أفراد وإما في جماعات :

الإبتلاء الفردي : هذا النوع من الإبتلاء يقع على نفس الفرد من الله تبارك وتعالى وحده دون أن يكون أثر للصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، (٢) كما أن يبتلي الله تعالى الإنسان في أهله وماله ونفسه ولده وقد وقع نوح عليه السلام في مثل هذا الإبتلاء .

الإبتلاء الجماعي : وهذا النوع يكون نتيجة الصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وهذا الإبتلاء حاصل على مر السنين والأزمان ، منذ أن أرسل الله نوحاً عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سبحانه ، ليميز الخبيث من الطيب . فأولياء الله عز وجل يدعون إلى توحيد الله تعالى وإلى تحكيم شرع الله ، وتحرير الناس من العبودية إلا لله عز وجل .

وأولياء الشيطان يخشون ذلك التوحيد والتحكيم والتحرير . فهم يسعون أن لا يكون لله ذلك . فإنه إن كان لله تمام الحакمية والسلطان ، نزع سلطانهم وإمّيازاتهم لذلك فهم يدركون مدى خطوره أولياء الرحمن

١ - حكمة الإبتلاء : ابن القيم الجوزية : الطبعة الثالثة : القاهرة : دار الكلمة الطبية : ١٤٠٧ ، ص ٤٠

٢ - الإبتلاء في المحن والدعوات : محمد أبو فارس : الطبعة الأولى : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٧ ، ص ٢١

عليهم قيِّدْ أَوْ يَحَارِبُونَهُمْ وَيَقَاوِمُونَهُمْ بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ قُوَّةٍ وَيَبْقَى الصِّرَافُ
قَائِمًا ، وَمَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى ؛ فَهَذَا هُوَ طَرِيقُ جِهَادِهِمْ
وَهِيَ مَحَنَةٌ ، ابْتِلَاءٌ لَهُمْ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْقَدِيرَ أَنْ يَهَبَنَا الصَّبْرَ وَالشَّيْثَاتِ .

• • •

المبحث السابع : السنن العامة في صبر الرسل والمؤمنين على اضطهاد الجاهلية :-

لكي يؤدي الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى رسالتهم ودعوتهم على وجهها الأكمل ، رزقهم الله تعالى صبراً على الإيذاء ، وجلداً على الخماص كما وسع لهم في رقعة أحلامهم ، وهد لهم في حبال رجائهم ، ذلك لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وللمن كفر عذر بعد الأنبياء .

ولما كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى الله مشتركة بأمل واحد وهو : " يَقْرَأُونَ آيَاتِهِ لِيُذَكِّرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا " (١) فقد امتازت دعوتهم جميعاً عليهم السلام بنن عامة تحملوا من أجلها بالغ العناء وصبروا على اضطهاد أقوامهم لهم .

١ - السنة العامة للدعاة إلى الله عز وجل قاطبة أنهم في نظرهم إلى جلال الله سبحانه وتعالى تتضاءل في أعينهم شخوص المخلوقين ويذوب ما ينسب إليهم من بأس وإرهاب كما في قوله تعالى :
 " مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا " (٢) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا " (٢)

٢ - الأنبياء واضعون في رسالتهم ، وليس في دعواتهم جانب غامض أو غرض مستور ، بل تتسم دعوتهم ببساطة العرض وسهولة الفكرة ورقة الإخلاص

١ - سورة هود : جزء من الآية : ٦١

٢ - سورة الأحزاب : الآيتان : ٣٨ - ٣٩

و صدق النصيحة وقوة التوجيه ، ووضوح دعوتهم إلى الله والإعداد للقاء الله تعالى وهذا ما ظهر جلياً في دعوة أول رسل الله لقومه حين طالبوه بإبعاد أراذل القوم من هذه الدعوة وتخصيمهم بها ، فقال لهم : " إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ " (١)

٣ - ما كان منهم عليهم السلام من التحلي بالصبر ، لما للحق من نصر مبين كما في قوله : وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ " (٢) ومن قبل كان النصر لنوح عليه السلام " وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْبَاجِبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَحْنُ لَهُ وَأَهْلُهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَاهُ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي أَلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ " (٣)

وهكذا كان جزاء صبرهم نصر من الله القدير ، وكان لهم هذا النصر جزاء ما قاموا به من عظيم المهام بأن عمدوا إلى محاربة الخرافة الأولى في فكر الإنسان من تقديس الأصنام وتعظيمهم لها . فكانت دعوتهم عليهم السلام تقتضي فتح البصائر المغلقة حتى تعرف ربها وتوحده في العبادة وفي وحدة الحاكمية له عز وجل . (٤)

٤ - دعوة الانبياء جميعاً عليهم السلام تعرض صور الجهد المضني والعناء المرهق والصبر الجميل ، والإصرار الكريم من جانب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لهداية البشرية الضالة العنيدة وهم جميعاً لا مملحة

١ - سورة الشعراء : الآية ١١٣

٢ - سورة الصافات : الآيات : ١٧١ - ١٧٣

٣ - سورة الصافات : الآيات : ٧٥ - ٨٠

٤ - انظر : مع الله : محمد الغزالي : ٨٠

لهم ولا أجرا يتقاضونه على هذا الجهد إلا أنهم يرجون رحمة الله تعالى لقولهم : " **إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** " .

وهكذا يتراءى أمام أعيننا ما كان من جلد الأنبياء وصدق تحملهم لأعباء الدعوة ، نجد أن نوحاً عليه السلام مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى ويلاقى عناء العذاب منهم حتى أنهم كانوا يضربونه ويلفونه بحمير ويرمونه خارج الدار ظناً منهم أنه قد مات ، ثم يفيق من غيبوبته ، ويقتل ويخرج لقومه ويدعوهم ثانية ، ثم يدعوره قائلاً " رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ^(١) " ، وإبراهيم عليه السلام وضع في النار ، وخرج موسى عليه السلام من مصر خائفاً يترقب ، قال : " رب نجني من القوم الظالمين " ، وحاول اليهود قتل عيسى عليه السلام ولكن الله رفعه إليه . ومحمد صلى الله عليه وسلم وما لاقاه من أصناف العذاب والمكائد من قريش واليهود معاً فقد خرج إلى الطائف ومن ثم إلى المدينة مجاهداً لإعلاء كلمة الله . كل هذه الأمور ضريبة للدعوة إلى الله تعالى . لان الداعية يخرج على مألوف الناس ويدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله . وها هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد خصها المولى عز وجل بفضل من عنده وقد اشترط لهذا الفضل وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتجلى هذا في قوله تعالى :

" **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** " ^(٢)

١ - قال عبد الله - وهو ابن مسعود - " كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه . وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . فتح الباري : ابن حجر ج ٦ كتاب الأنبياء : ص ٥١٤ . أنظر ص ٥٢١ . صحيح مسلم : النووي : ج ٦ كتاب الجهاد : ص ١٥٠ باب غزوة أحد .

٢ - سورة آل عمران : الآية ١١٠

ولهذا النداء الرباني كانت بارقة أمل حيث خرج الدعاء في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر مبادئ التوحيد الخالص متحمليين في ذلك أشد أنواع البلاء، وهم مؤمنون بدعوتهم لأن الراعي منهم قائد فكره ، وحامل مشعل، ورسول إصلاح، وزعيم حركة تغيير ، لهذا يتحمل الداعية إلى الله قوة تغيير المألوف . لما ورد في الحديث عندما سئل عليه الصلاة والسلام : (أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) الحديث (١) ولهذا حكمة بليغة عند الله تعالى حتى يميز الخبيث من الطيب والكاذبين من الصادقين رغم خلاف صور العذاب وأساليبه الكثيرة .

فعلينهم أن لا يتزعزعوا ولا يتضرعوا من المحن والمعائب بل يتلقوها في صبر وثبات، إيماناً منهم بنصر الله ، وقد قال تعالى :

« الْمَرْءُ أَحْسِبُ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾ » (٢)

وهذه هي سنة الله في خلقه ، قال تعالى :

« أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَرَزِلْوا أَعْيُنُهمْ وَالرُّسُلُ يَقُولُ الْبَاطِلُ الْبَاطِلُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُمُ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَمَقُوا اللَّهَ فَأَنزَلْنَاهُمْ رِجَالًا ﴿٢٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَهُكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ » (٣)

بلى إن نصر الله قريب ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وهكذا تتحقق سنة الله من وجل في خلقه وسنة الابتلاء، ليميز الذين صبروا من غيرهم ، وليعلم الذين كفروا أى منقلب ينقلبون .

١ - الترمذي : كتاب الزهد : باب في الصبر على البلاء : رقم الحديث ٢٥٠٩ ج ٤ ،

٢ - سورة العنكبوت : الآيات ١ - ٣ ص ٢٨

٣ - سورة البقرة : آية ٢١٤

المبحث الثامن : دلالة القمة لحاضر الدعوة الإسلامية :-

الناظر في قمة نوح عليه السلام يجد أنها عالجت قضية هامة كبرى وهي بناء العقيدة السليمة .

ذلك أن كل الانحرافات التي تعانيها البشرية متمثلة في سلوكها أفراداً وجماعات، راجعة إلى الانحراف في التصور العقدي . فالبشرية في وقتنا الحاضر بحاجة إلى بناء العقيدة من جديد ، وإلى تصحيح التصور الاعتقادي وفق ما أمر الله به الجيل القرآني الأول من مصدر الدعوة الإسلامية ، فلا بد من تصحيح معنى الألوهية ، وتوجيه اعتقاد أفراد الله سبحانه وتعالى في الربوبية الحاكمة الخالقة لتستقر عظمة الله عز وجل في الأعماق . وهذه أهم قضية عالجها الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم ، وهي ما ينبغي أن توجه إليه الأنظار وتستقر إليه الأنفهام . ولا يكون هذا إلا بغرس هذه العقيدة في أعماق القلب وتعمدها منذ الصغر .

وهذا ما كان من شأن دعوة الأنبياء عليهم السلام . فإثنا إذا نظرنا آيات القرآن الكريم وتتبعنا مناسبات نزولها لوجدنا أهم ما أعتنت به تثبيت العقيدة في نفوس الرعييل الأول، ونجدها متتالية دون أي تشريع فيها . وقد استغرقت من مدة دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاماً كاملاً . من أجل تثبيت هذه العقيدة في نفوسهم

لتفادي أمور الإشراك الواقعة آنذاك وقد قال تعالى :

" وَفَرَّقْنَا بَيْنَهُمْ لِنُقَرِّدَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ^(١) " .

بهذه الصورة كان نزول القرآن الكريم مفقداً ليقراً على مهل في الزمن الطويل الذي قضي في الدعوة إلى الله ، وقد قال سيد قطب رحمه الله في ذلك [لقد جاء القرآن الكريم ليربي أمةً و يقيم لها نظاماً ، فتحمله البشرية إلى مشارق الأرض ومغاربها ، إلى أن قال .. جاء ليكون منهجاً عملياً يتحقق جزءاً جزءاً في مرحلة الإعداد ، لا فكرياً نظرياً] (١) وهذه هي سنة الله في خلقه : فقد كانت دعوة نوح عليه السلام تركز على توحيد الله عز وجل في الألوهية والربوبية ، واستمر يدعو إلى هذا زمناً لم يكتب لنبي من الأنبياء ، قضاها دائماً في الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، وهذا ما ينبغي أن يدركه دعاة اليوم من توجيه طاقاتهم وجهودهم في تثبيت العقيدة في نفوس المدعوين . فانهم متى ما استقر في أنفسهم أن لا إله إلا الله رباً و حاكماً و مليكاً كان من السهل الإذعان لباقي تكاليف الشريعة والعمل بها . فإننا نجد بعض دعاة اليوم يهتمون بظاهر أمور الشريعة دون ما يحقق باطنها . ولكن ماذا عساها تكون النتيجة إلا كبنيان إنهار لأول اختبار في الدين ، ذلك لأنه لم تدعم أسسه وقواعده على ما يجب . فالداعي ينبغي عليه أولاً أن يخلص نفوس البشرية من أدران الوثنية المعلقة بها بمختلف أشكالها ، وتوجيه الأمر لله عز وجل ، ومن خلال هذه الدعوة يكون التكليف بأركان الشريعة . فإذا ما كان هذا ، كان من السهل بعد ذلك أن تبحث النفس في كنوز الشريعة باطنها وظاهرها ، وتجد بالعمل به والبحث عنه . ولا يكون هذا للداعي إلا من بعد إيمانه بفرضية الدعوة إلى الله عز وجل وفق هذه الأسس والعمل بها أولاً وقبل كل شيء .

وهكذا نجد أن دلالة القصة لحاضر الدعوة الإسلامية اليوم تندرج

في أمور :-

أولاً :-

بيان أن السيادة الكاملة والحاكمية المطلقة والنفوذ الأعلى في أمور الحياة

هي لله وحده لا شريك له كما في قول نوح عليه السلام لقومه :

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾
أَنِ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ " (١)

وهذا ما يجب أن تتمسك به البشرية هذا اليوم وإلا فإن كان حكمها بغير
ما أنزل الله فلمن يكون ؟؟؟ فربانية هذه العقيدة هي منهاج المسلم
إلى يوم الدين • بهذا وجب قيام صرح الشريعة الإسلامية لأنه الوحيد
الذي يكفل سعادة الإنسان في الدارين •

ثانياً :-

إن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان هي العبودية الكاملة لله تعالى

كما في قوله : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ " (٢)

وعبوديته تعالى تتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب ب

و الجوارح •

١ - سورة هود : الآية ٢٥ - ٢٦

٢ - سورة الأعراف : جزء من الآية ٥٩

ثالثاً :-

الناس جميعاً سواء أمام الحقوق الانسانية و حرية الفكر و الدين و قد ظهرت عبر الآيات القرآنية الكريمة " فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَابِدُوا لِرَأْيٍ " (١) وقالوا " قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٣﴾ " (٢) فمقيار العز و الشرف لا يكون بفارق الطبقات الاجتماعية ، وإنما يكون ذلك بالتقوى و مدى الالتزام

بأمور الإيمان ، و قد قال نوح عليه السلام لقومه :

" قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٧﴾ " (٣)

رابعاً :-

أن القاربة الحقّة هي القاربة الدينية لا القاربة النسبية ، فقاربة النسب لا مكان لها ولا إعتبار بجانب القاربة الدينية و قد أوحى لنوح عليه السلام بهذا في شأن ابنه الكافر كما في قوله : " قَالَ يَسُوخُ إِنَّمَا يُنْفَخُ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ " (٤)

خامساً :-

الداعي الى الله تعالى يتحمل المشاق وأنواع البلاء ، لا يبتغي في ذلك رفعة في الشأن أو قدراً من المال ؛ بل يبتغي الأجر من الله تعالى وأن تكون الحاكمية لله عز وجل ، وأن يطبق الدين الخالص لله ، وكل رسول جاء يقول لقومه :-
يَقْرَمِ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

١ - سورة هود : جزء من الآية ١٢٢

٢ - سورة الشعراء : الآية ١١١

٣ - سورة الشعراء : الآيات ١١٢ - ١١٥

٤ - سورة هود : جزء من الآية ٤٦

٥ - سورة هود الآية ٥١

(٢٢٩)

الخاتمة

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، والصلاة والسلام على سيدنا محمد واجزه اللهم بما هو أهله .

وأشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعده .

لما كان خلق الإنسان مشرفاً ، و قد أودعه الله عز وجل فطرة التدين ، ولما كان منشأ الشرك هو إحتيال الشياطين ، لذا كان إرسال الرسل ليعيدوا من ضل إلى سواء السبيل ، ولما كان البحث دائراً حول هذا الموضوع فقد توصلت الباحثة بحول الله إلى النتائج العامة التالية :-

أولاً : إن دعوة نوح عليه السلام هي أولى الرسالات السماوية التي دعت إلى إثبات الوجدانية لله عز وجل وفي ذلك إثبات أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل تضمن أمرين :-

الأول : توحيد الطلب والقصد : وهو أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له .

الثاني: توحيد الإثبات والمعرفة : وذلك بإثبات الوجدانية لله تعالى .

ثانياً : إثبات نبوة نوح عليه السلام والأدلة على أنه أول رسل الله إلى أهل الأرض وأنه أول من أوحى إليه بتشريع وأمر بتبليغه، وأنه أول من أنذر قومه بعذاب يوم القيامة، وأن الله تعالى قد امتن عليه بأن خصه بالمشاق بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا إثبات أن دعوته عليه السلام بينت أصول العقائد عامة .

ثالثاً : لقد سلك نوح عليه السلام في دعوته طرق الدعوة وأساليبها وأنها كانت بمثابة طريق الهداية للرسالات اللاحقة بها .

رابعاً : سلوك جميع الجاهليّات من حيث التشهير بالرسول ومحاولة تشوية سمعتهم جاهدين في ذلك بكل ما آوتوا من قوة لعل هذا يوقف من ركب الدعوة ، وإذا لم يفلحوا بالتشهير أخذوا بالبطش والتنكيل .

خامساً : بيان موقف الجاهلية الدائم والمتكرر من قضية التوحيد وهو رفض دعوة لا إله إلا الله على مر السنين إلا من رحم الله من المستضعفين ، مع وضوح السبب الرئيسي في رفض القوم لإقرار بلا إله إلا الله ، ذلك لخوفهم من أن تتصدع عروشهم وأن يفقدوهم سلطانهم الذي يتألهون به على العبيد .

ومن خلال هذه النتائج العامة تحققت النتائج الجزئية التالية :-

١ - أن كل رسول جاء يدعوا قومه قائللاً " اعبدوا الله ما لكم من إله غيرّه " وفي هذا إخلاص محض للألوهية والربوبية لله تعالى مع بيان أن ليس كمثله شيء .

٢ - موقف الأقوام من توحيد الربوبية على مر السنين موقف الإقرار بربوبيته سبحانه إلا أنهم أشركوا معه في العبادة .

٣ - أن مجمل الإيمان بالأسماء والمقامات هو الإيمان بما وصف الله عز وجل به نفسه وما علمه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزله في كتابه من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل .

٤ - ما كان من إثبات عممة الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة وبعدها وأنهم معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها .

٥ - بيان أن نوح عليه السلام ما دعى على قومه بالهلاك إلا بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

٦ - إثبات أبوة نوح عليه السلام لإبنه وأنه أبنة من صلبه وأن خيانة امرأته عليه السلام كانت خيانة في الدين حيث كانت تدل الناس عليه وتقول إنه مجنون .

٧ - إثبات أن الملة الحقيقية هي صلة الدين ، وأنه بجانب هذه الملة لا إعتبار لملة القرابة . وأن المؤمنون إخوة في الدين وإن اختلفت أنسابهم .

٨ - الإيمان بالبعث حقيقة وأن نوح عليه السلام أنذر قومه من عذاب هذا اليوم في مواضع متعددة .

٩ - بيان أن الدعاء لله تعالى يأتي على أربعة أوجه :-

١ - يأتي بمعنى التوحيد و الثناء على الله تعالى .

٢ - يأتي بمعنى طلب العفو و الرحمة ويكون ذلك بالتوبة إلى الله تعالى .

٣ - يأتي بمعنى العبادة ذلك أن الدعاء إعراف بكامل العبودية لله تعالى .

٤ - يأتي بمعنى قضاء الحوائج .

١٠ - بيان أن لكل نبي دعوة مستجابة وأن من فضل الله عز وجل

على المسلمين أن جعل رسوله صلى الله عليه وسلم يختبئ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة .

١١ - بيان أنه لا يجوز الدعاء على كافر بعينه ، كقول اللهم اللعن فلانا ، إلا أنه يجوز لعنهم والدعاء عليهم إجمالاً .

١٢ - بيان أهمية الربط بين الاستغفار وفتح أبواب الخير ، وأن نوحاً عليه السلام طلب من قومه الاستغفار بعدما جاءوا يشكون إليه حالهم .

١٣ - ما كان من إثبات حكم الصور و التماثيل في الشريعة الإسلامية ولما كانت الصور سبباً لظواهر أدت فيما بعد إلى عبادة الأوثان ، لهذا جاءت كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة بتحريم تصوير كل ذي روح .

١٤ - بيان ما يباح من الصور و التماثيل وذلك ككل صورة ليست متصلة الهيئة ويستثنى من ذلك لعب البنات، لما في ذلك من تدريب النساء في مفرهن لأمر أنفسهن .

إلى جانب ما جاء من تجويز بعض الصور الفوتوغرافية بما يخص الأحوال المدنية خاصة مع بيان حكم التصوير بكاميرا الفيديو و التلفاز و أن حكمها حكم استعمالها .

١٥ - بيان أن الشرك الذي وقع في بني راسب كان في عهد الجد الرابع لنوح عليه السلام وهو مهلائيل ، وأن المدة التي كانت بين آدم ونوح عليهما السلام هي عشرة قرون كلهم على الإسلام .

١٦ - بيان لبعض الصفات التي اتصف بها نوح عليه السلام ، وأنه قد أكرمته المولى وسماه عبداً شكوراً ، ووفقه بالهداية وصلاح ، و أمطفاه بالرسالة الأولى ، وأوتي قوة في الإرادة والصبر والإخلاص في دعوته ، إلى الله سبحانه .

١٧ - لقد سلك نوح عليه السلام في دعوته شتى طرق الدعوة وأساليبها، سالكاً في ذلك كل السبل من دعوة في الليل والنهار، والسر والجهر، ووجه أنظار قومه إلى بديع خلق السموات والأرض . و الأنفس ليصل معهم بذلك، إلى أن المتصرف بكامل الخلق جدير بأن توجه إليه العبادة وحده لا شريك له .

١٨ - أن الله سبحانه وتعالى يبتلى عبادة المؤمنين للتمحيص والإختبار . وأن مرور الداعية إلى الله بمرحلة الإبتلاء طور أساسي في حياته ، وقد عبر عن ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما سئل (أي الناس أشد بلاء قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلواً أشد بلاءه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) .^(١) حن صحيح .

وما كان هذا الإبتلاء الواقع عليهم ينتهي حتى تصفوا نفوسهم و تمحص عقيدتهم ثم يأتي الله بنصره فيدمر الكافرين وينصر المؤمنين .

١٩ - هذه الأمور جميعاً فيها درس عظيم للدعاة من حيث الثبات على دين الله و أمرهم بالتحلي بالمصبر و عدم إستعجال النتائج و التأني في غرس صحيح العقيدة في النفوس و لا تكون له تلك النتائج المرجوه إلا إذا تحرى الإخلاص في العمل و صدق النية مع الله تعالى و ثقته التامة بالله سبحانه و تعالى أنه سينصر المؤمنين حتى و لو بعد حين و أن نصره لآت .

هذا و سبحانه رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

الباحثة

١ - رواه الترمذي : كتاب الزهد : باب المبر على البلاء : ج ٤ ، ص ٢٨ ، رقم الحديث

المراجع

المرجع الأساسي: القرآن الكريم .

" أ "

- ١ - ابن باز : عبد العزيز
: الجواب المفيد في حكم التموير .
: الطبعة الأولى : جدة : دار المجتمع للنشر و التوزيع : ١٤٠٨ هـ
- ٢ - ابن تيمية : شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم المتوفى ٧١٨ هـ .
: تفسير سورة الإخلاص
: صححه وراجعته يوسف شاهين : د ط
: القاهرة : دار الطباعة المحمدية : د ت
٣ - : تفسير لا إله إلا أنت .
: الطبعة الأولى : الهند : بومباي : الدار السلفية : ١٤٠٧ هـ .
- ٤ - : درء تعارض العقل و النقل .
: تحقيق محمد رشاد سالم .
: الطبعة الأولى : الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٣٩٩ هـ
- ٥ - : دقائق التفسير
: تحقيق محمد الجليند
: الطبعة الثانية : بيروت : مؤسسة علوم القرآن : ١٤٠٦ هـ .
- ٦ - : الرسالة التدميرية في تحقيق الإثبات لأسماء الله و صفاته .
د ط : القاهرة : المطبعة السلفية : ١٣٨٧ هـ .

- ٧ - : العبودية .
: الطبعة السادسة : بيروت : المكتب الإسلامي : ١٤٠٢ هـ .
- ٨ - : قاعدة في المحبة .
: تحقيق محمد رشاد سالم .
: د . ط : القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي : ١٩٨٧ م
- ٩ - : مجموع الفتاوى الكبرى .
: د . ط : القاهرة : مكتبة ابن تيمية : د ت
- ١٠ - : منهاج السنة النبوية .
: تحقيق محمد رشاد سالم .
: الطبعة الأولى : الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : ١٤٠٦ هـ .
- ١١ - : النبوات .
: د . ط : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٩٨٢ م
- ١٢ - ابن حنبل : أحمد بن محمد : المتوفى سنة ٢٤١ هـ .
: مسند الإمام أحمد : وبهامشه منتخب كنز العمال .
: سنن الأقوال والأفعال : للمتقي الهندي .
: تقديم : محمد ناصر الألباني .
: د . ط : بيروت : دمشق : المكتب الإسلامي : سنة ١٤٠٣ هـ
- ١٣ - ابن عباس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المتوفى ٦٨ هـ
: تنوير المقياس : تفسير ابن عباس
: على حاشية الدر المنثور لجلال الدين السيوطي .
- ١٤ - ابن عربي : أبي بكر محمد بن عبد الله : المتوفى ٥٤٣ هـ .
: أحكام القرآن .
: د . ط : بيروت : دار المعرفة : د . ت

- ١٥ - ابن كثير : أبو الفداء حافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي : المتوفى ٧٧٤ هـ
: البداية و النهاية .
الطبعة الرابعة : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤٠٨ هـ .
- ١٦ - : تفسير القرآن العظيم .
د . ط : بيروت : دار إحياء التراث العربي : ١٣٨٨ هـ .
- ١٧ - ابن كثير : علي بن أبي كرم محمد بن عبد الواحد الشيباني المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .
: الكامل في التاريخ .
الطبعة الثالثة : بيروت : دار الكتاب : ١٤٠٠ هـ .
- ١٨ - ابن ماجه : أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني : المتوفى ٢٧٥ هـ .
: سنن ابن ماجه .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
د . ط : بيروت : دار الفكر : د . ت
- ١٩ - : سنن ابن ماجه :
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
د . ط مطبعة البابي الحلبي : د . م
- ٢٠ - ابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري .
المتوفى عام ٧١١ هـ .
: لسان العرب .
د . ط : بيروت : دار صادر : د . ت
- ٢١ - أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأسدي .
: سنن أبي داود .
مراجعة و ضبط و تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد .
د . ط : بيروت : دار الفكر : د . ت

- ٢٢ - : سنن أبي داود .
د . م : دار إحياء السنة النبوية : د . ت
- ٢٣ - أبو غنيمه : زياد .
: وبشر الصابرين .
الطبعة الثالثة : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٨ هـ .
- ٢٤ - أبو فارس : محمد عبد القادر .
: الإبتلاء و المحن في الدعوات .
الطبعة الأولى : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٧ هـ .
- ٢٥ - أبي السعود : محمد العمادي : المتوفى عام ٩٥١ هـ .
: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير
أبي السعود .
د . ط : بيروت : دار إحياء التراث العربي : د . ت
- ٢٦ - إسماعيل : شعبان محمد .
: الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع .
د . ط : الرياض : دار المريخ : ١٤٠٢ هـ .
- ٢٧ - إصلاحي : أميين .
: منهج الدعوة إلى الله .
د . ط : الكويت : دار نشر الكتاب الإسلامي : د . ت
- ٢٨ - الألباني : وهي سليمان غاوجي .
: رُكبان الإيمان .
الطبعة الثالثة : د . م : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٤ هـ .

- ٢٩ - الألمعي : زاهر .
: مناهج الجدل في القرآن الكريم .
الطبعة الثانية : د . م : ١٤٠٤ هـ .
- ٣٠ - الألوسي : أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي : المتوفى ١٢٧٠ هـ .
: روح المعاني .
د . ط : د . م : دار الفكر : ١٤٠٣ هـ .
- ٣١ - الأندلسي : أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم .
: الفصل في الملل والنحل .
د . ط : لبنان : دار المعرفة : ١٣٩٥ هـ .
- ٣٢ - : الفصل في الملل والأهواء والنحل .
تحقيق محمد ابراهيم نصير : عبد الرحمن عميرة .
الطبعة الأولى : جدة : مكتبة عكاظ : ١٤٠٢ هـ .

" ب "

- ٣٣ - البغدادي : أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي : المتوفى سنة ٤٢٩ هـ .
: أصول الدين .
الطبعة الثانية : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤٠٠ هـ .
- ٣٤ - البقاعي : أبي الحسن ابراهيم بن عمر : المتوفى ٨٨٥ هـ .
: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .
الطبعة الأولى : وزارة المعارف والشئون الثقافية بالحكومة الهندية ١٤٠٤ هـ .

- ٣٥ - البهوتي : منصور بن يونس بن إدريس : المتوفى ١٠٥١ هـ .
: شرح منتهى الإرادات .
د . ط : بيروت : عالم الكتب : د . ت
- ٣٦ - البيجوري : إبراهيم بن محمد : المتوفى ١٢٧٧ هـ .
: تحفة المريد على جوهرة التوحيد .
الطبعة الأخيرة : د . م : ١٣٥٨ هـ .
- ٣٧ - البيضاوي :
: حاشية شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي : أنوار التنزيل
و أرار التأويل .
د . ط : مصر : دار الكتب العربية : ١٣٠٦ هـ .
- " ت "
- ٣٨ - الترمذي : أبي عيسى بن سورة .
: الجامع الصحيح لسنن الترمذي .
تحقيق إبراهيم عطوة عوض .
د . ط : لبنان : دار إحياء التراث العربي .
- " ث "
- ٣٩ - الثعلبي : أبي اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف
بالثعلبي : المتوفى عام ٤٢٧ هـ .
: قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس .
الطبعة الرابعة : د . م مطبعة مصطفى الحلبي : ١٩٥٤ هـ .

- ٤٠ - الجابي : بسام عبد الوهاب .
: معجم الأعلام : معجم تراجم لأشهر الرجال و النساء .
الطبعة الأولى : قبرص : ١٤٠٧ هـ .
- ٤١ - جاد المولى : وآخرون .
: قصص الأنبياء .
د . ط : لبنان : دار إحياء التراث العربي : ١٣٨٩ هـ .
- ٤٢ - الجرجاني : علي بن محمد : المتوفى عام ٨١٦ هـ .
: التعريفات .
د . ط : بيروت : دار لبنان : ١٩٧٨ م .
- ٤٣ . الجزائري : أبو بكر .
: رسائل الجزائري .
الطبعة الثانية : جدة : دار الشروق : ١٩٨١ م .
- ٤٤ - الجوزية : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم : المتوفى ٧٥١ هـ .
: حكمة الإبتلاء .
الطبعة الثالثة : القاهرة : دار الكلمة الطيبة : ١٤٠٧ هـ .
- ٤٥ - : الداء و الدواء .
د . ط : جدة : دار المدني : ١٤٠٣ هـ .

- ٤٦ - : زاد المعاد .
- الطبعة الأولى : د . م : مؤسسة الرسالة : د . ت .
- ٤٧ - : طريق الهجرتين و باب السعادتين .
- تحقيق عمر بن محمود أبو عمر .
- الطبعة الأولى : الدمام : دار ابن القيم : ١٤٠٩ هـ .
- ٤٨ - : عدة الصابرين .
- الطبعة الثانية : بيروت : دار الكتاب العربي : ١٤٠٦ هـ .
- ٤٩ - : مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين .
- الطبعة الثانية : د . م : دار الكتاب العربي : د . ت .
- ٥٠ - : مفتاح دار السعادة .
- د . ط : بيروت : دار الكتب العلمية : د . ت .
- ٥١ - جوهري : الشيخ طنطاوي .
- الجواهر في تفسير القرآن المضمن على عجائب بدائع المكونات
و غرائب الآيات الباهرات .
- الطبعة الثانية : مصر : مصطفى الحلبي : ١٣٥٠ هـ .
- ٥٢ - الجويني : عبد الملك عبد الله أبو المعالي المتوفى ٤٧٨ هـ .
- الإرشاد .
- د . ط : مصر : مكتبة الخانجي : ١٣٦٩ هـ .

" ح "

- ٥٣ - الحديدي : محمد أبو النور .
: عصمة الأنبياء و الرد على شبه الموجهة إليهم .
د . ط : مصر : مطبعة الأمانة : ١٣٩٩ هـ .
- ٥٤ - حسن : محمود .
: أرار المعاني في أسماء الله الحسنى .
د . ط : الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث : ١٩٨٨ م .
- ٥٥ - الحمامي : ممطفى .
: النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية .
د . ط : د . م : مكتبة الحرم الشريف : د . ت .
- ٥٦ - الحنبلي : أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب
الحنبلي البغدادي ، المتوفى ٧٩٥ هـ .
: أسباب المغفرة .
تحقيق أشرف عبد المقصود .
د . ط : القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي : ١٩٨٧ م .
- ٥٧ - : ثلاث رسائل للحافظ بن رجب الحنبلي .
الطبعة الأولى : الكويت : الدار السلفية : ١٤٠٧ هـ .

- ٥٨ - : جامع العلوم و الحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم .
: د . ط : بيروت : دار المعرفة : د . ت
- ٥٩ - الحنفي : علي بن علي بن محمد بن أبي العز .
: شرح العقيدة الطحاوية .
الطبعة السادسة : بيروت : المكتب الإسلامي : ١٤٠٠ هـ .
- ٦٠ - : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية .
الطبعة الثانية : الرياض : دار المعرفة : ١٤٠٧ هـ .
- ٦١ - حوى : سعيد .
: الأساس في التفسير .
الطبعة الأولى : القاهرة : دار الرشيد : ١٤٠٥ هـ .
- ٦٢ - : الإسلام .
الطبعة الأولى : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٣٨٩ هـ .
- ٦٣ - : جند الله ثقافة و أخلاقاً .
الطبعة الثالثة : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٣٩٩ هـ .

" خ "

- ٦٤ - الخرشي :
: علي مختصر سيد خليل .
د . ط : د . م : دار صادر : د . ت

- ٦٥ - الخطيب : عبد الحميد .
: أسمى الرسائل .
الطبعة الأولى : مصر : مطابع دار الكتاب : ١٣٧٣ هـ .
- ٦٦ - الخطيب : محمد الشرييني .
: مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : على متن المنهاج
لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، من أعلام القرن السابع الهجري .
د . ط : بيروت : دار احياء التراث العربى : د . ت
- " د "
- ٦٧ - دراز : محمد عبد الله .
: دستور الأخلاق في القرآن .
الطبعة الرابعة : بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢ هـ .
- ٦٨ - الدوادي : محمد .
: دعوات الأنبياء و الصالحين في القرآن الكريم .
د . ط : القاهرة : دار الإعتصام : د . ت
- ٦٩ - الديلمي : عبد الوهاب بن لطف .
: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم .
الطبعة الأولى : جدة : دار المجتمع للنشر و التوزيع : ١٤٠٦ هـ .

" ر "

- ٧٠ - الرازي : محمد بن عمر الفخر المتوفى سنة ٦٠٤ هـ . (١)
: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب : المسمى بالفخر الرازي .
الطبعة الأولى : بيروت : دار الفكر : ١٤٠١ هـ .
- ٧١ - : عمدة الأنبياء .
: الطبعة الأولى : القاهرة : مكتبة الثقافة العربية : ١٤٠٦ هـ .
- ٧٢ - : النبوات .
: الطبعة الأولى : و ط : مكتبة الكليات الأزهرية : ١٤٠٦ هـ .
- ٧٣ - الرحباوي : عبد القادر .
: معرفة الله .
الطبعة الأولى : دم : ١٤٠٥ هـ .

" ز "

- ٧٤ - الزركشي : محمد بن عبد الله المتوفى ٧٩٤ هـ .
: معنى لا اله إلا الله .
تحقيق علي داغلي .
الطبعة الثالثة : بيروت : دار البشائر الإسلامية : ١٤٠٦ هـ .

- ٧٥ - الزمخشري : أبى القاسم محمود الزمخشري الخوارزمي المتوفى ٥٣٨ هـ .
: الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل .
الطبعة الأولى : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٧ هـ .

- ٧٦ - زين العابدين : محمد سرور .
: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله .
الطبعة الثانية : الكويت : دار ابن الأرقم : ١٤٠٥ هـ .

" س "

- ٧٧ - اليايى : محمد على .
: تفسير آيات الأحكام .
د . ط : د م : مطبعة المصبيح : د ت .
- ٧٨ - السعدي : عبد الرحمن بن ناصر .
: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .
د ط : المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية : ١٣٩٨ هـ .
- ٧٩ - الكندري : ابن عطاء الله .
: الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد .
د . ط : الأزهر : مطبعة صبيح : د . ت .
- ٨٠ - السمان : عبد العزيز .
: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية .
الطبعة الرابعة : مؤسسة مكة للطباعة و النشر : د . ت .

٨١ - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر المتوفى ٩١١ هـ .

: الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

د . ط : بيروت : دار المعرفة : د . ت .

" ش "

٨٢ - الشاذلي : عبد المجيد .

: حد الإسلام و حقيقة الإيمان .

الطبعة الأولى : مكة المكرمة : جامعة أم القرى : ١٤٠٤ هـ .

٨٣ - الشافعي : شمس الدين محمد بن أبي العباس بن حمزه أبي شهاب الدين الرملي المتوفى ١٠٠٤ هـ .

: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج .

د . ط : بيروت : دار إحياء التراث العربي : د . ت .

٨٤ - شحاته : عبد الله .

: الدعوة الإسلامية و الإعلام الديني .

د . ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٨ م .

٨٥ - شلتوت : محمود .

: الإسلام عقيدة و شريعة .

الطبعة الثالثة عشر : بيروت : دار الشروق : ١٤٠٤ هـ .

٨٦ - الشنقيطي : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني .

: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .

د . ط : بيروت : عالم الكتب : د . ت .

- ٨٧ - : معارج المعود إلى تفسير سورة هود •
الطبعة الأولى : جدة : دار المجتمع : ١٤٠٨ هـ •
- ٨٨ - الشوكاني : محمد بن علي المتوفى ١٢٥ هـ •
: فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير •
د • ط : بيروت : دار المعرفة : د • ت •
- ٨٩ - : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار
د • ط : بيروت : دار الكتب العلمية : د • ت •

" ص "

- ٩٠ - المابوني : محمد علي و مجموعه من العلماء •
: حكم الإسلام في التصوير •
د • ط : جده : مكتبة الضياء •
- ٩١ - : روائع البيان •
: د • ط : د م : دار احياء التراث العربي : د • ت •

" ط "

- ٩٢ - طاحون : أحمد •
: مرشد الدعاة إلى الله •
د • ط : جده : دار المطبوعات : ١٤٠٢ هـ •

- ٩٢ - طيارة : عفيف
: روح الدين الإسلامي .
الطبعة الثالثة والعشرون : بيروت : دار العلم للملايين : ١٩٨٣ م
- ٩٤ - الطبري : ابي جعفر محمد بن جريس ، المتوفى ٣١٠ هـ .
: جامع البيان من تأويل آي القرآن .
د . ط : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٥ هـ .
- " ظ "
- ٩٥ - الظواهري : محمد الحسني .
: التحقيق التام في علم الكلام .
الطبعة الأولى : مكتبة النهضة المصرية : ١٣٥٧ هـ .
- " ع "
- ٩٦ - عاشور : محمد
: التحرير و التوير .
د . ط : د م : الدار التونسية : ١٩٨٤ م .
- ٩٧ - عباس : فضل .
: القصص القرآني .
الطبعة الأولى : عمان : دار الفرقان : ١٤٠٧ هـ .

- ٩٨ - عبد الباقي : محمد فؤاد .
: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
د . ط : بيروت : دار الفكر : د . ت .
- ٩٩ - عبد الجواد : أحمد
: والله الأسماء الحسنى .
د . ط : بيروت : دار الكتب العلمية : د . ت .
- ١٠٠ - عبد الواحد : مصطفى
: الإيمان في القرآن الكريم
الطبعة الأولى : القاهرة : دار الصحوة : ١٤٠٧ هـ .
- ١٠١ - عبد الوهاب : أحمد
: النبوة والأنبياء .
الطبعة الأولى : مكتبة وهبة : ١٤٠٠ هـ .
- ١٠٢ - عزام : عبد الله
: العقيدة و أثرها في بناء الجيل .
الطبعة الثالثة : عمان : مكتبة الأقبى : ١٤٠٠ هـ .
- ١٠٣ - العمقاني : أحمد بن علي بن حجر المتوفى ٨٥٢ هـ .
: فتح الباري .
د . ط : بيروت : دار المعرفة : د . ت .
- ١٠٤ - العيني : أبي محمد محمود بن أحمد المتوفى ٨٥٥ هـ .
: عمدة القاري .
د . ط : د م : دار الفكر : ١٣٩٩ هـ .

" غ "

- ١٠٥ - الغزالي : أبي حامد محمد المتوفى ٥٠٥ هـ .
: إحياء علوم الدين .
تحقيق محمود سعيد ممدوح .
د . ط : بيروت : دار المعرفة : ١٤٠٤ هـ .
- ١٠٦ - : الإقتصاد في الاعتقاد .
الطبعة الأخيرة : د . م : مطبعة الحلبي : د . ت .
- ١٠٧ - : المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .
تحقيق محمد الخشت .
د . ط : القاهرة : مكتبة القرآن : ١٩٨٥ م
- ١٠٨ - الغزالي : محمد .
: مع الله .
الطبعة الرابعة : القاهرة : مطبعة حسان : ١٣٩٦ هـ .
- ١٠٩ - غلوش : أحمد .
: الدعوة الإسلامية .
د . ط : القاهرة : دار الكتاب العربي : ١٩٧٩ م
- ١١٠ - غنام : طلعت .
: أضواء البيان .
د . ط : القاهرة : عالم الكتب : ١٩٧٩ م

" ف "

- ١١١ - الفارستي : علي بن بلبان .
: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان .
تحقيق كمال الحوت .
الطبعة التاسعة : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٧ هـ .
- ١١٢ - الفقهي : محمد .
: قصص الأنبياء .
الطبعة الأولى : القاهرة : مكتبة وهبة : ١٣٩٩ هـ .

" ق "

- ١١٣ - القاسمي : محمد جمال الدين المتوفى ١٢٣٢ هـ .
: محاسن التأويل : المسمى : تفسير القاسمي .
الطبعة الثانية : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ هـ .
- ١١٤ - : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين .
تحقيق عاصم بيطار .
الطبعة الأولى : بيروت : دار النفائس : ١٤٠١ هـ .
- ١١٥ - القرضاوي : يوسف .
: الحلال و الحرام في الإسلام .
الطبعة الثانية عشر : د م : المكتب الإسلامي : ١٣٩٨ هـ .

- ١١٦ - القرطبي : أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المتوفى ٦٧١ هـ .
: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة .
الطبعة الأولى : المكتبة العلمية : د . م : ١٤٠٢ هـ .
- ١١٧ - : الجامع لأحكام القرآن .
: الطبعة الثالثة عشر : دار الكتاب العربي : ١٣٨٧ هـ .
- ١١٨ - القزويني : أحمد بن فارس بن زكرياء : المتوفى ٣٩٥ هـ .
: معجم مقاييس اللغة .
الطبعة الثانية : مصر : مطبعة الحلبي : ١٣٩ هـ .
- ١١٩ - قطب : سيد .
: في ظلال القرآن .
الطبعة التاسعة : القاهرة : دار الشروق : ١٤٠٠ هـ .
- ١٢٠ - : معالم في الطريق .
الطبعة العاشرة : بيروت : دار الشروق : ١٤٠٣ هـ .
- ١٢١ - قطب : محمد علي .
: امرأتان في الجنة و امرأتان في النار .
د . ط : د . م : مكتبة القرآن : ١٩٨٣ م .
- ١٢٢ - قطب : محمد .
: جاهلية القرن العشرين .
د . ط : بيروت : دار الشروق : ١٤٠٨ هـ .

- ١٦٣ - : مفاهيم ينبغي أن تصحح •
الطبعة الثالثة : دار الشروق : ١٤٠٨ هـ •

" ك "

- ١٦٤ - كنجو : خالص •
: الطب محراب الإيمان •
الطبعة السادسة : بيروت : مؤسسة الرسالة : ١٤٠٧ هـ •
١٦٥ - كيلاني : سيد أحمد •
: في موكب النبيين •
الطبعة الأولى : الكويت : دار القلم : ١٤٠٤ هـ •

" ل "

- ١٦٦ - اللالكائي : أبي القاسم بن الحسن •
: شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة من الكتاب و السنة و إجماع
المحابة و التابعين •
تحقيق د • أحمد سعد حمدان •
د • ط : الرياض : دار طيبة : ١٤٠٢ هـ •
١٦٧ - اللقاني : ابراهيم بن ابراهيم المتوفى ١٠٤١ هـ
: جوهرة التوحيد •
على هامش : تحفة المريد على جوهرة التوحيد لابراهيم البيجوري •
الطبعة الأخيرة : د • م : ١٣٥٨ هـ •

- ١٢٨ - محفوظ : علي المتوفى ١٣٦١ هـ .
: هداية المرشدين إلى طريق الوعظ و الخطابة .
د . ط : بيروت : دار المعرفة : د . ت .
- ١٢٩ - محمد : سعيد صادق .
: الأنبياء في القرآن .
الطبعة الأولى : الرياض : دار اللواء : ١٤٠٢ هـ .
- ١٣٠ - المراغي : أحمد مصطفى .
: تفسير المراغي .
الطبعة الثانية : بيروت : دار إحياء التراث العربي : ١٩٨٥ م .
- ١٣١ - مستشرقين : جماعة من العلماء .
: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
د . ط : استانبول : دار الدعوة : ١٩٨٦ م .
- ١٣٢ - المطرفي : عويد .
: آيات عتاب المصطفى .
د . ط : القاهرة : دار الفكر : د . ت .
- ١٣٣ - المقدسي : محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه .
: التوابين .
د . ط : بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤٠٣ هـ .

١٣٤ - المقدسي : موفق الدين أبي محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة
المتوفى ٦٢٠ هـ و شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر
محمد بن أحمد المقدسي المتوفى ٦٨٢ هـ .

: المغني و يليه الشرح الكبير .

د . ط : بيروت : دار الكتاب العربي : ١٣٩٢ هـ .

١٣٥ - المكي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العماسي .

: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي .

د . ط : القاهرة : المطبعة السلفية : ١٣٨٠ هـ .

١٣٦ - المنذرى : زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المتوفى ٦٥٦ هـ .

: الترغيب والترهيب .

ضبط أحاديثه : مصطفى عمارة .

د . ط : بيروت : دار الفكر : ١٤٠٨ هـ .

١٣٧ - :

: المنجد في اللغة والأعلام .

الطبعة السابعة والعشرون : بيروت : دار الشروق : ١٩٨٤ م .

١٣٨ - الميداني : عبد الرحمن حبنكة

: الأخلاق الإسلامية وأسسها .

الطبعة الأولى : بيروت : دار القلم : ١٣٩٩ هـ .

١٣٩ - : العقيدة الإسلامية وأسسها .

الطبعة الأولى : القاهرة : مكتبة الشقافة العربية : ١٤٠٦ هـ .

" ن "

- ١٤٠ - النجار : عبد الوهاب .
: قصص الأنبياء .
الطبعة الثالثة : بيروت : دار إحياء التراث العربي : د . ت
- ١٤١ - النسائي :
: شرح الحافظ جلال الدين السيوطي و حاشيته الأمام السندي .
اعتنى به ورقمة و صنع فهرسة عبد الفتاح أبو غدة .
الطبعة الأولى : بيروت : ١٤٠٦ هـ .
- ١٤١ - النووي : يحيى بن شرف المتوفى ٦٧٦ هـ .
: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم .
تحقيق عبد القادر أرناؤوط .
الطبعة الثانية : الرياض : دار الهدى : ١٤٠٩ هـ .
- ١٤٢ - : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين .
تحقيق محيي الدين الجراح .
د . ط : بيروت : مناهل العرفان : د . ت
- ١٤٤ - : المجموع : شرح المذهب .
د . ط : د . م : دار الفكر : د . ت
- ١٤٥ - النيسابوري :
: غرائب القرآن و رغائب الفرقان .
الطبعة الأولى : مصر : مطبعة الحلبي : ١٣٨٤ هـ .

- ١٤٦ - النيسابوري : الحاكم •
: المستدرك على الصحيحين في الحديث •
الطبعة الثانية : بيروت : دار الفكر : ١٣٩٨ هـ •

" ه "

- ١٤٧ - هراس : خليل •
: دعوة التوحيد •
: د • ط : طنطا : مكتبة الصحابة : د • ت •
١٤٨ - الهلالي : سليم •
: المبرر الجميل •
د • ط : الدمام : دار ابن القيم : ١٤٠٩ هـ •

" و "

- ١٤٩ - الواعي : توفيق •
: الدعوة إلى الله •
الطبعة الأولى : الكويت : دار الفلاح : ١٤٠٦ هـ •
١٥٠ - ياسين : محمد نعيم •
: الإيمان : أركانه حقيقته نواقضه •
الطبعة الرابعة : د • م : د • ت •

الفهرس

صفحة

الموضوع

٢	المقدمة
٧	الباب الأول : قضايا العقيدة في دعوة نوح عليه السلام .
٨	تمهيد .
١٤	الفصل الأول : قضية التوحيد .
١٥	تمهيد .
١٧	منشأ الشرك .
٢٢	المبحث الأول : تعريف التوحيد .
٢٧	المبحث الثاني : التوحيد الذي دعت إليه الرسل .
٢٧	المطلب الأول : توحيد المعرفة والإثبات .
٢٩	: تعريف الإسلام .
٣٠	: أقسام الإسلام .
٣١	: الإسلام الخاص .
٣٤	: الإسلام العام .
٣٧	: ما يبنى عليه الإسلام .
٣٨	: الربط بين الإسلام والإيمان .
٤٦	المطلب الثاني : توحيد الطلب والقصد .
٤٨	المبحث الثالث : ما تتضمنه كلمة التوحيد .

٤٨	المطلب الأول : ١ - توحيد الألوهية .
٤٨	معنى توحيد الألوهية .
٥٠	٢ - معنى لا إله إلا الله .
٥١	٣ - دلائل لا إله إلا الله كما هي في القرآن الكريم .
٥٢	* الصيغ التي وردت بها لا إله إلا الله في قصة نوح عليه السلام .
٥٢	* الصيغة الأولى لكلمة التوحيد .
٥٤	* لكلمة التوحيد ثمرتان .
٥٥	* الصيغة الثانية : كلمة التقوى .
٥٧	* ذكر التقوى في القرآن .
٥٧	١ - بمعنى الإيمان .
٥٧	٢ - بمعنى التوبة .
٥٨	٣ - بمعنى الطاعة وترك المعصية .
٥٩	٤ - بمعنى الصبر .
٦١	* الصيغة الثالثة : كلمة الإحسان .
٦٢	٤ - شهادة الله سبحانه وتعالى على وحدانيته .
٦٥	المطلب الثاني : توحيد الربوبية .
٧٢	المطلب الثالث : توحيد الأسماء والصفات .
٧٣	١ - صفة العين .
٧٣	٢ - صفة الرحمة .
٧٥	٣ - صفة الحكم .
٧٥	٤ - صفة المغفرة .

صفحة

٧٨	المطلب الرابع :	الربط بين توحيد الألوهية و الربوبية و الأسماء والصفات .
٨١	المطلب الخامس :	موقف الجاهلية الدائم من قضية التوحيد .
٨٤	الفصل الثاني :	قضية النبوة .
٨٥		* تمهيد *
٨٧	المبحث الأول :	معنى النبي و الرسول .
٨٨	المبحث الثاني :	الحكمة من إرسال الرسل .
٩١	المبحث الثالث :	وظيفة الرسل .
٩١	أولاً :	البلاغ المبين .
٩١	ثانياً :	الدعوة إلى الله .
٩٢	ثالثاً :	التبشير و الإنذار .
		الأمور التي أنذر بها نوح قومه .
٩٣	رابعاً :	إصلاح النفوس و تزكيتها .
٩٤	خامساً :	تقويم الفكر المنحرف و العقائد الزائفة .
٩٥	سادساً :	إقامة الحجّة عليهم .
٩٦	سابعاً :	قيادة الأمة و سياستها .
٩٨	المبحث الرابع :	الأنبياء أفضل خلق الله .
١٠٠	المبحث الخامس :	أولي العزم من الرسل .
١٠١		: شريعة أولي العزم من الرسل .

١٠٤	المبحث السادس : أدلة الكتاب و السنة على أن نوحاً عليه السلام أول رسل الله إلى أهل الأرض .
١٠٥	: تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض .
١٠٧	المبحث السابع : بشرية الرسول و الشبه الواردة على ذلك .
١٠٧	: الشبهة الأولى : بشرية الرسول .
١١٠	: الشبهة الثانية : إتباع الأراذل من القوم .
١١٤	: الشبهة الثالثة : عدم وجود فضل له عليهم في مراتب الدنيا
١١٨	: النبوة إصطفاء لا كسب .
١٢٠	المبحث الثامن : عصمة الأنبياء و الشبه الواردة على ذلك
١٢٢	* تعريف العصمة .
١٢٤	* عصمة الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة .
١٢٥	* عصمة الأنبياء عليهم السلام بعد البعثة .
١٢٦	* الشبه الواردة في عصمة نوح عليه السلام .
١٢٦	الشبهة الأولى
١٢٨	الجواب على ذلك .
١٢٩	الشبهة الثانية .
١٣١	الوجه الأول : الجواب على ذلك .
١٣٨	الوجه الثاني : الجواب على ذلك .
١٤١	الفصل الثالث : الإيمان باليوم الآخر .
١٤٣	: تمهيد .

١٤٣	المبحث الأول :	الإيمان بالبعث •
١٤٤	:	ما جاء في تصوير البعث وكيف يكون •
١٤٦	المبحث الثاني :	الإيمان بالحساب • وما فيه من ثواب و عقاب •
١٤٩	الفصل الرابع :	بقية مسائل العقيدة •
١٥٠	:	تمهيد •
	:	المبحث الأول :
١٥٤	المطلب الأول :	معنى الدعاء •
١٥٦	المطلب الثاني :	أفضل الدعاء •
١٥٧	:	الدعاء من أنفع الأدوية •
١٦٠	:	مقامات الدعاء مع البلاء •
١٦١	المطلب الثالث :	آداب الدعاء •
١٦٢	المطلب الرابع :	لكل نبي دعوة مستجابة •
١٦٤	المطلب الخامس :	ما كان من دعاء نوح عليه السلام •
١٦٤	:	* الدعاء الأول •
١٦٤	:	موطن الدعاء : سبب الدعاء •
١٦٥	:	مصير الدعاء •
١٦٧	:	* الدعاء الثاني •
١٦٧	:	سبب الدعاء •
١٦٧	:	مصير الدعاء •

١٦٩	* الدعاء الثالث .	
١٦٩	سبب الدعاء .	
١٦٩	مصير الدعاء .	
١٧١	ما كان من ذكر الله تعالى في جميع الأحوال .	
١٧٣	: بيان حكم الدعاء على المشركين .	
١٧٨	: ما كان من استغفار نوح عليه السلام .	المبحث الثاني
١٧٩	: معنى الاستغفار .	المطلب الأول
١٨٢	: الربط بين الاستغفار وفتح أبواب الخير .	المطلب الثاني
١٨٣	: أسباب حصول المغفرة .	
١٨٥	: مبتدأ التوبة ومنتهاها .	
١٨٦	: شرائط التوبة .	المطلب الثالث
١٨٨	: محصيات الذنوب .	المطلب الرابع
١٩٣	: الربط بين الاستغفار والتوحيد .	المطلب الخامس
١٩٧	: حكم التماثيل والصور .	المبحث الثالث
١٩٧	تمهيد .	
٢٠٠	: حكم التماثيل والصور في الشريعة الإسلامية .	المطلب الأول
٢٠١	: الأدلة القاطعة على تحريم منع التماثيل والصور .	المطلب الثاني
٢٠٣	: علة تحريم التصوير .	المطلب الثالث
٢٠٤	: أدلة تحريم اتخاذ الصور و التماثيل .	المطلب الرابع
٢٠٧	: ما يباح من الصور و التماثيل .	المطلب الخامس

٢٠٨	المطلب السادس :	أقوال العلماء في التصوير •
٢٠٨	أولا :	أقوال الفقهاء في حكم التصوير •
٢١٢	ثانيا :	أقوال المفسرين في حكم التصوير •
٢١٣	ثالثا :	أقوال المحدثين في حكم التصوير •
٢١٦	المطلب السابع :	حكم التصوير الفوتوغرافى •
٢١٦	:	القائلون بإباحة التصوير •
٢١٨	:	القائلون بتحريم التصوير •
٢٢٣	المطلب الثامن :	حكم التصوير بكاميرا الفيديو و التلفاز •
٢٢٦	الباب الثانى	منهج الدعوة الى الله فى قصة نوح عليه السلام •
٢٢٧	:	تمهيد •
٢٣٠	الفصل الأول	نوح عليه السلام وقومه •
٢٣١	المبحث الأول	التعريف بنوح عليه السلام •
٢٣١	:	نسبه •
٢٣٢	:	مولده •
٢٣٣	:	نشأته •
٢٣٣	:	حياته •
٢٣٣	:	صنعتة •
٢٣٥	:	أخلاقه و صفاته •
٢٣٥	:	ما ورد فى القرآن الكريم بشأن أخلاقه عليه السلام •
٢٣٦	المبحث الثانى	قوم نوح عليه السلام •
٢٤٢	:	المدة التى كانت بين آدم و نوح عليهما السلام •
٢٤٢	:	الديانة التى كان عليها قوم نوح •

٢٤٥	الفصل الثاني : الأساليب التي دعا بها نوح قومه و جهاده معهم .
٢٤٦	: تمهيد .
٢٤٨	المبحث الأول : الحوار مع قومه بالحكمة و الموعدة الحسنه و ذلك .
٢٤٨	المطلب الأول : التركيز على مظاهر قدرته تعالى .
٢٤٨	* الدليل الأول : النظر في الأنفس .
٢٥١	* الدليل الثاني : النظر في الكون .
٢٥٣	* الدليل الثالث : النظر في نشأة الإنسان و مفاهيمها بنشأة النباتات .
٢٥٥	* الدليل الرابع : النظر في الأرض .
٢٥٦	المطلب الثاني : تقديم النصح و الإرشاد لهم .
٢٥٩	: الفرق بين تبليغ الرسالة و النصيحة .
٢٦٢	المبحث الثاني : مجادلة قومه و عدم اليأس منهم .
٢٦٣	المطلب الأول : المقدمات التي استند اليها في الجدل .
٢٦٣	* المقدمة الأول .
٢٦٥	* المقدمة الثانية .
٢٦٦	* المقدمة الثالثة .
٢٦٨	* المقدمة الرابعة .
٢٦٩	* المقدمة الخامسة .
٢٧١	المبحث الثالث : أساليب الدعوة .
٢٧١	المطلب الأول : أسلوب الترغيب و الدعوة اليه .

٢٧٤	المطلب الثاني : أسلوب التهيب و التحذير منه .
٢٧٨	المطلب الثالث : مراتب دعوته عليه السلام .
٢٨٠	المطلب الرابع : صبره عليه السلام .
٢٨٤	الفصل الثالث : موقف قوم نوح من دعوته .
٢٨٥	المبحث الأول : تكذيبهم نوح عليه السلام .
٢٨٨	المبحث الثاني : تحريض الغير على تكذيبه .
٢٩٠	المبحث الثالث : وضع أصابعهم في آذانهم و استغشاء الثياب .
٢٩١	المبحث الرابع : رميه بالسفه و الجنون .
٢٩٤	المبحث الخامس : ضربه عليه السلام و الحاق الأذى به .
٢٩٦	المبحث السادس : توصية أبنائهم بعدم إتباع نوح عليه السلام .
٢٩٧	المبحث السابع : بيان من آمن مع نوح .
٣٠٠	الفصل الرابع : نهاية قومه و ملازمة القصة لحاضر الدعوة .
٣٠١	المبحث الأول : اعلام نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .
٣٠٣	المبحث الثاني : يأس نوح من قومه .
٣٠٥	المبحث الثالث : دعاؤه على قومه بالهلاك .
٣٠٥	* القول الأول .
٣٠٦	* القول الثاني .
٣٠٧	* الراجع من هذه الأقوال .
٣١٠	المبحث الرابع : أمره بصنع السفينة و ردود الفعل على قومه .
٣١٢	المبحث الخامس : وقوع الطوفان و نهاية قومه .

صفحة

٣١٤	المبحث السادس : سنة الإبتلاء .
٣١٩	: الإبتلاء الفردي : الإبتلاء الجماعي .
٣٢١	المبحث السابع : السنن العامة في صبر الرسل و المؤمنين على اضطهاد الجاهلية .
٣٢٥	المبحث الثامن : دلالة القصة لحاضر الدعوة الإسلامية .
٣٢٩	: الخاتمة
٣٣٥	: المراجع
٣٦١	: الفهرس

* * * * *